



Biography of Mr.
Adeeb Bak Iskhak

Princeton University Library

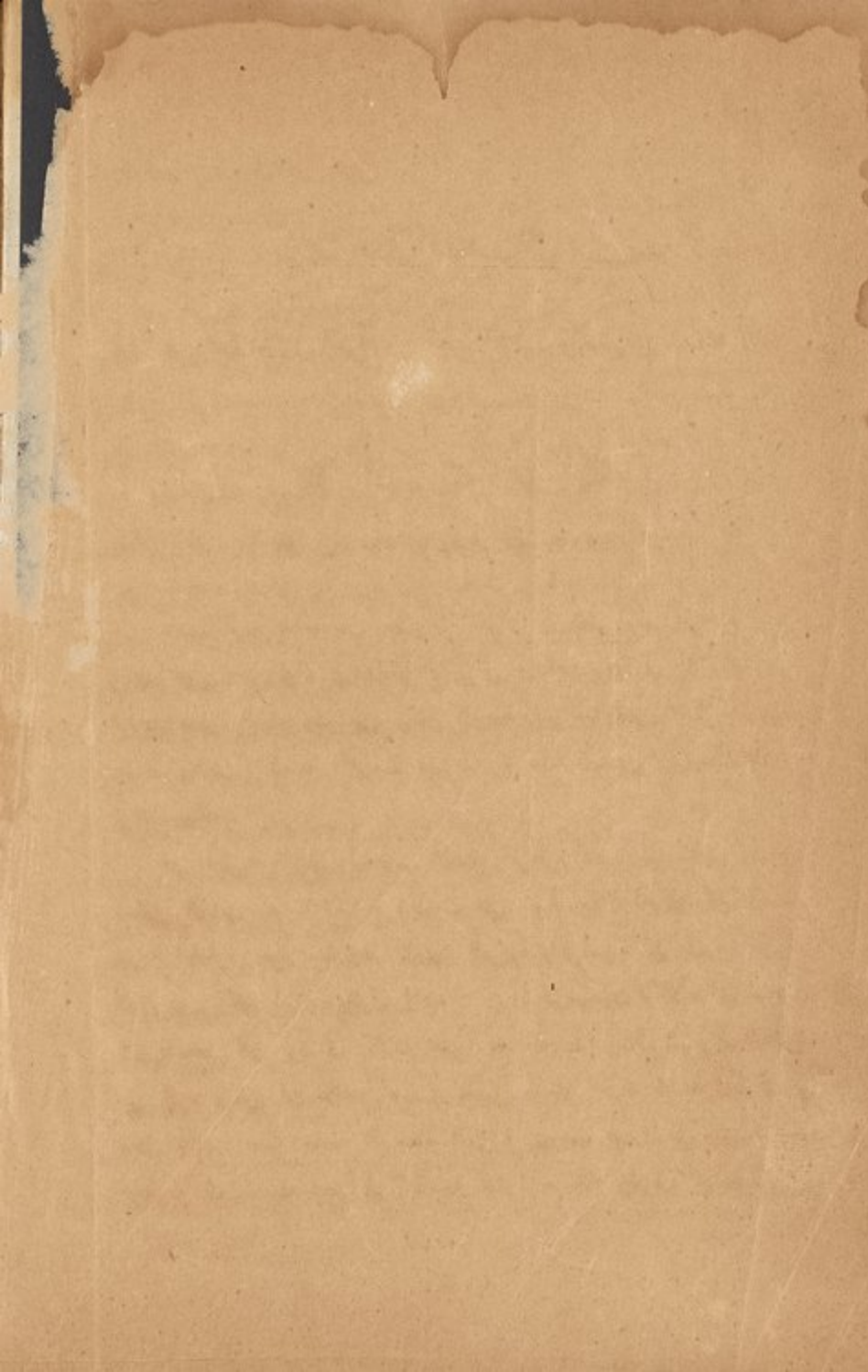


32101 086396684



أويب بك اسحق

« ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥ م »
نقلًا عن مجلة (الهلال) الشهيرة بالقاهرة



ترجمة حياة الفقيه الأديب

نقلًا عن مجلة الهلال الغراء من الجزء الثالث والعشرين لسنة الثانية

﴿ اديب بك اسحق ﴾

(ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥ م)

كتب الينا جماعة من حضرات القراء ان نشر رسم المرحوم اديب بك اسحق لان اقواله وكتاباتاه لا يزال مداها يرن في الأذان في نواحي مصر والشام وهو من اركان النهضة اللغوية الاخيرة فعملًا باشارتهم وقيامًا بواجب الخدمة العمومية قد صدرنا هذا العدد برسمه وهماك ملخص ترجمة حياته :

هو المنشئ البليغ والخطيب المصقع المرحوم اديب بك اسحق ولد في دمشق الشام سنة ١٨٥٦ م وظهرت على مبياه ملامح الذكاء والنباهة منذ نعومة اظفاره وقرأ مبادئ اللغتين العربية والفرنسية في مدرسة الآباء العازريين وكان استاذة بهول لايه « ان ولدك سيكون قوالاً » اي شاعرًا لان المسجع كان يرد في كلامه هزواً مع انه بدأ بنظم الشعر في العاشرة من عمره واتفق ان طائلته اصيبت بضيق فدخل في خدمة الكرك ثم دخل والده في خدمة البوسطة العثمانية ببهروت فبعث الى ولده ليكون عوناً له في خدمته وهو في الخامسة عشرة . نجاه وتعرف بجماعة من

ادبائه المدبسة وكان سهل المعاشرة محبوباً فاجبه اصدقائه واخلصوا له
واعجبوا بذكائه وحده ذمته وكانوا يناشدونه الاشعار ويطارحونه المناظرات
ويراسلونه نظماً وشرّاً

وفي السابعة عشرة من عمره دخل في خدمة كرك ببيروت . ولكنه
مال بث ان مال الى الكشابة وعكف على الانشاء فتولى تحرير جريدة
التقدم بيد نشأتها الاولى وكان لرغبته في العلم يقضي ساعات الفراغ في
نظم الشعر والمطالعة فألف كتاباً سماه « نزهة الاحداق في مصارع العشاق »
ثم انتظم في جمعية زهرة الآداب وما لبث ان نبغ بين اعضائها واصبح
زهرة فيما بينهم واحبوه حباً شديداً واكثروا من التحدث في ذكائه
وبنايته ثم انقرب للمساعدة في كالف كتاب آثار الادهار سنة ١٨٢٥
وهو دون العشرين من العمر

وعرّب اثناء ذلك رواية اندروماك اجابة لطلب قنصل فرنسا ونظم
اشعارها وعلم ادوارها في مدة ثلاثين يوماً ودفعها الى القنصل فثقت ثلاث
مرات جمع دخلها للمفقر

ثم اشار عليه المرحوم سليم افندي نقاش بالذهاب الى الاسكندرية
فجاءها واشتغل معه في التمثيل العربي ونقح رواية اندروماك وزاد فيها
ثم جاء القاهرة وكان فيها العلامة جمال الدين افندي الانصافى يلقى
دروساً في الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق فلزمه مدة واخذ
عنه شيئاً كثيراً وكانت مصر اذ ذاك زاوية بنخبة من شبانها النبهاء
كانوا يترددون الى جمال الدين افندي للمطالعة والمذاكرة ومناجاة اقواله
وشروحه فبث فيهم روحاً عصرية فخرجوا ينشرون تعاليمه ويقولون بهوله وفي
جملتهم جماعة من المنشئين والخطباء والكتاب

وفي سنة ١٨٢٧ انشأ جريدة « مصر » فلاقى اقبالاً عظيماً ثم نقلها
الى الاسكندرية فتعاون بدارتها وتحريرها المرحوم سليم افندي النقاش
ثم انشأ جريدة « التجارة » يومية وهديت مصر اسبوعية ثم انقضت الحال

القضاء الجريدتين ومهاجرة صاحب الترجمة الى باريس فانشأ فيها جريدة « القاهرة » وكان قبل سفره قد احسن بضعف فلما ذهب الى باريس اصيب بسلالة الصدر فعاد الى بيروت مصدوراً فسأله صاحب « اللقائم » تحرير جريدته فتولاه للمرة الثانية سنة حتى اقبلت الوزارة المصرية سنة ١٨٨١ فعاد الى مصر وتولى فيها رئاسة قلم الانشاء والترجمة بدبوان المعارف واعاد نشر جريدة مصر وقال الرتبة الثالثة ثم عين كاتباً في مجلس النواب

ولما طرأت الحوادث العراقية عاد الى بيروت فتولى تحرير اللقائم تالفة الى ان اشتد عليه الداء وهو السل الرئوي فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر للملازمة هوائها ففضى فيها مدة ثم عاد الى الشام وقد ضاقت به سعة العمر وبعد وصوله اليها بثلاثين يوماً توفاه الله في ١٢ يونيو سنة ١٨٨٥ وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره وشيعت جنازته وبكاء الاصديقاء وابنه الكتاب ورائه الشعراء وقد جمعت منشجيات اقواله في كتاب سموه الدرر كله درر

وكان رحمه الله طويل القامة والعتق مع انحاء قليل عظيم الانف هريض الجبهة بارزها جهوري الصوت لطيف الحديث ذكياً فيها حاد الذهن واشتهر خصوصاً بالخطابة والانشاء فكان اذا خطب انصح واعرب واذا كتب سحر الالباب بحسن البيان مع السلاسة والبلاغة وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتاب . وانما يؤخذ عليه رحمه الله تساهله في طروق معاشرته واطلاق هوس النفس فيما تسوق اليه الشيبه حتى اتوذلك في مزاجه وعجل منبته فقصف غصنا رطيباً لم يتم الثلاثين ربيعاً ولا ريب عندنا انه لو عمل بالقانون واصفى لنعيجه الشيخ الرئيس لعمّر طويلاً وخدم الاوطان خدمات قل ان يتطبع العاس مثلها والله في عبادته حكمة لا ندر كما المقول

توجه حياة التقيد الادب بهلم حضرة الصكاتب الفاضل والمنشيء البليغ
جرجس افندي ميخائيل نحاس . قال :

هو الحى الباقى

اي مقضى هذه الصفحات اجارك الله من لفحة المحزون على فراق
العزیز الماجر هجر ساعة الصفاء في اليوم الغابر : وحماك الله من لوعة
الكثير الصابر صبر الضيف على حكم القدر السائر . ووقيت غدر الزمان
وصروف الحدثنان ونوازل الايام وما رأيت من عبر الدهر بالانام وهفيت
من كلمة المهوجع ووقفت المتنجع وغصة البكاء وترديد الرثاء . ثم لا اراك
الله مصاباً تجد فيه بالعلم مثلي ولا اذاقك كأساً تشد بعد تجرعه قولي

جمد الماء رهبة وارهاغا	وجرى الصخر انة والبيعا
وضياء الهنا استحال ظلاماً	والى المحو مطلقاً قد تداهى
مذهوى من اعالي الفضل طود	رائخ جاوز السالك ارتقاها
يوم هول بكأؤنا اشتد فيه	فلأنا من الدموع البقاها
حتى خلفها من الامى كل طفل	ناثماً قبل ان يتم الرضاها
لفراق الاديب من كان يرعى	لنا وداً وقد غدا لا يُراعى
بجولب القضاء بالموت بالرز	الليم بما ابتلانا وراها
كل قلب فبتنا لا نلقى خلاً	من جرى الخطب ليس يشكو الصراها
ايها الراحل العزیز المفدى	قف قليلاً لتستزيد الودعا
من بنان سبا العيان اقتياداً	من لسان به ملكت السعاها
من بنان استغفر الله فهو ال	سحر تعنو له العقول انصعاها

كيف تنأى ولم تدع فينا روحاً
 لا وحق الولاء لم يبق منا
 بعد خطب اقل ما نروي فيه
 بعد رزه بكت عليك المعالي
 اي هين تكفكس الدمع والمجد
 اي قلب لم يمحرح اليوم والصد
 آه لو كنت تنظر القوم خلف ال
 بك يا من اضاعه العلم ماسو
 كم رأينا يراعك الخرك
 وممنا على المنابر من في
 ورأيناك في الجدال اماماً
 وعرفناك في السياسة بالاو
 ما ذكرناك حق ذكرك في قو
 ان عددنا سفينة تجري في بح
 او بسوق الاداب رمت اتجارا
 ما حبيباً صفا له الوقت في عم
 لكن الدهر لم يدع من سبيل
 هكذا الناس بين حرّ وحرّ
 وكذلك الباقون يمضون طرّاً
 فتمزّ يا قلب فالمت عبيد

كفى وما كنت لامسك في الرثاء عن الزيادة لولا ان بعض الساده
 الفضلاء قد وفوا الفقيه حقه من الوصف في صدق البيان كما يركى
 الغارى، اللبيب في باب اقوال الجرائد وقدم مرثي الشعراء الذين
 اولونا من فضلهم غنى عن بقية الرثاء بما شهدت شهرة آدابهم لادبنا
 المعهود مما لا يسع هذا المقام له دكراً

ولقد كان في النية على عهد الصديق الخالده له في النواد آثار
الاسف المبرح عزيزنا المرحوم سليم النقاش ان يجمع شتات ما ترك
الفقيد من آثار علمه وادبه منتخبة من فضوله ومعالاته ورسائله ورواياته
واشعاره ومصنفاته وسائر ما خطبه باللسان وخطه بالبنان مجرداً مع ذلك
من كل ما نشأ عن الخده التي عرفتها بنزق الشباب في احدى ملاحظاتي
الوارده في هذا الكتاب ساعين الى هذا القصد من طريق حفظ تلك
الآثار التي لم تطبع في كتاب مخصوص ختاً بها ان تبقى متفرقة منشوره
لا لجمعها صفحات جامعة ولا ترعاها بعد فقد الخيب آذان سامعة
وقد كانت للبلاغة مثلاً وللبراعة عنواناً وعلى الذكاء والنباهة برهاناً وكانت
ولا مرأ خلاصة نهى بدقة المعاني وسلافة رقة في كؤوس الالهاظ
فنفيداً لهذا المشروع استحساننا على مجموعات اقواله المنشوره وفضوله
المنشوره في بعض صحف بيروت واخصها صحيفة التقدم التي نولى تحريرها
في ازمته مختلفة فاضفناها الى المجموع لديها من منشوراته الادبية والسياسية
الآخذة باسباب الاعتدال المتحافية عن مواطن الخفاء مما هو مثبت في
جرائد مصر والعصر الجديد والمحروسة والى المحفوظ من بهية نثره وشعره
مما لم ينشر في الجرائد ولم تسمح له فسحة الاجل بطبعه
ولكن حالت دون المرام اذ ذاك فاجمة السليم فبقى المشروع في طي
الخفاء الى ان سنحت الفرصة لهذا العاجز فالتزمتها ماذوناً من صاحب
الحق في طبع هذه المنتخبات حضرة الصديق الوفي الاروع عوني افندي
اسحق شقيق الفقيد بعد استشارة حضرة والده الجليل معتمداً في
تحقيقي الامل بتعميم فوائدها على التراب ارباب الذوق شوقاً اليها ورغبة
في اقتنائها مستنداً في جمعها بكتاب مخصوص من جريدة المحروسة
حيث طبعت اقساماً على فضل حكومتنا السنية وهناية رجالها العظام
وموظفيها الكرام بنشر المعارف والآداب وترويج بضاعة الانشاء للطلاب
القلم العربي في ظل اميرنا الوارف سيدنا السدد صاحب النوازل والعوارف

أبد الله سموه وعلائه ورفع على هام الأنام لوائه
 وكنا قد عولنا على أفراح المجموعه بترجمة حال الفقيه مأخوذاً
 بعضها عما نعلم العلم الشخصي وبعضها الآخر عن لسان شقيقه البارع
 المذكوراً بصحة الرواية وقد تم لنا ذلك فلبث محفوظاً في الذهن الى
 ان ظفر المشروع بالزمن المطلوب فاثبتنا الترجمة في مكانها في هذه المقدمة
 كما ينبغي.

وتراكت علينا مرثي الشعراء والادباء في ذلك الحين فكان منها
 ما يحكي السحر الحلال ومنها ما يزرى بالدرر الغوال واخترت من
 مجموعها ما ورد في قسم المرثي دلالة على مكانة الفقيه من البراعة
 والاجتهاد وحفظت منها لهذا المقام رثاء بليغاً لحضرة صدقنا ~~الكتاب~~
 اللوذعي اسكندر افندي العازار لعلاقته بترجمة الاديب ووصف شأنه
 فعمله تمهيدا للترجمة ونوطاً يلا هو آت في ايراد الخفايا من الكلام
 الصادق.

قال

ما طلعت على ادينا شمس الحميس وما عرف في صباحه وجه انيس
 استحكمت منه علة الصدر فما دفع الاطباء عنه مقدورا وما محال احباء
 ما كان مسطورا وما راقب الموت فيه اهلا ولا عشيرا فتلاشي نفساً في
 نسي وقبضت روحه عند الغلس فمات وعيناه البرقيتان منفتحتان ترسلان
 نوراً كأنهما محددتان الى فضاء الابدية

تضي في سفح لبنان حيث التمس العافية من الهواء والماء ومن اين
 للداء العيا دواء فاقصل نعي وفاته بيجروت الآسفة فلا قصل القلوب عما
 تمزقه ولا الصدور عما توقد ولا الصجون عما جرى انك فكاد لا نجد
 الا واساً قلقاً وصبراً مفترقاً ودمعاً مستبقاً وقلبك محترقاً فيا لله من
 هذه البلية

كان رايتنا في علم اللسان وآيتنا في صناعة البيان وغايتها في حب
الانسان

كان فتى ولا كالتينان جريئاً في الحق ما اخذته فيه لومة وما
رهب فيه وعيدا بل ما كان له شعارا في هذه الحال او مثلها من
الاحوال الا قول من قال

اذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن المعبر ان تموت جيانا
فعاش حر الضمير فكرا وقولا وفعلا ومات حر الضمير فكرا وقولا
وفعلا يبكيه ضمير الاحرار وتندبه الحربة نشاء وطنياً خالصاً صحيحاً
وعاش جندياً لاشرف الاصول واسمى الغايات وانفق في خدمتها من
روحه ما كان يتفح في القلم من الروح وجاهد جهادا جنسياً بنفس كبيرة
اعت بدنه وقوضت اركانه فصيح فيه

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فات شهيدا حميدا شهيدا وحق لاسمه الحبيب ان يجلد الى

الى الدرية

كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجباً اذا
الفتيت بنسيانته احشاء الشام شحاحاً او لفقدانه امتلات نواحي ارض مصر
نواحي ابيه والانسانيه كان للانسانيه نصيرا ولاعدادها نذيرا وبالانسانيه
بشوا فلتبكيه الانسانيه

ويا اخوان ادب المنتشرين في الارض مات ادب وادرج في كفته
واصابت الديدان مقيلا في بدنه واخرسه الموت في ترابه وحيل بيننا
وبين خطابه فابكوا ما وجدتم في العيون دموعاً ولا تسالوا قبلة الوداع فقد
قبله عنكم جميعاً وقد

ودعته وبودي لو بودعني طيب الحياة واني لا اودعه

دفناه وتركناه ولو اقمنا ما نفعناه وهو من قبل قد نزعنا اليكم

روحه شوقاً فاوصاني بالقائه التحية

وانت يا شقيق الروح يا من اوحشت الدار ومن فيها وآنت القبور
وساكنيها يا مؤمن الامراء وراثي العلماء وبأبي الادباء والكبراء والفقراء
يا ايها الراقد بلا حراك ولا يجدر بتأينك سواك يبكيك القلم يا اميره
والحق يا اسيره يبكيك الاهل والاحياء فقد كنت ودوداً حديقاً ويبكيك
الشعراء والكتّاب وانطباء فقد كنت شاعراً وكتّاباً وخطيباً . تبكيك
المجالس يا خير جلس وتبكيك محاضر الانس يا خير انيس . تبكيك صحف
بعبراتها وترثيك صحف بعبراتها ولا تسلم عنمن استرهن الامور باوقافها
فترجمة حالك منفضح ما كان مستوراً تبكيك افاضل الكهنوت الحق
انك كنت للافاضل عضداً كريماً . تبكيك الجمعيات الادبية . تبكيك
بكاء اندروماك امك زهرة الآداب يا غصناً نصيراً وتسقيك التذكرة
في كل عشية

واما الكتيب الكاسف البال رفيق مباك واعمالك واخوك في جهادك
فاجتو بالثلة والاكتتاب عند ذلك التراب واستمطر دمع الدين لهما واسنوقد
نار الصدر اسفاً وابكيك وارثيك ما بقي لي من الحياة بقية
واقسم بوحشتك آآسها الله وبغربتك رحمة الله اني مقمب على ولانك
محب لاجباتك عدو لاعدائك لا عزاء لقلبي الاسوان الا التأسى بان
تجمعني واياك ظلمة الابدية

فحسبي شجراً ان ارى الهار بلقماً

خلاء واشلاء الحبيب ترابا (انتهى)

وهذه ترجمة الفقيه طاب ثراه

ولد وآسفاه عليه في دمشق الشام عام ١٨٥٦ فلم ينظم عن الرضاع
حتى ظهرت عليه مخائل النجابة طفلاً تحرق ذهنه مؤثرات التربية لادقها

إشارة واقفها ظهوراً ولما نزع ع ادخله والده مدرسة الآباء للغازيين
 فتلقي فيها مبادئ العربية والفرنسوية بما كان يزيد في اوقات الامتحان
 هدماً على اقرانه وكان استاذة في العربية يقول لايه « ان ابنك سيكون
 قوياً » اي شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجماً عفواً القريحة وهو
 لا يعرف اذ ذلك شيئاً من قواعد اللغة ولما باغ العاشرة اخذ ينظم الشعر
 كلفاً به وفي الخادبة عشرة دخل في خدمة الكرك براتب يسير واخذ
 يعول عائلته اذ اصابها في ذلك العهد سوء حال وعظلة اعمال وما
 اتم الثانية عشرة من سنه الزاهرة حتى كان له عدة قصائد وموشحات
 ثم عرض لوالده ان سافر الى بيروت ودخل في خدمة البوسطة العثمانية
 ففي الخامسة عشرة استدعاه اليه من دمشق ليكون معيناً له في خدمته
 فجاءها وتعرف ببعض ادباء بيروت وله مع اكثرهم كمصباح افندي رمضان
 والشيخ فضل القصار وبولص افندي زين مطارحات ومراسلات شعرية
 وفي السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة كرك بيروت فقصي فيها مدة
 بسيرة ثم نزلت به نازعت العلي الى الاشتغال بفن الكتابة والانصباب
 على الانشاء فولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً
 وله فيها فصول شائقة كما له قصائد كثيرة في ديوان يوسف افندي
 الشلفون وكان يصرف اوقات فراغه في المطالعة ونظم الشعر فألف كتاباً
 سماه « نزهة الاحداق في مصارع العشاق » لم نظفر بنسخة منه ثم دخل
 في جمعية زهرة الآداب وقام فيها عضواً معاً يلقي على مسامع اقرانه
 الخطب البليغة والقصائد الرائقة وباحثهم في المواضيع الادبية وبعد ذلك
 كلفه حضرة صدينا الفاضل سليم افندي شجاده بمشاركته مع زميله
 المرحوم سليم المحوري في تحرير آثار الادهار عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس
 فاشتمل فيه مدة وكان سنة دون العشرين وله في ثلثة اجزاء منه
 فصول تدل على نعمة اطلاعه وغزارة مادته ولبث على هذه الحال الى
 ان جاء الاسكندر به باشارة فقيدينا السليم فساعده في تمثيل الروايات

العربية وكان قد عرب في بيروت عن راسين الشاعر الفرنسي المشهور
رواية اندروماك وهو في التاسعة عشرة من العمر اجابة لطلب حصل
فرنسا فترجمها ونظم تشعارها وعلم ادوارها في مدي ثلثين يوماً ودفعها
الى حضرة القنصل فتمت اسعافاً للبنات اليتامي ثلاث مرات فجمعت ٣٥
الف قرش فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً لظهر ونظم فيها ابياتاً
جديدة من الشعر الرائق فحصل لها وقع عظيم مع رواية شارلمان التي
ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً

ثم قصد المحروسة عاصمة البلاد المصرية ولزم العلامة جمال الدين
افندي الافغاني فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية
والماطوق ورغب اثناء ذلك في انشاء جريدة عربية فحصلت له هذه الغاية
فانشأها باسم مصر عام ١٨٧٢ وليس في جيبه أكثر من عشرين فرنكاً
ولما رأى من اقبال الناس عليها ما يشد الازر نقل ادارة الجريدة
الى الاسكندرية مشتركاً في ادارتها وتحريرها مع هقدينا الآخر (وكفانا
تسميه) فلقي نجاحاً ليس باليسير ثم انشأ كلاهما جريدة التجارة فاصدراها
يومية وابقيا «مصر» اسبوعية فحصل لها جميعاً اقبال عظيم ثم الغيت
الجريدتان لمقنضيات دعت الى الغائهما فابتعد الاديب عن مصر عام
١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريده «القاهرة وكتب فيها
فضولاً مفناهية في البلاغة لا يعاب اكثرها الا بما كان فيها من آثار
الحدثة وكفى.

وحصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد
الباريسية وجريدة تركية منشأة في تلك العاصمة وتعرف ببعض المقدمين
من رجال الدولة الفرنسية وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة
فزادته خطب البلغاء منم اقدماً على الخطابة ودخل المكتبة الاهلية
فطالع فيها عدة مؤلفات من الماظيط العربية القديمة ونسخ عنها نسخاً
كثيرة

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرّضت للمؤثرات فلما ذهب الى باريس اتفق ان يردها كان في منتهى الشده فاصيب بعلة الصدر وتالم منها مدة الشتاء ثم عاد الى بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة شهور فعهد اليه صاحب "النقدم" بتحرير جريدته فتولى تحريرها للمرة الثانية وقد اثرتنا عنها مقالات كثيرة في هذا الكتاب واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية اوامر عام ١٨٨١ عاد الى مصر مدعواً اليها فودعه اصحابه وخلانه بنفوس الاسبين على فراقه وكنت في جملة من انحدر لوداعه الى رصيف البحر فما رأيت قلباً غير مائل الى اصطحابه واني لذاكر ما سمعت احد وجهاء بيروت عزتلو حسن اهدي بيهم قائلاً له ساعة الوداع

انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الآدابا

فاجابه بقوله: " ليس بيقائك وداع للاداب " ثم سار واتى القاهرة فميين ناظرًا لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة مصر فاصدرها اولاً في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات ونال خلال ذلك الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولما طرأت الحوادث العسكرية عاد الى بيروت فميين هاجر الى القطر السوري وبعد ان حل الانكليز في الاسكندرية جاءها مرة اخرى في التماس شأنه الاول فلم يحصل عليه فابعد الى حيث اقام متولياً تحرير جريدة التقدم للمرة الثالثة الى ان اشتد عليه الداء وهو السل الرئوي فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من ملامة هوائها لصحته فالتمس الرخصة في العودة اليها بواحة المغفور له سلطان باشا فاجابت الحكومة السنية التماسه كرمًا واحسانًا فانها ساعياً الى المغفور لى من لتي من شمائله عنو الكريم واهل به من عرفوا قدر ادبه فاقام في الاسكندرية فصرف بضعه ايام في محبة الرمل التماس العافية ولكن ضاقت به سعة العمر فلم يرجوا الاطباء له شفاه فانتعوه

بالرّده الى اهلّه في ثغر بيروت فعاد اليها ولم يمضِ على عودته ثلثون يوماً حتى جاءنا خبر وفاته وكنت اذ ذاك مساعداً لفقيدنا السليم في تحرير جريدته المحروسة وكتاب " مصر للمصريين " فهالنا الخبر فبكيننا الاديب بمقل الغام وكان قد ملأ اسماعنا قبل رحيله من الاسكندرية كلمات آمال وابتاس فاذكرتني بعد ورود الخبر بقول القائل
 هم اودعوا مسممي يوم النوى درراً فردها الدع من عيني بواقيتنا

اقوال الجرايد

❖ قات المحروسة باسان فقيدنا المرحوم سليم النقاش بعنوان ❖

❖ اديب ❖

كذا فيلجل الخطب ويلفدح الامرُ وليس لعين لم يفض ماؤها عذر
 امن حد الاقلام ان تجري بعد فقد الاديب من المخاير امن واجب
 الدموع ان تهق بعد هذا المصاب مصونةً في المهاجر . امن العدل ان
 نعانف اليوم من اثواب الحداد . امن الغرابة ان نفقد بهذه المفاجعة
 الهدى والرشاد . لا والاسف وحر نار اللفف فقد ثل عرش الفضل
 ودك طود الذكاء والنبل وغاض معين البراعة وشوه وجه البراعة وبدد
 شمل البلافة واخذل نظام الانشاء وكان لا يأخذ محاسنه والعدو الاحصاء
 وانقبضت الصدور واضطربت القلوب وانذهلت البصائر وشخصت الاجصار
 فعمت الاحزان واستولت الاكدار وحارت الافكار

وغاضت بنساييع المسرة وانقضت ليالٍ بها كم كان للانس اوقات
 واصبحت الاداب تندب حظها نقول مضي سعدي واهلي قد ماتوا
 كيف لا

والدهر قد فوق نحو العلى سهاً وهذا السهم كان المصيب
 تعساً لهذا الدهر من خائزٍ لم يتجُ فاضل منه او اديب
 لجل لقد ارسات النية رسلها فاخترت زهره الفضل الزاهره وفغرت
 الداهية الدهماء فاها فابتاعت ذرة الادب الباهره

والموت نقادٌ على كنهه جواهرٌ يختار منها الغوال
 ومن ذا الذي يسمع باقوال باقول بدر المعارف وغروب شمس
 اللطائف

ولم يسلم من عينه ادعما تساجل السحب وفيض البحار
 ولم تزوع قلبه حسره قلوت الوجه بلون البهار
 مضي ادب الذي كان للعالم حرزا وللبلغة كنزا وللصاحة ركنا
 وللصاحة حصنا

هيئات ان بائي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل
 مضي فكان الهول هولاً صير يياض العيش سوادا ورحل فكان الخطب
 خطباً جعل نور الحياء ظلاماً

واني لابيكيه واني لصادق عليه وبعض النائلين كذوب
 مضيت واي مقلته ايها الاديب لا تذرني الدمع عليك صبيها واي
 امريه من مفتوني ادبك لا يتفجع عليك بكاء ونحيباً فارقتنا ونابت
 وما اصعب نايك وفراقك ورحلت عنا ومضيت فقبعت برحيلك احبابك
 وعشاقك وقد اطعمتهم يوم وداعك بامل اللقاء ووطدت رجاء الاجتماع
 يوم لثوك في السفينة لثمة الاخاء فما كان العهد بهجرك ان يكون اليوم
 مزبل الصفاء مذهب المعاء لاصبر بعده ولا عزاء

وأنقسم الحزن على فقدك اعشاراً لاصاب عشر منها والدبك وآلك
وعشر اصدقائك وغلانك والادباء الذين عرفوا قدرك وشانك وعشر كل
من سمع بك وراك وعلم برفعة مقامك واصابني انا السبعة الاعشار وما
ارضاهها قسمة ضزى اكون بها اقل من الجميع حزناً عليك لا سيما
انك غبت عن العين ولم الشك لثمة الوداع قبل ان تغمض
عينيك .

ولو جمعت في رثاءك ما قيل في الدنيا من رثاء لما جاء وافيًا من
الواجب وهيات ان يوفيك حقاك منه الا من هبطت عليه اسرار بلاحك
واعطي منحة براءتك وكان لك في الرعاية قريبًا وفي سرعة الخاطر
نداً ومثيلاً

ولقد شهدناك في ابان شبابك تاخذ بناصر المبادئ الهرة وتؤيد
شان القواعد الصحيحة فدنا ذلك على انك لست من ابناء هذا الجيل
وايس اهله اقرانك بل انك سابق بمئات من السنين في الوجود اوانك
وانه سيأتي على الاعصار القادمة زمن بذكرك اهله بما نشأت عليه في
زمانك فينادونك قم ايها الاديب هذا عصرك الخليق بك فقد وجد فيه
رجالك وهم بك حريون قم وانشر فيهم مبادئك وتعاليمك الديمقراطية
فهم لك مصفون واشانك معظمون

فهدناك يا فتى النبهاء بالقلم مبلغ الكحول من الحكمة ولم تبلغ الثلاثين
من عمرك ولكنك ابهيت لك ذكرا يؤيد دهورا واثرًا يخلد من بعدك
اجيالاً فعلم بهما الفضلاء كيف يحيا الذكر ويبقى الاثر
وهم نذكرك تذكيرا بادبك ابطلاقة لسانك وقد كنت واسطة عقد
الخطباء ام بتوقد جنانك وقد كنت خيرة الالباء ونخبة الاذكياء .

فكم رابناك على المناير تجيل عينيك ملتفتاً نحو ملتقطي درك يمنة
وشمالاً فصيحاً بليغاً قوي التصور حاد الذهن حاضر الفكر مريع الخاطر
متين الحجة صحيح البرهان ثابت الجنان

وكم عرفناك في مكاتب الصحف متعلبا بين فنون البراعة بما هو
بادي الآثار في جرائدنا شاهدا على سعة معارفك وطول باعك في
السياسة والمباحث العلمية والمناقشات اللغوية والمنافسات ادلاية والمدح والمجاء
والقابين والرتاء وحسن الرواية واحكام طرق الاخبار والحكاية والتفنن
في اساليب الجد والمزل والعذر والرجا واللوم والعتاب والتنصل منهما
بمناسبة الخلاف والاجاب والمغازلة والمداعبه والحزن والطرب وسائر
الادب وكليات الامور وجزئياتها على اختلاف احوالها وصناعاتها

وهم نستوفي ذكر محاسنك ونستجمع بقيه اوصافك واحصنك .
ابن القريض وقد كنت ابن بجدته وقائد نجدته مقتبسا مبتكرا مجيدا
مؤثرا مرقصا مطربا مخزنا مبكيا تلعب بالعقول بين الرقه والانجم
وتأخذ بالالباب على ابداع نظام في نظم الكلام ام برقه جانبك في
المعاشرة ولطف محاضرتك في المصاحبه ام بحسن وفائك وجميل ولائك
وبشاشه وجهدك وكرامه طبعك

وهم نمتلك لدى العين في سبحايك ومناقبك ومزايك ابالاتاد وقد
كنت صحيحا من غير تصنع ولا ربا ام باخلاقك وطباعك وقد
كنت حاد الطبع مربع التاتر والانفعال غير حقود او مجرود طيب
القلب سليم السمع مستقيم الشان رضي الخلق لا بتولاك الحسد ولا
بتملكك الطمع ملتبها غيره على ابنا جنسك عزيز النفس ابها طاهر
السريه نقيها انوقا من غير كبريا مقدمآ جسورا لا ياخذك العجب
آن النوز والخيلا حكيا ذكيا منبسط اليدين سخيا محسودا على ما كان
فيه من النباهه مشكورا على ما كنت مقطورا عليه من التراهه

وهم نتخذ بمد ذلك من اثار حياتك سببا للسوان وموجبا للعرا
اخطبك واقوالك التي ذكرنا او صفات كالك التي عددنا . نعم هذه
اهالك في الادهار تشهد على سعة علمك بغير بيان وهذه باريسيتك

ف

الحسنة نطق بجهن يبانك بغير لسان وهذه رواية اندروماك التي لو علم
 واضعها بما لبناك عليها من فضل التعريب لانبعث مطأطئاً في موقف
 الاجلال لمقام الكاتب الاديب وهذه جرائد مصر والتجارة والعصر الجديد
 والمحروسة والتقدم وغيرها مما جاء مطوقاً بقلائد فصاحتك السجانية محلى
 بفرائض حكمتك اللقمانية وجاء معانداً انك لم تكن فيما اجدت به وابدعت
 الا اياي الذكاء اخطي الادب وهذه المؤلفات العديدة والمنشورات
 المفيدة التي اشتركت مع اربابها في التأليف والتصنيف فكانت دليلاً
 على اجتهادك وسعيك في نفع بلادك . وهذه سوريا تفتخر بكونها مسقط
 رأسك ومطلع شمسك وهذه مصر تنافس بك الامصار وتفتخر بكونها
 مظهر فضلك ومحلى افكارك
 وكيف يسلك اهله وقد كتبت الي منذ سنة في احدى رسائلك

نقول :

« آه لو اري مصر نظرة اخرى في حياتي » وقد نك اربك وبلغت
 مناك فحنتها ورأيتها فاكرم امراءها وفادتك مأهلين بك مرحبين ثم
 نأبت عنها على امل العود اليها بعد الشفاء فخال واحسرتاه بينها وبينك
 الداء فكانوا عليك آسفين وبما ذكرناك به ذاكرين
 وكيف اسلك يارفيق الشباب وكنت ان نمت رأيتك في منامي
 وتاجيتك في احلامي وان صحوت رايتك في جانبي وامامي وان تكلمت
 كنت موضوع كلامي وان كهبت سبقتني الى ذكرك اقلامي
 فمن اين لي بعد ذلك ان اصبر على عظم هذه المصيبة فيك ومن
 اين لي ان ارى بعدك مثل الدرر التي كانت نثائر من فيك فواآسفاه
 على اوقات بقضت بقربك وواحسرتاه على زمن كان به قضاء فحباك الزمن
 الذي كان يتوقع فيه ابناء بلادك زيادة النفع باقدامك واجتهادك فتقى

ص
وانت تحت الثرى اناديك حياً بذكرك اني لا اسأل بعد هذا الخطب
صبراً قليلاً كان او جزيلاً فقد رأيت به بعين الحقيقة امرأ مستجيلاً
ولكنني اساله لوالديك واخوبك وآلك وسائر محبيك وعلانك
وكنتي لهزيتي ان لا اجد على فقدك من
بظن ان فوادي غير ملتبه وان دمع جنوني غير منسكب

وورد في جريدة الاهرام القراء

بزيد الاسف والشجن نمت لنا اخبار بيروت فقد الشاب الاديب
اديب افندي اسحق توفاه الله يوم ١٢ الشهر الجاري في قرية الحدث
من اعمال لبنان قرب بيروت اثر داء عيائه الم به من مدة طويلة فعالجه
الاطباء بما وصل اليه جهدهم حتى تعاصى عليهم فضى الفقيده في شرح
صباه مفادراً الاهل والخلان يرددون عليه زفريات التحيب والاسف ولا
غرو فقد كان رحمه الله شاباً نبياً حاد الذهن وكان بليغاً تشهد له
نقشات اقلامه التي اودعها الطروس وحفظتها الصحف دالة على ما كلف
له من الباع الطولى في فنون الادب وانها تحفظ له الذكر الجميل يردده
الملمون بفضل اولي الفضل ويعاودون الاسف على فقدته قبل ان استوفي
حق عمره لانه توفي عن ٣٠ عاماً صرف جلها في الانكباب على المطالعة
والاهتمام بالكتابة واندمج في سلك الخدمة المصرية ونال من لدهنسا
الرتبة الثالثة ثم تجرد في بيروت لكتابة صحيفة التقدم ولما انهكه الداء
انقطع عنها الى المعالجة حتى قبض فسال الله ان يستقي ضريحه غير
الرحمة ويلهم اهله صبراً جميلاً ويكتب لهم بذلك اجراً جزيلاً

وجاء في الطيب بقلم حضرة صديقنا العلامة الفوي الشهير الشيخ
ابراهيم اليازجي بعنوان رزء وطني

نعمي الى الوطن وآله والفضل ورجاله خطب يوم جنت فيه المحابر
ومسات المحاجر وقامت نوادب الفماحة ترثي موثي حبرها وانبرت خطباء
البلاغة توهن خطيب منبرها تعني به الكاتب البارع التحرير والخطيب
المفوه الشهير المرحوم اديب بك اسحق صاحب التبيل المعروف والذكاء
الموصوف الذي غاضت مناهل الادب لغيض بحاره وراح ولسان الحال
يشد في آثاره

استشعر الكتاب فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاكسوئت الصحائف وجهها حزناً عليك وشقت الاقلام
وقد استأثرت به رحمة الله تعالى في صباح يوم الخميس الثاني عشر
من هذا الشهر في معيفه بمحدث بيروت على اثر داء في الصدر اعياب
الاطباء علاجه وقدر سد على ذوي البصائر منهاجه ودفن بها رطب
الشباب غرض الاهداب غير منجاوز تسماً وعشرين مئة ملاً فيها الاسماع
والقلوب وطار ذكره في الآفاق بما لا تمحو اثره الخطوب وكان دفنسه
بمشهد سوادير من اوليائه واحبابه بعد ان قضوه سنة الوداع والتأبين
بنا يقنضي حق آدابه رحمه الله رحمة واسعة وافرع عليه سبحانه رضواه
وثوابه .

وقال لسان الحال

* مات الاديب *

قضى من كان في قومه للذكاء اوقد شعلة وللولاة اخلص طينة .
 وللوطنية امضى بنهما عزيمة والتحرير والتجوير امد باعاً ولا داب الجليل
 اوسع اطلاعاً اضعننا الرصيف وقدنا الزميل . فيا للنازلة لا تدفع ويا للقطب
 الذي لا يرد

اضعننا اديب بك اسحق عند غلس الخميس في الحدث احدث ارض
 المدينة . ثم نعي للبلد بلسان الرسل وما انتشرت مناعيه مسطورة الا
 بعيد عصارى النهار لما اصاب آله الفضلاء وخلانه من روع الخطب
 تتولاهم الحيرة بين واروه سفتح لبنان اجابة لدعوة اهل المكان الذي
 قضى فيه وبين ان يسيروا به الى المدينة امثالاً الى رأيه صحبه
 وسائر من قدر فضله . ثم غلب الراي الاول فدفن في مقبرة الحدث
 والعيون بالدمع شكره والصدور بالاسف ملأى واهل الادب بالدمعش
 يحفون وذوو المكانة يوه بنون

واما من اصاب السنهم عجمة الخطب وعنده المصاب فقد كانوا
 بالدموع يتكلمون وبشبه الجوانح وعطفات الجوارح يرثون
 وكان ارقاً من خطب (وانما برخيم صوت الكئيب ولوعة الشاكي
 ودمعة الباكي) جناب البارع الذي الفؤاد اسكندر افندي العازار ثم
 نلاه جناب الالمعي الاديب ابراهيم افندي الخوراني
 وكان في جملة من خطب واجاد الدكيان خليل افندي الخياط وسامي افندي
 قصيري . على انه لما كانت الشمس وشكة ان تغيب امسك كشيرون
 من الخطباء عن التابين ثم تفرق الحشد . الخديون الى منازلهم والبيروتيون
 الى بلدهم

« وبلي ذلك ترجمة حال الفقيه فاضربنا عن نشرها لورودها في

مقدمة الكتاب »

وقال الجنان

اخضفت المنون حاية شبان العصر الخطيب الفصيح الناضل المرحوم
 اديب بك اسحق من كان لعين البلاغة قرة وللوطن فرحة ومسرة
 قضى وهو في يافع الشباب غيسان لا يعوزه الا الصحة ولا يلزمه
 الا الشفاء اغتالته المنية وانشبت فيه اظفارها بعد ان طال به المرض
 وتمكن جسمه فابسه غصناً رطيباً في التاسعة والعشرين من العمر ولما
 سرى نعيه في الاقارب والاصدقاء تقطرت منهم القارب وشقوا الجيوب
 وبكوا الاديب بكاء لا يزيد به بكاء وحزنوا على فقده حزناً ولا حزن
 اخذناه فمن نادب سوء حظ الوالدين والاخ والشقيقة ومن نأضح على
 الادب اخاً حريم لفيد خطابه ونافع الفاظه الفعيفة واعرابه ومن
 ذكرك للفقيه اقوالاً وحسن معنى وسحر سبك جاء به رشداً وهداية
 ونحن في مقدمة الذين ينحبون خسارة الفقيه التجيب فنقاسم الجميع
 حزنهم واسفهم ونأبينهم⁹ ولو اردنا اظهار ما حام بالقوم من الكآبه
 والالم لانا الصفحات والسطور ولم ناتي بجزء مما يختلج في الصدور. قلنا
 ولما انتشر الخبر وذاع تسابقت كتائب القوم الى قرية الحدث حيث اقام
 الفقيه في هذه الايام يؤدون واجب التعزية للوالد وحزنه اشبه بحزن
 يعقوب والوالدة الشكلي الحزينة حتى اذا استكمل عدد الاصدقاء والاقارب
 صلى احد الآباء الاجلاء على الفقيه وبعد ان فرغ من الصلاة رفع
 النعش على الاكف وسير به الى المدفن وهناك استأنف حضرة الاب
 الجليل الصلاة عن نفس الفقيه

ثم ابنة جناب خليل افندي خياط معدداً محامده وحسناته ثم خطب من بعده جناب اسكندر افندي العازار مؤبناً النقيد بخطبة مؤثرة فان علاقه معه ومحبتة له لاشهر من ان تذكر ثم ابنة جناب المعالم ابراهيم افندي الحوراني فاجاد واحسن ومن بعده لفظ حضرة الدكتور بشاره افندي زلز تايناً جميلاً اعرب فيه عن حاسيات الجمهور ذاكراً خدام الفقيد المالية واعماله الكشيرة الى ان تكلم حضرة سامي افندي قصيري بعبارة رفيقة اثرت في القلوب عظيم تاثير ثم ردوا التراب على الفقيد وارفض القوم كل بكفكف دموعه ويشكو ما به من الم الحزن واسان حالهم يقول:

لا تأسفن على ميت له اثر ما مات والله من ابقى له اثر

وجاء في مجلة الانسان لصاحبها حسن بك حسني بعد قصيده الرثاء التي ادرجناها في قسم المراثي

ورد الينا المرقوم الاليم بتاريخ ٣٠ حزيران ينعي الى الصديق الحميم بل الخليل القديم ريحانة الادباء وغية الالباء وكانت وفاته في صبيحة يوم الخميس « ولا كانت» الموافق ١٢ حزيران في قرية الحدث في جبل لبنان وانني لانجمل وحرمة الادب ان البس الصحينة عليه ثياب الحداد كلا فلا يلبس الحداد الا على من مات اما اديب فلم يت ذكراً وان مات جسماً ولا يفقد اثرًا وان فقد عيناً احسن الله عزاء المعارف والاداب واجزل الصبر على امله والاصحاب وابق لنا شقيقه السالك طريقة الحائز صفات اخيه بما بضمن آمال المعالي فيه

وقد تلقينا الصحف العربية قاطبة فاعية نادبة شاكية باكية لفقد
 وعلى فقد رب البراعة وصاحب البراعة فرة جبين زمانه والحسنة الماثورة
 من اوانه اديب بك اسحق ولا غرو ان تدمع على اثره العيون وتتهيج
 الشجون وتنوح النواح على مثله فقد كان فاضلاً كاملاً واديباً اريباً ظهرت
 براعته وقهرت براعته قلم تعطرت حدائق الصحف بطيب نشره وتقلدت
 اجياد المعارف بالى، نظمه وشذوره نثره كان فخره التحرير ان كتب
 مقرر التقرير ان اعتمد بخطب مع كمال الفطن وجمال اللسن كان بدر
 الباب فاجته هالة الاجل وكان كوكب آداب ما اشرق حتى افل

المراثي

قال الأسوف عليه الرحموم الشيخ خليل اليازجي الشهير

اخلاق يجسك ان بيت كليل
 نهكته نضك في المطالب والعل
 يا راحلاً ابكى عليه محابراً
 تزنيك افلام يكون صريها
 تذكر الالك التي كانت بها
 وهي التي قد كن بين بانها
 كب بضاهيها لسانك خاطباً
 عن جهد نضك او يموت عليل
 حتى تمنى للفراق ميبلا
 ومنابراً ومحابراً وطللا
 نوحاً عليك من الامى وعويلا
 اصواتها الغريد والترسيلا
 قضياً وكان صر نهن صليلا
 وهو الذي للسيف كان مثيلا

خ

فوق المنابر لا يقل غراره
تحتاج منك الى خطيب مصقع
ولعل مثلك ليس بوجود عندنا
يروى ماثر عنك بقصر دونها
ويعد ما احصيته في مدة
ان كان قل مدى حيائك عندنا
فانقد ملات به السماع جرائدا
ما بين شرق في البلاد ومغرب
مستصحباً لك هممة نفاذة
وقريحة وقادة وبصيرة
لا يبعدنك اقه من ناه مضت
ان كنت قد اوحشت بيرونا فقد
فعلي ضفاف النحل منك مائر
انت الاديب كما سميت وحبذا
لك عندنا ذكرٌ يهب نسجه
فاذا تذكرنا شبابك ذاوباً
واذا تذكرنا خلاهك التي
واذا تذكرنا حديثك فالطلا
واذا تذكرنا معاسنك التي
فدايك من لدن المهيمن رحمة

لكن يكون له المضاء فلولاً
يعلو ثناً لك في الانام جويلاً
حتى نرى بك منك عنك بدبلاً
صوغ القوافي في ثنك طويلاً
قصرت ففات المرض منها الطولاً
فهايل مثلك لا بعد قليلاً
وقصائد ا ورسائل وفضولاً
لم فال فيه تغرباً ورحيلاً
وعزيمة مثل الحسام صقيلاً
نقادة تستوضح الجهولاً
معاه قلوب لا تروم هلولاً
اوحشت باريساً وشقت النيلاً
سالت فكانت ضفته مسيلاً
امم عليك زراه قام دليلاً
فيسيل من سحب الدموع سيولاً
رطباً ذكرنا للفصون ذبولاً
لطفت تذكرنا النسيم بليلاً
تسي قلوباً للحلا وعقولاً
غربت ذكرنا للبدور افولاً
تسي ضربحك بكرة واصبلاً

وقال جناب الشيخ سليمان الحداد شيخ طائفة الروم الكاثوليك

في الاسكندرية

بكيت للبين بعند البين ازمانا
 قد كنت ابخل في دمي فامسكه
 على ادبير به ايامه غدرت
 على ادبير اتى حسان آونة
 على ادبير له في كل جارحة
 على ادبير به ايامنا فقدت
 على ادبير له آدابه شهدت
 وعن ادبير اسال الدمع من مقل
 نقول اجداث قوم اذ يجاورها
 باحادث البين قد وارىت في حدث
 رمس حوى طود علم في جوانبه
 يا ايها الرمس هل تدري مكانته
 الفاظه الخيل في مضمار خطبته
 ما عالت القوم في مضمار من سلفوا
 هدمت هيكل جسم زانه ادب
 غمدت كالتصل في ارض بنيت لها
 قد كنت للعرب فسا في منابرها
 فاحدث الدمع في الاجفان اجفانا
 واليوم ابذله دراً ومرجانا
 فغادر اليوم في الاكباد احزاننا
 سحائب الدمع تبكي منه سحباننا
 عين ترى دمعا في الهي هتاننا
 كنزا من الفضل والآداب ملاننا
 في كل فن فلا يحتاج نبياننا
 لم يسأل القلب بعد العين سلواننا
 لله من جدث يسقي فاسقاننا
 من سفع لبنان بين الترب لبناننا
 قد صار للفضل والآداب اوطاننا
 وفضله كان بين الناس كيواننا
 غر المعاني عليها كن فرساننا
 اذ كان فضلك للباقيين برهاننا
 فما به رمت للآداب عمراننا
 فخرنا وحزنك فيها قصر غمداننا
 وللفصاحة فيما قلت حساننا

ض

توقد الذهن فيه كان آفته
قلنا به الصدق والايام كاذبة
ما زال يعني الورى من لفظه عملا
قد كان سامعه في قوله مثلاً
قد لازم اللحد والاقدار قادرة
يا شارباً من كووس البين نهلاه
اعداك دائر عدو الفضل نحسبه
آيات حق لنا كانت رسائله
نبيكي البصائر والابصار آسفة
يدعي ادبياً وهذا الوصف منتشر

اذ كان افراطه للنفس عدوانا
وليس ما اتبع الغاويث اغوانا
حتى ارتدى قده العسال اكفانا
واليوم اضحى بخمر الحزن نشوانا
على شجاع وان لم يرض اقرانا
ابقيت كلاً الى لقياك عطشانا
فليت فضلك قبل البين اعدانا
فكلما قلته ما كان بيتانا
من كان منه لعين الفضل اناسا
فكل من ذكر الآداب ابكاه

وقال جناب الاممي وديع افندي الخوري

شقت عليك قلوبها الاخوان
وبكتك اقلام الرثاء بكفها
دمع يسود طرسها بمداده
تحشى الطروس لهيبه فكانه
مدد الدجى ليلاً على ليل الاسى
قد مرت من دار الغرور الى بها
فهنالك لا غدر ولا شر ولا
يبدو هناك الامن ثم الخير ثم
لو كانت الاصحاب تكتم ما بها
او كان صرف الدهر يترك فاضلا
ولى الذي لم تبد درة نطقه
ما بعدها ستر العزاء يمان
فجرى لفقدك دمعها المتهان
كالكحل تجلو حسنه الاجفان
فار المصاب بغيرها الاجفان
ودجا فاهما له الرجحان
دار يهاض بها لك الاحسان
در ولا كدر ولا احزان
البشر ثم اللطف والرضوان
من حرقه لاذعه الكتمان
جزع الغرور اليه والمتهان
الا غدت بتنازع الازمان

جبلٌ احل بقلبه لبسان
 فبكل قطر تكرم الضيفان
 يشجو الفضا ويحبيبه الاخذان
 بغياً فلا صبر ولا سلوان
 شعر لحر معابهم وبيان
 لعبت بها من ذكرك النيران
 جاءت بها الافلام وهي عوان
 مرت عليها للفنا ازمان
 ولى علينا انه انسان
 راح وما بسطوره ريحان
 وهنا نظرتهم وهم خرسان
 للفصح عنه مقلة وجنان
 حي فليس يميته نسيان
 وفرت بها الامماع والاذان
 شكت الرفاق وناحت اثلان
 تلك الجيوب بشقها الاخوان
 دمعاً عليك تسيله الاجفان
 قس الزمان وقد قضى سحبان
 شامت بها عقد البهاء حسان
 ظهرت لنا بطروسها اغصان
 يبدو وانت لعامها نيسان
 اعمى يحل بكفه الميزان
 فضلٌ ويعلو من به نقصان
 بك لاحق لما يحين اوان
 والموت ذئب خاضف غرثان

اني لا عجب كيف خر من الذكا
 يا قبر اكرم وقد ضيف قد اتى
 اني اعزي والدآ بنحبيبه
 قصفت يد الحدثان غصن حيانه
 اخٌ ووالدةٌ وصحبٌ قد رثى
 صحبٌ اذا بغت العزاء قلوبهم
 ثارت على الابام حرب اسى لقد
 مات الذي احبى البلاغة بعدما
 لطف الملاك بشغره لكن مذ
 ويراعه مثل وما بمداده
 عهدي بصحب اديب اسن كلهم
 حصر المصاب بيانهم فجرت لهم
 ذكرٌ للطنك في صميم فؤادهم
 ضربات يا أس في قلوبهم فقد
 بكى النعي جزع الحجي فلق الذكا
 شقت جيوباً للمصاب واتيمت
 لو دام قلب لم يشقى رأيه
 عزوا الحابر والمذاير قد مضى
 نقشات صدرك مذبت تهدي السنى
 تبدي لنا ثمر الحجي كرمًا وما
 حفظت لك الآداب ذكر ازهره
 شمت الزمان وقد عرفت شوؤنه
 يهوي به من كان مل طباعه
 يبكي عليك المصحب لكن كلهم
 فهم ضنين واخياة حطيرة

وقال جناب الكاتب البارع ميخائيل جورج عورا في جريدته البيان

وفدت علينا صحف بيروت ناعيت لنا فقد الكاتب النحير رب
البراعة والتحرير وقدوة اهل التجبير اديب بك اسحق فلما شاع الخبر في
القاهرة ثارت لواعج الاحزان ونوت القلوب الاشجان وملك الزعدة
الخواطر وفاض دمع المهاجر وشامت الوجوه وخشعت الابصار وحارت
الافكار فيارحمه الله على رجل الادب وطود العلم ونجم النفل الآفل
ورفيق المجد الراحل وكوكب الاوطان وتاج هذا الزمان
بربك ما هذا الذي دكدك القوي

تزلزل رضوى او ممت اديب

اديب وما ادري الوري بقدره هو بديع زمانه وشحبان دهره قضى
الادب بما تم نخبه واسال السكون على مشرق ذكائه غربه اجل فقد
ذهبت الحكمة والوقار وشجبت الدراية والاختبار وتفككت اوصال اللطائف
وانهمرت ذوارف المعارف فياراحلاً عنا وقد سجل على القلوب بالاسم
وضيق على النفوس رحب الزمان حتى لا نجد الصباح امثل من الماء
ياي لسان نوفي حقوق رثاك وكيف يجمل التصبر على طول نواك

الصبر ليس على فراقك يحسن

ولمثل هذا الخطب تبكي الاعين

يا من تحركت النفوس تأسفاً

لرفاه هيات بعدك تسكن

فلئن تمكن منك سلطان الردى

فنفوسنا فيها الاسى متمكن

يا عين جودي بالبا وتكلمي

بمدامع ان المدامع السن
 هل ثم عين لم تجمد بدموعها
 لطفاً عليك ومقللة لا تحزن
 او ثم قلب لم يمزقه الامى
 او هل هنالك قوة لا نوهن
 بالله ما الدنيا بدار بيتغي
 فيها الثوا وبطيب فيها المسكن
 كلا ولا للدهر عهد يرتجي
 منه الوثوق وليس منه مامن
 والارض يورثها الاله عباده
 وهو مسيه نفسه او تحسن
 كأس المات على البرية شربة
 حتم ومنه ليس بنجو ممكن
 كيف النجاة من المات وهذه
 جند المنية بالاسنة تطعن
 ام كيف بطمع في الصفاء فتي له
 بالعطين والماء المهبين تكون
 والمرء مرعى الموت فهو اذا نجا
 منه النهار ففي غد لا يمكن
 لا ينفع الاسف الففوس ولا الاسى
 الكف اولى والتصبر احسن

وقد وردت الينا المراثي الكثيرة في تأبين الفقيد رحمه الله وغفر
 له في دنياه واخره فنحن ندرجها عند سئوح الفروع واولها رسالة لحضرة
 البارع عزيز افندي الزند من منوف تقضب منها شيئاً من ثمرها الصادع
 وانظها الرائع ومطلعها

(ب)

ردد الفوح صباحاً ومساءً ونجدد لتباريح الامى
وابك بكاء الخنساء وارسل زفرة البأساء والهمساء واذرف الدمع
واخشع لهذا الفجع فقد اغتالت المنية اديب الدهر وسحبان هذا العصر
الى ان قال متوجعاً

اهأاهأ عليك وحسرتاه كيف تركت ايها الاديب اخواناً لك يهلون
نار فجمعتك بعد ان برح بهم اسي فرقك ان الصحائف لتبكيك وان
الاقلام لتعريك ولتفديك العلوم والمعارف واللطائف والموارف انا لله وانا
اليه راجعون

وقال حضره الفاضل عزتو حسن بك حسني صاحب مجلة الانسان

أهوني اليوم جدد لي نجبي
وقم نبك على ذلك الحبيب
أعوني كيف لا تجري شؤون
على شأن قضى نحب القلوب
أعوني دمت خبرني لماذا
تبدت المسرة بالخطوب
أمن حدث الى حدث تولى
اديب العصر ذو الخلق الارب
ام الشمس الهيرة قد توارث
ولم يك ثم من وقت المغيب
ام الفعن الرطيب ذوى وكانت
حدائقه رياحين اللبيب

(ج)

اسفت نعم اسفت على صدقي
بكيت نعم بكيت علي ادب
فقل للزهر غاب البدر فابكي
وقل للارض حزينه فطبي
وعز اليوم ابكار المعاني
فقد فجمعت بمنطق خطيب
وشوه وجنة الاوراق حزناً
لتبدي وجهه مذلول كئيب
وناد القوال والتحرير جمعاً
لتهدب فقد قوال كتب
وسل عنه القلوب علام شقت
على اثر السرائر والجيوب
وكيف يموت من احبي الايالي
وكيف يصاب ذو الراي المصيب
فني قد كان الاوطان عيداً
له من شأنها اوفى نصيب
فني افني الشباب نهي وفكرآ
وادرك حلم ذي الراس الخضب
به ازدهت البراعة واستغارت
براعة روضها الزاهي الخصب
فيا لهني علي خل وبيني
عليه خان دهرية بالكروب
ويا ولهي علي ثاو وحيد
بهيد الوصل في فصل قريب

(د)

بکیت فقالت الآداب ازخ
افتم وفا علی منوے ادیب

سنه ۱۳۰۱



منتخبات

✽ الكاتب الناصر الشاعر الطائر الشهرة والخطيب المفوه المرحوم ✽

أريب بك اسحق

(ضمن اربعة اجزاء)



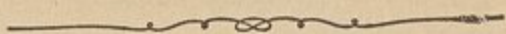
الجزء الاول

« يشتمل على مختارات اشعاره »



« ثمن كل جزء على حدة فرنكاً واحداً »
(وثمان الاربعة اجزاء ثلاثة فرنكات)

تنبیه * تسهیلاً لاقتناء هذه المتخبات قد جعلناها ضمن
اربعة اجزاء



الجزء الاول : يحتوي على مختارات اشعاره الرقيقة رحمه الله

الجزء الثاني : يشتمل على مقالاته الرنانة في صحف الاخبار

الجزء الثالث : رسائله البليغة

الجزء الرابع : خطبه في الجمعيات التي رأسها وفي المنتديات الخاصة

باع في مطبعة الآداب بالاسكندرية لصاحبها * امين الخوري

الباب الاول

✽ مختارات اشعاره ✽

قال لواقعة حال جرت عام ١٨٨٣

في حب بانتنا لا بانه العلم
 فخلّ سلماً وسل عن حال عاشقها
 يابارق الليل ان جزت الجزيرة قف
 ويانسياً مرت من روضنا سحرًا
 وان مرت بغربيّ الديار على
 فشم انقاس من اهواه مغنية
 هناك هلت بركات الغرام لنا
 وركب الحب في نلبي قوالبه
 حب اصاب شغاف القلب اسهمه
 لم انس انس نهار بالرياض مضى
 دارت به الراح من كف الحبيب ولم
 وهياء الراح اسباب الغرام لنا
 حتى اذا تم ما ابدته اعينها
 روت لعاشقها معنى الهوى فنسى

بديع نظمي اخشى ايه منتظم
 فتلك نار الغضا لاحت بندي سلم
 فتمّ اول عهد الوجد والالم
 تحلي وجد صب فاقد النسم
 معاهد الحب والاشواق فانعدي
 عن كل ما في رياض الارض من نسم
 ومته هلت دموع العين كالدم
 قسراً فهان دمي فيه وها ندمي
 فبات مغرى متى يعذل به بهم
 مجانساً لنعيم الصفو والنعم
 نحفل بعود يزيل الغم بالنغم
 والجمران تأتته الارواح يضطرم
 من الجوى منذرات فيه بالسقم
 حديث قوم قديم عهد حبههم

وقال

بابي افدي حاظآ وفمآ اوردني منه سلمى كوثرآ
 لا تلوموني اصيحابي فمن لام لا يدري ومن ذاق درى
 ياله ثغر لطيف قد اذا قَ لسيع الصدغ تر ياق الشفا ه
 قد صفا حتى نفى عني الاذى يا خليلي فبالله صفا ه
 يا مهة الخدر لي قلب اذا ما غزاه الغدر يحميه وفا ه
 ايد الايمان في الحب وسن سنة العشاق ما بين الورى
 وعيون قدابت وصل الوسن فهي لا تعتبه ان هجرا

دور

بابي افدي التي قالت سلوا هل رأى العشاق مثلي في الملا ل
 ان يكونوا رسل الحاظي ساوا فبخدي للذي يهوى بلا ل
 سحرتهم لحظاتي فابتلوا بهواها ياله سحرآ حلا ل
 وجمالي كل ذي قلب قا ن ولارباب النهى قد قمرا
 وسلوا في الحب شيخنا وفتى برعيان الليل في القمرآ

وقال

بروحي هيفاه اذا ما تمايلت نقول نسيم مرآ في دوحة العطر
 اقول لها عينك شغفا اصابنا فوادي وهذا القد بالطعنة الوتر
 فيابانة بانث فيان سرورنا وبانت فيان البان في الحلل الخضر
 نصبت شراك الحب واصدتي فلم جزمت بان بيني فوادي على الكسر
 وعهد الهوى وعدو ووصل مؤمل وعهدك وعدو مطلقه طائل الهمر

وقال وفيه سلامة الاختراع

مدحتك لا املا في النوال وان كنت ممن ينيل الامل
 ولكن رأيتك فذا بارضِها كل فضل بها للهمل

يقول وتفعل ما قلته وما كل من قال قولاً فعل
 وشمت القريض كثير الكذاب ونجم الحقيقة عنه أقل
 نجحت بمدحك اصدق فيه ارادة اصلاح هذا الخلل

وقال في رواية عن لسان ذي فتوة

كملت افئدة الرجال بصارم تقوى به الدعوى وان لم ينطق
 راع المسائل مزه ومضاؤه حتى تمى انه لم يجلس

وقال في مثل ذلك

ضياء الشجاع ظلام الوغى بسم الرماح ويض الظبي
 ويرق الحسام غداة الصدام لغيث الحمام نعيم الغنى
 ومجد الشجاع الذي لا يرع بيوم القراع اختطاف اللوا
 اذا قدر الله موت الفتى فمامت مرد فذاك القضا
 وانا لقوم نعد الحياة مع اللذذ دون البلى والفتى
 نبعد الجموع ونشقي الربوع ونجرب دموع العيون دما
 فان لم نبارز فمن للزوال وان لم نناجز فمن للوغى

وقال يرثي فقيده الادب والاجتهاد سليم افندي الخوري

احد صاحبي اثار الادهار عام ١٨٧٥

جار دمعي فدمعي منه جار واصطباري ما ان يوارى أواري
 أي نذب وحبينا فيه فرض نجعتنا به يد الاقدار
 عهدنا في دياره ياأس الا س وتشدو على الغصون القاربي
 ونرى الآن وحشة الحزن فيها بنواح الحمام في الاسجار
 يا هلالاً في القبر ما كان قبر قبل ذا من منازل الامار
 لم تغب عن بصائر الناس لكن غيبتك العليا عن الابصار
 فبكتك العيون وهي عيون فأنضات من واسعات البحاري

بل بكتك الظروف نظماً وتراً
 ورتاك التاريخ فينا فابقى
 نحن نبيك والمعارف تراثه
 طاب فيك الثناء نشرافاً ففاحت
 وتولى لسان حالك عنا
 ان آثرنا تدل علينا
 فهو سفر انشائه بعد طول الـ
 وقضى الموت ان قضيت ولم تد
 باصديقي سقت براك الغوادى
 بنت عنا فما خلا قلب خل
 كلنا مذ دهاه خطبك بالك
 وبك الآب والرفاق استموا في
 لبسوا بعدك السواد ولاحت
 ولئن اكثروا البكاء وناحوا
 فعلى مثل من اضاعوه بيكى
 في الثاكلات فيك تجارے
 في القلوب الاثار للادھار
 ك على اثرنا مدے الاعصار
 نجات من ذكرك المعطار
 ذكر قول يفيد للتذكار
 فانظروا بعدنا الى الاثار
 بحت والجهد فيہ والاسفار
 جزه والموت حاكم ذو اقتدار
 او عيونى فانن جنوار
 في حمانا من حرقة واوار
 نأخ طول ليله والنهار
 الحزن جوداً بمدمع مدار
 يمداد حديقة الاخبار
 دهرهم لم يلهم ذو اختبار
 لا على درهم ولا دينار

وقال تاريخاً له

يا بني الخوري على كل الورى
 يؤجر الصابر في المحنة ان
 قصفت ریح الوباء من دوحمك
 فتلونا فيه بالتاريخ ان
 حكم هذا الموت جار فاصبروا
 ارخوه او بفوز بظفر (١٨٧٥)
 غصنا فيه المعالي تزهر
 قصف الغصن هواء اصفر ١٨٧٥

وقال في جواب ورد اليه من عبد الله افندي كجيل

نزيل دمشق عام ١٨٧٣

حمل الريح سلاماً واملاً الارض غراماً

واجعل الاشواق كأساً واشرب الدمع مدا
 واصحب الذكر نديماً ان تكن ترعى الذمما
 وخذ النجم سميراً وامنع العين مناما
 هجر الحب فصار ال نوم والانس حراما
 ملني مذبت فيه مستهانا مستهاما
 ايها الظبي الى ما البعد عني وعلى ما
 قد نسيت العهد والو د غدرت الوثاما
 ان تكن تؤثر بعدي يا اخا الحسن ساما
 فانا يا مالمكي عبد على العهد اقاما
 زادني البعد على ما في وجداً وهياما
 كلما هب نسيم اسكب الدمع سجاما
 اسهر الليل كثيراً وارے الناس نياما
 وانا راض بما نقضي فلا تحشى الملاما
 قد سلبت البدر والغصن حيا وقواما
 وتخذت الراح والبرق رضاباً وابتساما
 وجعلت الفرق والفرع صباحاً وظلاما
 فلذا نهدي ونغوي بعمانيك الاناما
 ايها العاذل لا تستطر الغيم الجهاما
 لم وفند واملأ الدنيا ملاماً واتهاما
 لا ارى عنه عدولاً فليذب من فيه لاما
 سائق الاظمان بطوي ال بيد جداً والنزاما
 كرمماً بلغ مهابة الحي عن ميت سلاما
 واختصر في شرح حالي والتم الارض احتشاما
 يا لقومي ان وجدسي اتلف الجسم وداما

نزعْتَ نفسي الي حبي به الطيبي اقاما
 من مجبري من غرام اوهن الجسم سقاما
 في سبيل الله نفسٌ فقدت آما وعاما
 ترجيبي في الحب خلا لا يرى فيه اضطراما
 ذاك عبد الله من قد اتخذ الود وساما
 لست قد بات للفضل مقاماً وقواماً
 جاءني منه كتابٌ شامه الطرف فهاما
 اخجل الدر ابتداء وازدرى المسك ختاماً
 باكثر فضل قد زلت للشعر كلاماً
 فرأينا لك شعراً علم السجع الحماما
 كان لي منه سميرٌ ومدام وندامى
 بابي انت فقد اصحبت في القوم اماما
 يا صديقي والليالي تلبس الرأس الثغاما
 كيف ترجو النظم من زود العشق سلاما
 وتنامى عهد ظبي سلب الرشدا الاناما
 مدل السر فقالوا اتحف البدر الغماما
 فغدا بيسم حتى فتق البدر الظلاما
 قد مضى عهد غرام كان في القلب ضراما
 وهجرت الشعر لما اه نضم العمر اهتضاما
 وعجيبٌ شان طفلٍ رام في المهد الفطاما
 فاعف عني وتقبل يا اخا الود السلاما
 متع الله بك العا سم واعلاك مقاما
 وارانا منك بدرًا في سما المجد تاما

وقال عن اسان بعض الاصدقاء في زفاف الخواجا

خليل والخواجا عبد الله ابوشقره

ارياض انس فتحت ازهارها	و شدت على اغصانها اطيّارها
حيا الريح بنوره ارجاءها	فتوقدت من نوره انوارها
وغدا يطارحها الهوى مستترا	فبدت بالاسنة الهوى امزارها
ام جنة ولدانها قد غافلت	رضوانها غلسا وجد فرارها
فسعت الينا حورها في اثرم	اذ عن من بعد البعاد قرارها
وبه ضياء وجودها في دارنا	ليلا كما كانت تضي ديارها
أم نحن في افق وهذه انجم	قد ضل في جنح الدجى غرارها
هنتم فلقد اصبت حقيقة	هذه السماء وانتم اثمارها
دم يا خليل مهنتا بعفيفة	من للربيع بما يضم ازهارها
واهنأ بآبيلي اجد الله ما	وافاك من سحب الدعاء مدرارها

وقال

فدتك نفسي ثبت في مقاطعتي	ان التثبت منجاة من الخطل
ولا تدعني وليل الريب اسره	مقلب القلب بين اليأس والامل
وكن كما شئت في الخالين ممتدحا	والشمس رأد الضحى كالشمس في الحمل

وقال ادمحا فقيده مصر المغفور له محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب المصري وذاكرا هجوما ضابط الجنده علي منزله في خلال الفتنة العراية وبعض هذه القصيدة نظم قبيل السجن والنفي وبعضها في سجن المحافظة بالاسكندرية ١٦ ايلول سنة ١٨٨٢

هو الوجد حتى لا تحف النواظر	وحتى تغيب الروح والجسم حاضر
وما الوجد الا النار قد شبا الهوى	فما اطفأتها الدامعات المواتر
فلا حل جسا لم تدبه صباية	ولا ذاقه من لم يم وهو صابر

ولا در در الوصل فيه لطاب
متاحل ضم الوجد حتى يجرود لي
ويي واي من لو بدا نور وجهه
ملك جمال عز نصرًا بحسنه
فيا ثغره اني سمك لحاظه
ويا قدّه عوذ بعدلك حسنه
خليلي والايام لم يبق صرفها
اما في سبيل الله عون على الهوى
ام الدهر آلى ان يضم كريمه
وكيف وسلطان الوفاء محمد
هام اذا لاذ الضعيف ببابه
ولو رامه الثبت التوي بنظرة
غمام اذا اعطى حمام اذا سطا
له همة من دونها السيف ماضيًا
ورأي هدي اهل السرى بضيائه
وما شئت من فضل نظيم وسوّد
وجد مباري مجده فيه خامي
وعزم مداني نصفه عنه خائر
اقام على تلك المحاسن حجة
فسل عنه نوابًا رأوا نور رايه
وسل عنه اهل البيخي اذرد كيدهم
ولم بألهم نصحاء ولكن اضلام
ذابو بفسران وبأوا بمسرقه

يخالف منه باطن الامر ظاهر
بخييل وحتى يانس الحب زافر
لعاد عدولي في الهوى وهو عاذر
له حاجب يحمي لسانه وناظر
وانت برود والحفاظ فواتر
الست تراه وهو في الناس جائر
خليلاً يوامي او صديقاً يوازر
ولا في سبيل الحب للقلب ناصر
فدارت على اهل الوفاء الدوائر
مؤيد امر الحق بالله ظاهري
تعامته فيه الحادثات الدواغر
لرد اليه طرفه وهو حاسر
فمنه يباح العرف والعرض واقر
مضارعه في الدهر ناهٍ وامر
كما ارشدت ركب السفين المتاور
عظيم عليه من نقاه شعائر
ومجد مجاري جده فيه خاسر
وحزم معاني وصفه منه حائر
من الفعل اعياردها من يكابر
فضاءت به ابصارهم والبصائر
وقد غرهم فيما بنوه التكاثر
اذلاء في ليل الغرور عواثر
وكسر قلوب ما له الدهر جابر

و يا يوم واقوا لاجئين كأنما
عليهم من اليأس المبين علام
وجوه عليها صفرة الغيظ مثلما
فالتقوه طرداً لا يبالي بعاصف
وقرماً بامرار السريرة ظاهراً
ومستهمكاً في الله لا يرهب الردى
فعادوا سكارى لا يخمر سوى التي
ولولاه ما هلت بدمع عيونهم
ود انحل نطق البحر والبحر زاجر
تعلم خوف المول من لا يحاذر
تفتح عن اهل القبور المقابر
وليثاً هثوراً لم ترعه المخاطر
وحرراً باضار الضمير يجاهر
اذا رهبته في الزال العساكر
ادارت عليهم في الديار المحاجر
سوى ما اعدت يوم تأتي البشائر

« الى هنا ما نظم قبل السجن »

وما يليه من منظوم في السجن

أمولاي هذا نظم حرّ ونزه
اتوه بنكر وهو للعرف مرتج
وما وجدوا ذنباً له غير انهم
ابعد ذو فضل وبدي منافع
ويكرم جاسوس عن الصدق حائد
ويرفع غمام عن الريب كاشف
بذا قضت الايام ما بين اهليها
على انبي والشين تأباه همتي
فان لم تفدني للوفاء اوائل
وما ارتجبي فيه من الناس نائلاً
فيا من تولاني فملت بقربه
مقام اخي فضل وشهية كامل
كلام سجين اوثقته المآثر
وجازوه بالخزلان وهو مناصر
اضاعوا له عهد الوفاء وما دروا
ويسجن واف حين يطلق غادى
ويظلم هام على الحق سائر
ويخفص كتاب على العيب سائر
معائب قوم عند قوم مفاخر
لراض بعقبي ما وفيت وصائر
عقدت رجائي ان تفيد الاواخو
ولكنني للبر والعرف ذا كور
اماني عنها جهد غيري قاصر
وصيتاً له نشر من الذائب عاطر

وصحة سادات كرام بثلهم اذا كثرا لاعدائه بث اكثر
 ساشكو زمان في شاكرًا ما حبو وتني فها انا طول الدهر شاكر وشاكر
 وما صغرت نفسي لامر يربها ولا انا مما نايها متصاغر
 كفاني من الدنيا وجودك سالماً وحسي من الايام انك ظافر

وكتب اليه يهنئه بعيد الاضحى بعد انقضاء الفئنة العراقية عام ١٢٩٩

وقد جاء في مطلع رسالة ياتي اثباتها في كتاب رسائله

ما العيد الا ان تكون سعيدا فيعيد مجدك كل يوم عيدا
 ليبت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا استيغال وعيدا
 فجعلت بعد مني السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا
 حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائنين شهودا
 اضحى على عرفات عزمك كل من ضحى لفضلك مبدئاً ومعيدا

وقال في جمعية زهرة الاحسان عام ١٨٨٠

ما كان للمسكين من نساء في الفقر كلاحسان من حسناء
 يجلو سواد زمانه منها يد ييضاً تشكر من يد ييضاً

وقال

الى مَ الدلال وفي مَ الملام نغلي المطال وعودي عن الصد
 لقد كفرت ادعني الهاطلات ذنوباً جناها حسامي المهند
 وان كان ذنبي عظيماً فهذا حساب الذنوب بدمعي مسدد
 هجرت المنام لفرط الغرام وسامرت في الليل بدمعاً وفرقد
 فوادى عشيق وفيه خفوق ودمعي ظليقي وقلبي مقيد
 ومازلت عبداً ولاخت وداً ولا سميت صدأً وعهدي مؤيد

وقال قدأ

جور دهر لا يبالي * بتلافي ووبالي
 بات جسمي منه بالي * وهو بالاولجال جال
 قد جاري دهرى * فحوت سيفي امرى
 وما من الدهر يجير

(دور)
 بالدهر من اذاه * طاب للجسم بلاه
 كيف انجو من بلاه * وهو بالفصال صال
 يا خالقي الكون * كن في البلا عوني
 فانت لى خير نصير

وقال

الآن انت كما ترضى العلى رجل يلقى الصروف بقلب ما به وجل
 قد نلت نصراً على نصر وخبرها نصر غريمك فيه الاعين النجل

وقال

في مما الانس لدينا * قمر الاصلاح لاح
 وبما اهدى الينا * طائر الافصاح لاح
 قد نأى شر العناء * واذى الاتراح راح
 فسكرنا بالهناء * انما الافراح راح

وقال عاقداً بتشظير بيت للمتنبى

نالت مزيد الهنسا انفسنا من بعد ما كاد يقطع الامل
 قدمت يا بدر يا غامة يا على الدرر يا هام يا بطل
 ياشهم يا سهم يا مهند يا ليث الشري يا حمام يا زجل

وقال وهو مفاد ايات نقولها اندروماك زوجة هكتور لهرميون
 زوجة بيروس مستشفعة عندها في ابنها من رواية اندروماك
 المعربة بقلمه الفرنسي لرأسين

مهلاً فأتى في حماك ومالى * من زلة كى تقطعي آمالى
 غادرت بعلى في القتال ومالى * والدمر لى كاس المذلة مالى
 لله من ذل العزيز العالى

قدصنت امك يوم راموها بشر * ومنعتها من ان يدانها بشر
 فاحمي فتي الف السكابة والكدر * حيران ما بين السلامة والخطر
 من سقمه اضحى خيال خيال

ابكي على ولدي ودمعي جار * كالغيث لكن ليس بطنى نارى
 سلبوا بما طلبوا يسير قرارى * لا تسلموه فان حفظ الجار
 فرض على اهل المقام العالى

وقال

انصكر حبي والمدامع تبديه
 وينشره سقمي وصبري يطويه
 اتيتك والامال ملء خواطري
 وقلبي صاف والزمان مصافيه
 ووافى بانواع الوفاء الهوى وما
 فهمت بواديه فهمت بواديه
 فبات الجوى نحو الجوانح جائحاً
 فخل بنادي القلب وهو بناديه
 وما زال قلبي وافياً في شقائه
 متى انت تشفيه وحتى م تشقيه

وقال

منذ تردي الانق ثوباً
 من رقيق النيم لاذ
 وكسا الروض قباء
 لؤلؤياً من رذاذ
 قلت للحب وقلبي
 من اذى الحب جزاذ

خافك البدر لهذا بذبول السحب لاذ

وقال في السجن بالاسكندرية عام ٨٢

لئن حبست بلا ذنب ولا حرج فلي يراع بغير العرف ما انطلقا
ولي فؤاد امين ان صفا ووفاء ولي لسان بغير الحق ما نطقا
ما للمؤذن لم يسجن بارضكم ان كان يسجن فيها كل من صدقا

وقال

وارخص دمي للضعيف اذا شكا ودمي لئنفسى في النوازل غال
طوت بدم السافلين كما بدا بمظهر طعن الناقصين كالى

وقال

من حاجبيك مقاتل وحييب ومن اللواحق مسقم وظيب
غازلني وغزون قلبي فانتفى وله الصباية بالعذاب تطيب
وجوارحي ان لاح حسنك السن ولهن من نصب الخيام نصيب
لم انس انك يوم عقد عهدنا والوجد داع والوفاء مجيب
فقسمت ان لا انقسم لي جمع الهوى وطرحت قلبي حين كاد يذوب
يامن على قلبي نولت لا لوت صبري على هذا الصدود عجيب
لا تعدلى عنا وفينا فاعدلى فالعهد في عهد الوفاء قريب

وقال في مشكلة سياسية وقعت بايطاليا من جراء

خلاف جرى بين بعض السياسيين في

احد المراقص

فيارب حتى في المراقص عندهم مشاكل فيها الانام شرور
بدورون بالغيد الحصان رواقصا على نعم والدائرات تدور



وقال مخمساً

غرامي غريمي والهوى باعث الجوى

وقلبي بنار الوجد فيه قد اكشوى

على انني والقلب تلفه النوى

كنت الهوى حتى اضر بي الهوى

وباحت دموعي بالغرام وما يحى

وقال

يا قلب صبراً فان الصبر محمود

قد بت احسد من ذاق الكرى وأنا

رشدى وقلبي مما قد منيت به

والصدر والقهر في ضيق وفي سعة

والطرف والشوق في ماء وفي لب

لا التقي طرباً لوراح بنشدني

كيف السرور لقلب انسه ابدًا

وان عدت المنى فالاجر موجود

في ظاهر الحال عند الناس محسود

دون الاماني مفقود ومفود

والضر والصبر موجود ومفقود

واليأس والانس مقبول ومردود

لحن الزبور علي الاوتار داود

بالهم والغم معقول ومعقود



وقال في مليحة دعيت الى المخاصرة في احدى المراقص

وهيفاء تعدو الى الحرب رقصاً

على نغم العود ثم الكنجبه

بقدم كرمح ولحظ كسهم

وجفن كسيف ونهد " طنبجه "

وقال

رفقاً بمهجة صب * اضناه هجر وصد

ثلاثة نيمته * شوق ووجد وبعده

ثلاثة هيئته * نوح وذكر وسهد

يهوى وما لهواه * ولا لمن يهوى نده

فقدته العن فيه * طير الخاسن تشدو

ووجه البدر منه * نور الملاحة يبدو

وشاهد الحسن فيه * ربق لمن ذاق شهد

ابدى لنا الروض منه * قد وثغر وخذ

واين في الروض منها * غصن افاح وورد

وقال

ايها السامي الى اعلى العلى

ملك انت عظيم ام ملك

عزمك الماضي تولى الناس ام

سلب الالباب منهم ام ملك

(٥)

لحمك المجد وافي وافيًا

والعلي دون الملا قد أم لك

جئت ارجوك سلامًا ورضي

لا تخيب ظن من قد املك

وقال

احن لذكر الدار والقصد اهله
اقول اذا لاح العذول مورياً
فاشتاقهم واحب شوق وتذكار
عليك سلام الله ابته الدار

وقال

يا رسول الحب اهلاً وسهلاً
كرر الذكر فهو ما مر يحاو
ورسول الكريم عندي كريم
يا رسول الرضي افي الحي مولا
ام شجاء من الجوى ما شجاني
واعد ما حملت فهو نسيم
ك على الانس والهناء مقيم
فهو منه في كل واد بهيم

وقال غن لسان تاكلمة قد اموشحة

« يا غزالي كيف عني ابعدوك »

مزقوا قلبي ولا تبقوا علي

واندبوني واندبوا قبلي بني

مات صبري بعده والجمم حي

ساعدونى يا لقومي بالدموع

(*)

با لخطب من اذاه في القلوب

نار حزن زادها الدمع شبوب

ما كفي في مثله شق الجيوب
اسفأ يا قوم بل شق الضلوع

وقال في مثل ذلك

ابكي على فقد الحبيب فرجعوا	ان البكاء لغيره لمضيع
مات الحبيب فاي قلب لم يذب	اسفأ واية مقلة لا تدمع
مات الحبيب وقد تحجب بالثرى	ومن النسيم عليه كنا نزع
فعضى الفؤاد به التجلد آيساً	والدمع فيه لمن بكاه طبع
والبدر تحجبه الغيوم كأنها	ثوب الحداد فلا تراه بسطع
والشمس يخبرنا السحاب بانها	ماتت عليه انى فديست تطلع
احمامة الوادي لقد اسعدت من	قبلي الكئيب فرجعي وارجمي
نوحى عليه فانه غصن على	ما ليس يعدله الحمامة نسجع
ولانت يا قلبي لمصرعه احترق	حزناً ولو هطلت عليه الادمع
وتنتضى يا مهجتي لمصابه	قد خانه من فيه لا يتقطع
وتفجعوا يا قوم ما شاء الاسى	فالخطب فيه يعذر المتفجع
وذروا الجيوب فما اثق لفقده	فلمثل من نبكي تشق الاضلع

وقال لواقعة حال

دردحة شوهاء لا نسمع في بغائها عزلاً ولا ملاما
هذا وفي الدار فتى ذو نعمة فكيف لو كانت من الايامى

ونال في معاهدة عقدت على منع بيع الرقيق

ابرموا العهد ايما ابرام وجعلوه موثق الاحكام
نقشوه باحرف لامعات في سلور تحكي عقودنظام

وتلوا منه للبشارة حكماً
 انما الناس في الوجود سواء
 كلهم من اب وحيد دعوه
 وحده كما رأيت بياناً
 او هم في اعتقاد من سوف يجزو
 حيوان قدر كفته الهبولي
 وتداعى الى التوالديغي
 فنادى الى التكاثر مما
 وهو قول ادنى الى الفهم لكن
 ودليل قول الكلامي ان ال
 حكمة فاقت العقول سمواً
 ولتعد الى الرقيق في السوق فالنج
 حظروا متجر الرقيق عايه
 امره ان لا يبيع جهاراً
 ومن الذنب افرغوا العذر درعاً

ليردوا بها سهام الملام
 حيث قالوا ان لم يكن من يطيع ال
 امر طوع النعال الاقدام
 فانبتونا من للعجاب والبا
 ب ونقل الصحف وقت الطعام
 ولبسط الفراش والكبس والنج
 ت وما بعده وحسو المدام
 كل هذا من قبلنا حرص الغر

س عليه في سالف الايام
 هووا منه للحضيض فكانت
 غاية الرغد اول الاعدام
 عة بئس ما جنته علينا
 من هبوط بعد ارتفاع المقام
 رحمت في القلوب منا وسالت
 في مجاري الدماء قبل الفظام
 فاذا ما سمعنا نذكر الرغب
 عة عنها فالفعل غير الكلام
 ذا يقيني ابديته لك عفواً
 فاني ساذجاً كم هذا النظام
 لم ازينه بالجناس ولكن
 زانه الصدق وهو جلّ مرامي
 فاعتقد ما اقله عن يقين
 انما القوا ما تقول حذام

✽ وقال في وداع نواب مصر عام ٨٢ ✽

ودعتهم وبنفسي من ما ترهم
 اكار ان هم عن ناظري انفصلوا
 لهم منازل حب في القلوب فهم
 فحبذا هم من قوم امائل في
 وحبذا التول ما قالوه عن رشد
 ضنوا باوطانهم وهي التي بدلوا
 آثار حمد اقامة بعد ما رحلوا
 فذكرهم ابدأ بالفكر متصل
 بها مقيمون ان ساروا وان نزلوا
 امثالهم بالمعالي يضرب المثل
 وحبذا الفعل في الاصلاح ما فعلوا
 في حبها النفس نعم الجود والبخل

وقال حلاً للغز في مصباح والغازي في بان

يا هلالاً بسما الاصلاح لاح	ما له في قوله ان لاح لاح
وهاماً همه نيل العلا	لغزك الباهر بالمصباح لاح
قد اجبنا فاجبنا ما اسم شي	ء عليه طائر الافصاح صاح
راق لي اللغز به حين انثني	رمح قد اثر الارماح ماح
وهو فعل صح فيه معنيا	ن فقل لاح وان شئت فراح
قلبه شبهته بالدر اذ	حل في وادي عقيق وسط راح
وتراه دون قلب ان بدا	دمه الاسود للشرب مباح
ثلكه وهو الثلاثي غدا	للمحاجي سمكاً يا ذا الصلاح
واقبل الباقي تجدد من حقه	منك اكراماً مساء وصباح
ومع المحذوف تلق من عليه	محقوق البر فانظر فيه صاح
وهو للابضاح بالامر يشي	رُ فجدد بالحل وانعم بالساح

وقال

لعينيك ما اخفى المحب وما ابدى	من الحب ان الحب صيره عبدا
وما هو الا ناظرٌ غير عامدٍ	وما الحب الا نظرة تبعث الوجدا
فلا عرفته مهجة تنكر الاسى	ولا علمته مقلة تجهل السهدا
اطارحه الحب المقيم باضلعى	فيجذبني هزلاً وبدفعني جددا
فدا حسنه من ليس يعشق حسنه	وان رمت ما لا استطيع له وجددا
ولو قات يفديه المحبون خفت ان	يدد لا يبقى نو' ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

وقال

لو راى الاهيف سقمي اسعى ووفى ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

ساتراً عقرب صدغ لسعا قلب صب ان رآه وجفا

دور

بالي افديته بدرًا بسما وجهه الزاهر بالاشراق راق
ومليحًا مذ رأني بسما غن لآل حسنهما العشاق شاق
سواء اهل الحسن قدرًا وسما وعلى حالي بالاشفاق فاق
اذ وفي بعد جفاء ورعى عهد صب دمعاه قد وكفا
واذا سامر نجيًا ورعى لم يقل حسبي دمعي وكفى

دور

مذهبي في الحب هجرووصال ولكل في هواه مذهب
اعشق المعجب ماصال وصال واذا مال فالي مذهب
وهو في القلب على الحالين صال نار وجدٍ باصطباري تذهب
وبه روض غرامي امرعا فائقًا وصف معان وصفا
فهو روجي صدعني ام رعى وجفاني ام وفي لي وصفا

وقال عام ٧٣

الا ناصر من اعين سدن بالسكر

فهن اثرن العشق من حيث لا ادري

عيون وفي الله القلوب سهامها

فكم نفذت في القلب من داخل الصدر

عيون هي السوداء ان جن عاشق

او البيض هزتها قدود من السم

حمت في المحيسا الثغر وهي فواتر

وكم قد شفى من غلة بارد الثغر

فله من ثغري بدا في عقيقه

عقود اذا ما قلت قلت من الدر

بطارحني منه التيسم لؤلؤة

فألقيه من دمعي واجلوه من شعري

وما الشعر في حكم القياس نتيجة

لاهل الهوى الا مقدمة الفكر

يحاول فكري نظمه عفوً خاطري

وتدفعه عنه معارضة الدهر

ويأبى به الا التغزل عفة

فان رحمت اشكو لم الاق سوى الشكر

ويبدو عليه حين ينشد كفة

اذا ضمن الشكوى من الضم والعسر

وكنت متى اقصده سهل فصرت ان

اشا نظمه لاقيت اعسر من يسري

ولولاك لم ينقد الى الانس نافر

ولا شيد بالايان ما هدء بالكفر

ولولاك لم يسبق الى الشعر خاطري

على جريها الاقلام مع انلي العشر

ولم تنتسق في نظمه من سليقتي

معان حكين العقد في عنق البكر

وبا رب يوم همت فيه تفكراً

فرحت طروباً بالتفكر والذآر

جنحت الى روض كأن غصونه

قدود لها ميل السكارى بلا سكر

وكان هدو الصبح يعكي متياً

خلا قلبه من لوعة الصد والهجر

فمرت بنسا شكوى في نسيمه

فرحنا نبث العذر في عشقه العذري

وخلنا الدجى والصبح يفتق جنبه

قواد ندو يظهر الود عن مكر

فكان جمال الكون في جنب قبجه
فلاح لنا الانسان جيشاً مقاتلاً
فعفنا الغواني في المعاني عرائساً
ولذنا بذيل اليأس من كل لذة
اخلاء صدق من رقيق ومن حر
من الوجد ما بدعو التريجة للشعر
اليه اشتياقي وانثني نحوه فكري
جري نلفها جري المطهمة الضمر
وقد سكنت هذه الطروس عن الخدر

وقال

انا ما بين مطرب ونديم

ومدام صاف وناي وعود

وسرور واف فوافي حمانا

وعن الصد يا مليحة عودي

وقال

هجرت وما ذنبي لديك لتهجرا
جرحت فؤادي بالصدود وهادمي
وبت وما للقلب من راحة ولا
وشاهد وجددي سقم جسعي ومدمعي
تبرأت من ذنبي وهجرك قد برى
وجرت بقدر عادل كلما انثني
فما عفت معروفاً ولا جئت منكراً
بخذك مسفوكاً فلا نك منكراً
لعيني ان جن الدجى فيه من كرى
فان رمت تحقيق الشهادة منك ر
عظامي وعذالي يقولون من برى
اقول للوامي تبارك من برا

فأضرب لو كلمت قلباً مكلماً وانت ترى فيك لذاتك منبراً

وقال على لسان بعضهم برسم أمير أفرنجي

قدم بيروت عام ١٨٧٤

ضاهت بك الدنيا واشرق نورها
فتللات زهر الكواكب وانجلت
وزهت رياض الانس في احيائنا
فالوقت صاف والكؤوس يديرها
قمر على غصن يطوف بانجم
فاليك منا انفساً مسرورة
علمت بانك في المعالي مفرد
ورائك بيروت البهية وافداً
ولو السحائب اخبرت بك اقبلت
يا ابن الاولى كرموا وعز نظيرهم
حملتك اجنحة البحار وربما
وسريت في اقطارنا متنقلاً
فانيت ارضاً معظم التاريخ من
تلقاك صيدون القديم بهاؤها
والشيخ لبنان الذي ما هاله
وتريك بيروت السرور بثغرها
وتزى القوافي الباسات قوادماً

وبدت لك العليا وانت اميرها
بمطارف الاعجاب منك بدورها
فترغت فوق الغصون طيورها
من راحتيه ووجنتيه مديرها
تخفي الشمس اذا تبدى نورها
ناجاك منها بالهناء ضميرها
لك سرها دون الملا وسريرها
فتبسمت لك بالسرور ثغورها
واتاك منها بالثناء مطيرها
بماثر في الناس عز نظيرها
عرفتك فاهزت لديك بحورها
وكذلك تفعل في السماء بدورها
اخبارها قدماً وانت خبيرها
ويراك من صور العظيمة سورها
فتما علمت من العصور كورها
ويريك ايهج ما رايت سرورا
هذا القصيد الى علاك سفيرها

وقال

قول حر الكلام منتحل وقد راه عليه تتما

ومثل ذا قاله ثعالفة في الـ منقود لما الفاه مرتفعا
فليهد ما شاء في جهالته للحرّ اذن لا تسمع التذعا
وليبيق كالدهاء في المريض الى ان يذهب الله عنهما الوجعا

وقال

رآني اصوغ الكلام عقودا فقال مرقت وما كان صادق
فقلت خمولك صانك فاهنا فليس بظن بانك سارق

وقال

طلبت هذا الذي القيت من ادب
بلا دليل على جسر من العتب
فان اصبت فما لي من يقاسمني
صفوي ولا كدري ان كنت لم اصب

وقال رائيًا بعضهم

جرّد الموت حسامًا ماضيًا كان بالظلم علينا قاضيًا
حاضرًا مستقبلاً او ماضيًا ما احتيال الناس في هذا القضا

وقال

قد قضى من كان ما بين العباد
خير قاضي برشاد وسداد
لبس الفضل له ثوب الحداد
وعن الناس نراه معرضا

**

خطبه في الناس تاريخ اليم فعليه رحمة الله الكوريم
سار عنا ناحياً نحو النعيم ولنا افئدة فوق الغضا

ابن من كان امامه المعرفة ان يكن انصفه من وصفه
قل لمن عرفه ان عرفه هوذا الجوهر اضحى عرضا

*

بل هو الجوهر لكن المات حاكم فينا بتغيير الصفات
هكذا الانسان قد يسي نبات فوق قار حله فيما مضى

*

فزر الدنيا اذا رمت الهنا فارتضاء المرء في الدنيا غني
كلا فحسبه فيها لنا سوف نبقيه على غير رضي

*

داً بنا جمع ثراء وحطام واكتساب من حلال وحرाम
نبداً الامر ولا ندري الختام ليتنا نبداً امرًا مرتضى

✽ وقال وقد ارسلها الى سليم افندي شحاده ✽

سدل الظبي حين لحت لثامه فبدا البدر ظللته الغمامه
وثنى كالغصن فوق كثيب تفتدي ميل قده كل قامه
لست اشكو صدوده او جفاهُ يا عدولاً يقول غني سلامه
بابي افتديه ظيباً غريباً منه ارضى كلامه او سلامه
مت وجداً في جبه ما احنيا لي مالا هل الغرام منه سلامه
مرّ حلواً لاشيء املح منه رافعاً من جماله اعلامه
ورأني اسوم تحت القوافي فلحاني فقلت خل الملامه
ان ود السلام عهدٌ فمالي لا أفيه حقوقه والتزمه

ظن قوم ان القريض دهانٌ
كذبهم ظنونهم فهو عندي
وابي الله ان اذهن فيه
قلت ان السليم سالم خلق
شبَّ في الحلم وهو في العلم شيخ
ايها اليلع النجيب ويا من
ان اثارك التي قد راينا
لو تبدت لابن الاثير لتادى
او راءها الوردي وهو امام
اقبل العام بالسرور فلا زنا
وحباك الاله عمراً مديداً
ما تثنى غصنٌ وازهر روض
واديب اسير ودادك نادى
عند من سامه لما منه رامه
آية الصدق في كتاب الكلامه
لست ممن يبيع كلاً مه
وسم الفضل ذاته بعلامه
ال من رتبة الكمال وسامه
رد في وده الوفاء ندامه
ما رأتها عيون اهل الامامه
كم تركنا لمن غدونا امامه
قال ذا العيسوي ابدى كرامه
ت بخير مستقبلاً انعامه
شهره بالهناء نقضي وعامه
نقط المزن ورده وبشامه
كل عام وانتم في سلامه

وقال

اضوى الغرام فواداً غاب عاذره
الحب مصداق قول العارفين به
واتلف الشوق جسماً عز ناصره
السقم اوله والموت آخره

وقال

وكتم ودمع العين هام وسائل
اصبر وما للصبير عندي وسائل

امال الهوى عني الحبيب فملني وقلبي لحفظ الودراج وسائل
اسائل عنه كلما لاح بارق فمن لي بان القاه عني يسائل

وقال

ندا همي الاهوال من كل جانب
فمن منقذي من داهيات النوائب
الى كم الاقي نكبة بعد نكبة
وحق ما يادهر انت محاربي

وقال

اذا رمت وردا عن ظمي بنضب النهر
وان رمت نورا في الدجى يكسف البدر
وان راق لي في الصيف حر هجيره
ارى السحب ثلوه فينهمر القطر
سعيت وان السعي فرض على الفقى
وليس عليه ان يساعده الدهر

وقال مضمناً

اهل ودي قد نكثتم عهدنا فكيف جرى هذا وانتم انتم
احاول سلوان الغرام وحبكم تولى فؤادي وهو فيه محكم
وان كان خصمي في المحبة حاكي لمن اشتكيه او لمن انظلم

وقال من مقالة وطنية بعد ثر ينتهي به « يا اثارات

الاطوان » وهما من احسن ما نظم في معناهما

هو البثار حتى يجذب الشمس عثير^١ تساوى به العين الصحيحة والرمدا
فلا وقت اقدامنا عن طلابه اذا لم نقم اشلاؤكم دونها سدا

وقال

نصحتك لا نرحم من الناس ظالماً فمن يرحم الظلام لا شك بظلم
وما العدل الا في ثواب لمحسن يرى وعقاب للذي راح يجرم
وقد كان حكم الله للمرء انه يرى سعيه والله اعلى واعلم

وقال

هجم الضياء على الظلام بعسكر من فجره فغدا يجد رحيلاً
واشابه خوفاً لذلك نجومه هجرته طالبة سواء خيلاً

وقال

يا نعمة ما حيت اذكرها ومنة للزمان اشكرها
جاه فلم يبق للفؤاد سوي بقية للوفاء اذخرها
ومذوفى استحكمت على نسق ذوائر الانس وهو محورها

وقال وهي مما كتب في البحر عند العودة من باريس الى بيروت

عام ٨٠ اثر الداء

غبنا وكانت اليك اوبتنا يا وطناً لم يغب عن الفكر
ما برحت نفسنا على وله تغالب الشوق فيك بالصبر
يهمدها اذ كاد تهمله حتى بدت منه علة الصدر
فاحتملنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدرسيه
وكاد ماء العباب يفرقها وقلبا مثلنا على جمر
وتنبري كالسحاب نحسبهما تسرى اليها الزبي ولا تسري

كالارض تهجري ونحن نبصرها ساكنة كالعقول في مصر
(وفي هذا البيت اشار الى ارتباك الاحوال في مصر اذ ذاك لا الى
عقول المصريين من حيث هي فقد كان رحمهم الله من اشد خلق
الله كلفاً بهم)

وقال

اصبر وقد ذاب الفؤاد من الوجد
 وكيف اصطباري والغرام محاربي
 فيا زمن اللذات هل انت عائد
 أأجابنا لم يبق لي هجركم سوى
 الفت سقامي بعدكم فاذا نأى
 فهل عندكم اني على العهد ثابت
 وذا شرح حالي في الصبابة بعدكم
 قنعت لما شاء الزمان بذكركم
 وتخذت سيف الصبر والوجد قاتلي
 وهمت بكم في القرب والبعد وحدثكم
 وفي الحب ذو شان وفيه مقلد
 ونوم وعين الصب وقف على السهد
 بسيف الجوى والشوق في الهجر والصد
 ويا مالكي هل انت باق علي العهد
 حشاشة قلب من هوالك على وقد
 اسفت وقد عوَّضت بالعي من رشدي
 وهل عندكم من غصة الشوق ما عندي
 فبالله قولوا كيف حالكم بعدى
 وباليت هذا الذكر يعني من الوجد
 فاصبحت شحاذًا واقبلت استجدي
 على اني ما همت في جبم وحدي
 وشبان ما بين الثعالب والاسدي



* وله رحمه الله من المواليات قوله *

في طرفه بالقومي تكمن الاجال
 وان دنا او بُثني او رنا او جال
 حات باهل الهوى فنكه او جال
 يا ظيبي واصل فقد اضنى الهوى جسدي
 وارحم واعجل نخير البر في الاعمال

وقال

ما نلت في حبه من وصله او طار
 ولست اعدل عند ان عدا او طار
 لاقيت من جفته لما رنا اخطار
 فجال من طرفه بالايض الماضي
 وصال من قداه بالاسمر اخطار

وقال

دو ناظر ناظر الصمصام بالفتك ظبي من الترك جافاني بلا ترك
وقامت جرحاً قلبى بلا شك ووجتة وردها قد عمّ فيها الخال
بدت فدان لها في الحب اهل الخال واشعلت بالهوى مفتونه والخال
فكيف استر فيها بالجوى هتكى

وقال

حلو اللى مرّ بي مستمخ الاعطاف فقلت لما اتنى يا مفرد الالطاف
ززم نخول مقام الراح قلبى طاف فصد واستلّ لي من لحظه خنجر
والشيء بالشيء في امثالنا يذكر فقلت يا قدّه الطعان يا اسمر
اعد ضعيف الجوى من طرفه السيف

* وقال لواقعة حال *

قلت اسقني قال هاك الماء في العين فقلت واصل فقال العين بالعين
فقلت والحب عندي راجح البين مالي وروحي ايا روحي فدا عينك
خذا تروم فنادى هات من عينك فقلت يحميك ربي قال من عينك
فقلت خذ واعطوصلاً قال من عيني

* وقال من بحر السلسلة *

في خدك خال يسبي المتيم والخال والخصر يسيل بين تيهك والخال
يا عاذل ذرعتك الملامة والخال عودّه وقل الله اكبر من خال
كم حبة قلب مغرم قد مرقا
قد متّ ظناً وما لثغرك ورد
من طرفك نرجس وخدك ورد
فانطق ليقال بدر تمّ نطقاً

❖ وقال مداعباً احد الاصدقاء وقد اتحى وفيه تضمين المثل السائر ❖
 جرى الماء ماء الحسن في روض وجهه ليسقي نصير الورد في صفحة الخد
 فنال مع الورد العذار نصيبه كذئ يسقى الشوك في حجة الورد
 ❖ وقال ❖

قلت للماء وهو في ثغر جي منك ارجو الله يا ماء وردي
 قال ان كنت ذا ضنى هاك خدي يا معنى فإوه ماء ورد
 ❖ مثله ❖

قلت للثغر قد ظممت اشتياقاً فاشفي قلبي فمك يا ماء وردي
 قال ذي خمرة فان رمت ورداً هاك خدي فإوه ماء ورد
 ❖ وقال في سفر مليحة لثبوا بام العيون ❖

فطمت عيوننا من غير صبر فسال الدمع منها كالعيون
 بكت كالطفل سارت منه أم فما اقساك يا ام العيون
 ❖ موشح ❖

غرّد البلبل في روض الحمأ فوق بان تحت جنح الغلس
 عندما اقبل معسول اللأا يتشنى في رياض السندس
 ❖ دور ❖

بابي ظيباً علينا شفقاً معرباً عن مبسم كالشفق
 واتى نحوي فلما رمقا لم يدع للصب غير الرمق
 ذا جبين كهلل اشرقا فهدى بالنور اهل المشرق

ولحاظ كنبال حيثما رشقت كانت نذير التعس
 وخذود بعد سقياها الدما غرست بالورد ابهي مغرس

❖ دور ❖

قم بنا يا صاحبي نحو الغدير نغم الذة من قلب القدح
 لذة تهزم اشجان الضمير فاطرح من لام فيها وقده
 ولنا ساق اذا قام يدبر كأسه ابدت لنا قوس قذح
 اغيد لاح كبدر بسما ضاء قانشق فواد الحندس
 قلت لما عن لآل بسما هوذا الشعر الشهي اللعس

❖ دور ❖

وعلى طرف البها لما استوى رمت الاسياف ابطال المقل
 يا خليلي كل من لام غوى في هوى الاهيف من افنى الحيل
 لاتسل عن شرح حالي في الهوى في الهوى عن شرح حالي لاتسل
 نصب الحسن لديه علما حوله العشاق مثل الحرس
 فارتدي بالعجب لما علما انه سلطان تلك الانفس

❖ وله قطعة من موشحة مفقودة ❖

رسول وجدي وانت قصدي
 ان رحت تشدو في الحى ليلا
 بلغ سلاماً لمن سلا من
 روى الهوى عن مجنون ليلى

❖ وله قطعة من قصيدة ❖

نزع المشوق لمربع الفيحاء وصبا لروضة حسنه الغناء
 وتمثل الريم النفور مغازلاً بالانس فيه غزالة الاحياء
 هيفاء قد عذر العذول محبها لما بدت كالدر في الظلماء
 جلبت لنا بدقائق الاعطاف تحت رنائق الاوصاف تحت قباء
 كالورد بين شقائق النعمان تحت سرادق النعمان تحت لواء
 ييضاء اما خدها فمضرج بلحاظ اهل العشق والرقباء
 وفث لنا فتأثرت في خدها وعلته منهم حمرة استحياء
 وبجدها في الخاليتين نصارة تحكي شعاع الشمس فوق الماء

❖ وقال وقد اقترحت بعضهن عليه ❖

« ان يصفها وصديقة لها مرتجلاً »

واذا القريض اردت وصفك به لم يدرك ايكاً بحسن تفضل
 ما فيكما عيب يشين وانما كل بعين عاشقيه اجمل

❖ وقال واصفاً امواج البحر من آيات كثيرة ❖

تدحرجت الامواج نثري كأنها جيوش سعت للفتك والقائد الريح
 تصادم ابطال الصخور وتثني مدممة اشكو العنا وتصيح
 تلوح اذا هاج الرغاء دروعها لها خذق بيض تحاذرها الروح

❖ وقال بخمسة ❖

هغرام وفيه الصبر قد فرضا فكان له غرضاً ان رمته غرضاً

وقل لمن سامني في مضي وقضي للعاشقين باحكام الغرام رضي

فلا تكن بافتي بالعدل معترضا

ان مسني كل يوم في الهوى ممرض ونالي حرق من دونه الرمرض

اقل وليس لقلبي منهم عوض روجي الفداء لاجبابي وان تقضوا

عهد المحب الذي للعهد ما نقضا

يامن يلوم بهم قد قلت الخيل الغصن مثلهم من شأنه الميل

فان تكن جاهلا للعب يا رجل قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا

فراح في حبه لم يبلغ الغرضا

روى له الناس عنهم بعض ما سمعوا فراح يسأل لقيام فما منعوا

حتى اذا زاد في افكاره الطمع رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا

فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

❖ وقال مشطرا ❖

قوم حفظت لهم عهدي فما حفظوا ودي ودنار حبي عنهم صرفوا

انجزت وعدي لهم لكنهم نكثوا عهدي وما انصفوني مثل ما انتصفوا

آستهم نفروا اوفيتهم عذروا سالتهم امروا ادنيتهم صرفوا

امنتهم حذروا اوردتهم صدروا قلت اعطوا هجروا رمت اللقا انصرفوا

❖ وقال من قصيدة ❖

صادت فوادي بلحظه ناله الكلل غزالة في سواها يحرم الغزل

رنت غزالا وماست بانة وبدت شمسا بنور سناها تبهر المقل

يا قاطع اليد بطوبها على عجل الى حماها لقصد دونه الاجل

حاذر في الحي من ارامه نفر تحوي المنية منهم اعين نجل

وتم ابطال حسن من قبيلتهم تخشى الاسود فتاهم قبل ينفصل

كالبدران سفروا والغصن ان خطرنا والفلي ان نفروا والليث ان حملوا

حموا حمام فلو ارسلت من شغبي مع النسيم كتاب الشوق لا يصل

وبني من الوجع داء لا دواء هـ فليس ينفعني كتب ولا رسول

❖ وقال مؤرخاً لحكاية حال ❖

لما تجدد عهد ودك بيننا من بعد ما في الليل طأقت السنة
اصبحت في تاريخه بك ناشداً عهد المحبة تم في راس السنة

سنة ١٨٧٥

❖ وقال يرثي صديقه الفقيد الفاضل منويل فيليبيدس ❖

على القلب ماء العين بنهل ساجمه وما برحت نار المصاب تلازمه
تعزبه احوال الزمان فيتلقي جيوشاً من الاحوال منه تصادمه
يري ان في الدنيا زحاما فيرتجي مكانا به لا يلتقي من يزارحه
يري حيواناً يأكل الثب رابضاً عليه ومنه الثب صارت مطاعمه
وبلغي نباتاً نامياً متغدياً بيضة حيوان مضي وهو لاقمه
وذاك هو الدور العجيب نظامه وجوداً وحفظاً جل ما هو ناظمه
فا حزن الانسان الا بجدات من الطبع قد لا يستطيع بقاومه
وما هو الا الفة مدنية وحب اجتماع كيف مال يلازمه
وما اجتمع الانسان الا ليتقي جموعاً من الوحش النفور تهاجمه
فكان عيلاً ثم صار قبائلاً برد ووحوشاً في الفلاة ثقاومه
وزاد اثتلافاً صار فيه كواحد فمنه له خير ومنه مآثمه
وعاش علي حب الاخاء مرجياً دواماً لما لا يرتجي قط دائمه

” وهي طويلة فقدت الا هذه الايات “

❖ وقال ❖

هو العلم حتى يدرك المر غامضا ولا يخشني فيما يقول معارضا
وما الشعر الا شاغل عن نواله فهذا قريض بات للعلم قارضا
نسود قرطاساً بوصف وضيقة ونعلق ذا حسن ونعشق عارضا

وقد صرفت افكارنا نحو صرفنا وفي النخوبات الوقت والذهن غائضا
 فذا ناصب منا يخالف رافعا وذا جازم منا يغير خافضا
 سفساف اقواله تقادم عهدا ولم تبدر مستورا ولم تجل غامضا
 ملأنا بها الاوراق وهي فوارغ من النقع الا بارق مرء وامضا
 كما قبض الدينار في النوم حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضا

وقال ناظما هذه الاغلوطة السفسطائية

تركب الجسم سطوح وهي من تألف الخطوط من غير شطط
 واخط منها ركبته نقط فالسطح اخطاط وهذه من نقط
 وعندنا النقطة لا شكل لها وهمية لا تدخل التعيين قط
 كذلك الوهمي يبدى مثله فالخط والسطح على هذ النمط
 وهكذا جسمونا اضافة موجودة في عالم الوهم فقط

✽ وقال طيب الله ثراه ✽

لنمت الصدود فاين الوعود واين عهود الليالي الأول
 وعقد اليمين لعقد اليمين يحفظ الوداد ورفض البدل
 حنثت واخلفت هذا وذاك وملت وطبع الفصوف الميل
 وخلفت قلبي اسيفا عسيفا قوي العناء ضعيف الامل
 فان مت فيك فلست اقول خذوا قودي من اسير الكل
 فحسب القتل من العاشقين بسهم الغرام رضا من قتل

وقال

يخاطبنا الزمان بلا لسان ولا كذب لديه ولا مراة
 بقول اذا لم بكم بلائي فلا يبقى الوداد ولا الاخاء
 وما الدنيا سوي اضغات حلم فان جادت وان بخلت سواء
 دفعت عنها بالباس حتى تساوى البؤس عندي والهنا

* وقال بعنوان *

« رثاء ورجاء »

وهي قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث عام ٨٢ في وصف تلك
الحوادث ثم رفعها الى دولابو شريف باشا معرضاً فيها بذكر بعض احوال
خصوصية وقد اثبتت في الجزء الخامس من تاريخ مصر للمصريين حاذفين
فيه ما لا يلائم منها مقام التاريخ

عج بي على تلك الطلول ونادِ	اني تحمل اهل هذا النادي
هل صادم شرك الردى فابادهم	صرف اناخ على ثمود وعادِ
ام غادروا الاوطار في اوطانهم	مذ حاذروا غدر الزممان العادي
وسل الرسوم وان عفت عنهم وما	فعلوا قبيل رحيلهم بفوادى
خلفته في حبيهم ميتاً فهل	احياه ام حياه اهل ودادي
ام حملوه رديف صبري والمني	وتجلدس وتعلي ورقادي
ام غادروه رفيق وجدي والضئى	وتلهقي وتذلي وسهادى
يا وارد الاسكندرية ظامعاً	بمنافع الاصدار والابراد
اقصورها خفيت عن الانظار ام	آثار لقصر في القفار بواذِ
ام تدمر في ديرة وعمورة	ما عمرت ام دار ذي الاوتاد
هذه عروس الشرق مانت فاكتسى	حزناً عليها الغرب ثوب حداد
بالامش كانت والبياض دثارها	واليوم صارت ارمثاً بسواد
كانت ملاذ الخائفين فاصبحت	الخوف منها مبعد القصائد
كانت موارد للاظماء وقد غدت	ولما ان بها من مورد للصادي
كانت مراتع نعمة فغدت وما	مفيها سوى الباساء للمرتاد
كانت وكان الدهر يسعد اهلها	فاصابها بالاهل والاسعاد
كانت وكنا لا بنام حسودنا	صارت وصرنا راحة الحساد
كانت وما نخشي بواذر ضدها	فغدت ثرجي رحمة الاضداد

قامت على اقوى العماد تزين ما
 فابادها جهل خفي ما بدا
 جهل الذي رام الاماني وهي في
 وعدا وما لقي الثعالب عمره
 وسعى الى الشورى ولكن خالها
 وعلى المساواة ابني هدم المنا
 وقد ادعى في عسفه حربته
 والى الاخاء دعا فنال بفعله
 شقيت بزلتسه الجموع وطالما
 وتلاه في سبل الغواية معشر
 غرسوا الجنابة في الجنون وما جنوا
 وسعوا فساداً في البلاد كأنهم
 خلعوا الشعار المستعار من الحيا
 وتخيّلوا ان الطريق خلت لهم
 فانام رعد المدافع مبرقاً
 وسطوا على المستأمنين خيانة
 ورموا بنارهم الديار وبددوا
 نكر عرفنا منه ان لبغضهم
 ونقيصة يسمى بها ابناؤهم
 اسفاً على تلك القصور فانها
 اسفاً على من قاده استئمانه
 اسفاً على قوم اتام فجاة
 فتسارعوا طلب النجاة من الردى
 يا هوها من ساعة مرت بما
 كم حامل خرجت بها محمولة

تحت التي رفعت بغير عماد
 مثل له من حاضر او بادر
 قم الجبال وكان دون الوادي
 يعني اقتحام عرائن الآساد
 لما تهتك برقع استبداد
 لما تساوي حزبه بفساد
 يامن رأى حرية استعباد
 من قومه ما لم ينله العاديه
 اشقت مجموعاً زلة الافراد
 زلوا وضلوا حيث ضل الهادي
 مما جنوه غير شوك قتاد
 والحادثات اتوا على ميعاد
 فتقمصوا عاراً الى الآباد
 فسعوا فكان العدل بالمرصاد
 فنبا عن الابراق والارعاد
 لم تشف منهم غلة الاحقاد
 ما استجمعت من طارف وتلاد
 بز اللصوص وبرة الاجناد
 لمقابر الآباء والاجداد
 كانت منى الرّواد والرواد
 للفاكين ولم يجد من فادر
 صوت المنادي بالبلاء ينادي
 بنفوسهم والاهل والاولاد
 زهقت به الارواح من الاجساد
 هوق الكواهل او على الاعواد

ومصونة نفسا نقول لصحبها
 لطخت بآثار الولاد وما درت
 ومباأباً يدميه لس حريره
 ومعمر لم يبق في الدنيا له
 ومريض قوم غاب عنه طيبه
 خرجوا وهم لا يهتدون سبيلهم
 ودموعهم والنار في احشائهم
 فكانهم ابل بدور فالها
 تعلق وتهبط جانحات لا ترى
 او انهم قصدوا الصبح فجاءهم
 شهد الوبال ولم يجد من منجد
 فتفرقوا والهول ملء قلوبهم
 او انهم اهل القبور تيقظوا
 نشروا عراة واجفين فيومهم
 والنار موقدة سرت من خلفهم
 وانجند شردهم قتال عدوهم
 ونضوا على اهل السبيل بوأترأ
 قد حدثت شفراتها لكنيها
 ولرب عاد منهم في رعدة
 سكنت فرائصه على نهب الحى
 ومواس حث الجواد وخلفه
 عدم الرباط فشدته بنجاده
 فهم اللصوص وان هم قد اوهموا
 وبلادهم قد نالها من عارهم
 عيت فلولا السابقون ومجدهم

باليتني قد مت قبل ولادي
 جسداً تضمخ قبله بجساد
 طفل قريب العهد بالميلاد
 غير السكينة من منى ومراد
 وجفاه انس الاهل والعواد
 والنائبات روائح وغواد
 حلت محل مزادهم والزاد
 الم السغوب وحاد عنها الحادي
 من بلغة في انجد ووهاد
 في فجاة منهم طربد طراد
 فانذ في الاتهام والانشاد
 يقتادهم زمراً بغير قياد
 سحراً بنفخ الصور بعد وقاد
 يوم المعاد اتى بلا ميعاد
 فكانها حيات بطن الوادي
 فرقاً فلم يتجلدوا لجلاد
 في الحرب ما نضيت من الاغداد
 كانت على الاعداء غير حداد
 ما ان نلم بصائد الرعاد
 من قبل تسكن رعدة الصياد
 مما حياه النهب حمل جواد
 واتى معسكره بغير نجاد
 ان ليس ما ارتكبه غير جهاد
 ما لم يتحقق في عهدنا ببلاد
 وبقاه من ولدوا من الامجاد

ومؤيدٌ ملك امير عادل
 وعصابةٌ كانت قلائد فضلهم
 لم تلقَ في مصر ومصرُ عزيزة
 اما وقد ولي الشريف امورها
 مولى له في النفع رغبة طامع
 وهو الذي يجبا ليوم كرهية
 واذا بدا في ليل خطب رأيه
 يا حائز المجد الرفيع وجامع ال
 يا جامع النعم العظام ودافع ال
 حاشاك ان تبقى على اغلوطية
 فلانت من ذون البرية مؤيلي
 ما خلت انك قاضي بسعاية
 حتى رايتك معرضاً متغاضياً
 اقدحت للساعين في زنادهم
 فاذا راوتني في جنباك اصلدوا
 يبضت بالنعاء ايامي وما
 وبلوتني فرايت مني صادقاً
 وحميتني والنائب ملمة
 وظهرت فيك بكل مدح صادق
 لا تقبل الحسنات سمحاً همتي
 وقد اعتذرت وما وراء تنصلي
 فاذا صفوت فذاك غاية مقصدي
 يا صبح كل مؤمل بالنجح كل (م) توسل يا مورد الامداد
 لولاك ما احييت ليلي ضارباً
 في الشعر بالاسباب والاولاد
 وصفاً لما يجري الدموع اقله
 ويقل فيه تفتت الاكباد

اربى بمفرده على الاعداد
 ابهى من الاطواق في الاجياد
 من قائل هذه البلاد بلادي
 فلها بحول الله خير معاد
 وعن المضرة عفة زهاد
 وسداد ثغر من طريق سداد
 ازرى بنور الكوكب الوقاد
 فضل الصديق وواحد الاحاد
 نقم الجسام وموئل القصاد
 يسعى اليك بزورها حمادي
 ولانت من دون الانام عتادي
 للكاذبين ضعيفة الاسناد
 عنى وانت ذخيري وعمادي
 فاستاسدوا ورجو خبوة زنادي
 وامنت فيه خجلة الاصلاد
 حالت فاصبغ عرقها بسواد
 ما شاب ورد صلاحه بفساد
 ونصرت ضعفي والزمان معاد
 صرفي وما جهمري كمين رماد
 وسوي يا كلهن اكل جراد
 في القلب غير امانة ووداد
 واذا رضيت فذاك كل مراد
 يا مورد الامداد
 في الشعر بالاسباب والاولاد
 ويقل فيه تفتت الاكباد

فلقد هجرت الشعر لما انت رمى ضعف السليقة سوقه بكساد
 واستامه من ليس يفرق بين ما يفنى وما يبقى على الانشاد
 لكن رايتك يا نصيري جامعا نقد البصير ودقة النقاد
 فنظمته نظم الفرائد مثلما نظمت لديك قلائد الاوقاد
 ورايت حسادي عليك قد افتروا في جانبي ما لم يكن من عادي
 زعموا بان مريرتي قد كدرت فلم بصافي بالجليل تصادي
 فبعثت صافي الشعر يثبت صفوها ولو استطعت جعلت فيه فؤادي

❀ وقال رحمه الله ❀

في تهنئة صاحب الدولة شريف باشا بالنشان العثماني المرصع من الزينة
 الاولى وقد ورد اليه من جانب نعم الحضرة السلطانية فقال في فصل راسل
 به جريدة المحروسة من القاهرة

ان هذا الوسام الكريم عظيم الشان كبير المقدار مخصوص بالملوك
 والامراء ومن كان علي الهمة صادق الخدمة
 لتوق اليه صدور صدور ال برية من هجمها والعرب
 وما ناله غير كل عظيم وكل هام له منتخب
 ولا غروان زان صدر الشريف ولو لم ينله اكان العجب
 فمجلى المعالي ومولى الكمال اولى الانام بأولى الرتب
 وقال طيب الله ثراه ومعنى البيتين الاولين مستمد من

كلام فيكتور هيكو

قتل امره في غابة جريمة لا تفتقر
 وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر
 والحسق للقوة لا يعطاه الا من ظفر
 ذي حالة الدنيا فك من شرها علي حذر

❖ وقال معارضاً بيتي ابي تمام المشهورين وهما قوله ❖
 اعوام وصل كان ينسي طولها ذكر النوى فكأنها ايام
 ثم انبرت ايام هجر اردفت قلبي امى فكأنها اعوام

فقال

لا عامنا في وصلكم يومٌ ولا ايامنا في هجركم اعوام
 فالعمر في الخالين برق وامض اعوامه في طولها ايام

❖ وقال وهي ايات ذكرت في قصة الباريسية الحسنة ❖

« التي عربها عن الفرنسية »

حسب المرأة قوم آفة	من يدانيها من الناس هلك
ورآها غيرهم امنية	ملك النعمة فيها من ملك
فتمني معشر لو نبذت	وظلام الليل مشد الخلك
وتمني غيرهم لو جعلت	في جبين الليث او قلب الفلك
وصواب القول لا يجهله	حاكم في مسلك الحق سلك
انما المرأة مرآة بها	كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها	واذا اصلحتها فهي ملك

وقال

عجباً له والجمر في احشائه	مني يحاول بالخدعة سده
بغتابي فاصونه ويريد بي	شراً فادفع بالصنعة شره
ويحار في امرى فينفد صبره	ويعينني صبري فاكشف امره
ويروم ضري غير منتفع به	وارد عني بالمنافع ضره
فيسوه ما سرني من امرنا	ابداً وليس يسونني ما شره

وقال في تاريخ المرحوم اسعد كرم وقد توفي ببعلبك

١٨٨٢

صبراً بنى كرم لما حكم القضا لا تهلكوا فيه اسيّ وتجلدوا
وذروا القبور على تواريخ لها فصرح اسعد في القلوب مشيد

(١٨٨٢)

وعد الحبيب حبيبكم بزيارة وبمعهد السعداء كان الموعد
فضى اليه وليس بدءاً ارخوا ان لاح في ارض السعادة اسعد

وقال تاريخاً آخر له

يا قبر اسعد راق من بنى كرم ما انت روض ولا افق لمن نظرا
فكيف اخفاه فيك الدهر عن مقل راته يطلع فيه الزهر والزهرا
وكيف وارى بك العليا مؤرخة بل كيف اودع فيك الغصن والقمر

(١٨٨٢)

وقال في قصيدة يمدح فيها حضرة الاديب جورج افندي مرزا

وكان وقتئذٍ في دمشق

كريم متى امدحه اسبق بفكرتي على جريها الاقلام مع انملي العشير
تهيي لي في مدحه قبل نظمه معاني حكين العقد في عنق البكر
ويرغب عنها في المعالي لعلمه بان العلا للراء مجلة الفخر
له بين قومي شهرة عنبرية يفوح له ما بينها طيب النشر

الى ان قال

وكرت سنون قائلات لشخصه بقيت ابا الافضل حتى انقضا الدهر

وقال من ابيات كثيرة

حقيقة الحال تنبي اني رجل من عظم بلواي قد ضاقت بي الحيل

ليت الذين سبوا قلبي وما رحموا ردوه فهو بنار الحب مشتعل

الى قوله

كم ضمنى ورضائي بات مرتشفاً وقد جرى من لماء في فمي العسل
وان يكن منكراً قولي فهاك فمي وهاك يدي فيها من خصره جمل

(وقال رحمه الله من قصيدة في الحب)

هو الحب لولا الدين صرحت انه الهبي ومعبودي وما فيه اشكال
ساتبعه حتى يرى الناس انني وفي بعهدي والحوادث تغتال
واشرب كأس الذل عزاً بحب من غدا بلباس التبه والصد يختال
واشرب اني ثابت بالغرام لا تزعزعي عن مركز الحب اقول

الى ان قال في وصف الحبيب وفيه الاف والنشر المرتب

جبينٌ يحيا ثم ثغر وناظر وردف وقد في ربي الحب ميل
هلال وبدر كوثر ثم نرجس كثيب وغصن وهوان شئت عسال

وقال وفيه نوع الاكتفاء والتورية

وبي رشاء عابته وهو معرض وقلت له قد ذبت مذبت معرضا
الا زر مشوقاً قد اضر به الظما لزيقك وانعم بعد سخطك بالرضا (ب)

واهدى احد اصدقائه رسماً له فكتب فوقه هذين البيتين

يا من اذا غاب غني اقول للروح روحي

اهدبك رسمي كاني الحقت جسمي بروحي

وانشد القصيدة الآتية في حضرة جمعية زهرة الآداب

بعد خطاب تلاه فيها

العلم عاد لقطر نارغم العدا يا علم سد قد عاد عودك احمدا
هاقدزهت هذي الرياض وازهرت اغصانها وبدت بتيجان النداء
ووفى الزمان لاهله بعد الجفا فاييت الا ان يعز ويحمدا

ما السعد الا بالعلوم فان بدت
عجباً لمن يرضي مقال مفند
بامعشر الاعراب بل بامجمع آل
اداب ها علم العالوم لكم بدا

الى ان قال في زهرة الآداب

ها زهرة الشرف التي ما شأنها
جدوا يحفظ نظامها كما ترى
فبجيدتها انتظمت حلئ افكاركم
فلكم مع الشكر الثناء مكرراً
شين^ه ونالت بالمعالي سوؤدا
انوارها وجالها لمن اهتدى
وبدت لعين القوم عقداً مفردا
ما صاح طير^ه بالرياض مفردا

وقال

ايا لائماً قلباً تقطع حسرة
ووالله قلبي ليس يعلم ما الهوى
ومذراع منصباً على الحزم والنقي
عيوني بمغناطيسها جذبت له
يحقك دعه فالسلام يروعه
ولكن قضاء الله لا شيء يذفعه
وراح صحيج الحال لا شيء يوجمه
سيوقاً من الاجفان فهي تقطعه

وقال لواقعة حال

قسماً بجمرة ثغره ورضابه
قسماً بعينه لا اذوق مدامة
الا اذا كان الخبيب يديرها
لا ارتضي الا بما يرضى به
تشفي غليل الشوق من اوصابه
وانا مطيع كل ما اوصى به

وكتب الى الشاعر المجيد مصباح افندي رمضان
طفتنا القدود وهي رماح
فانتنا في نواظر قانات
وغزتنا العيون بالامصباح
هل عليهن بالجراح جناح

وقال

اصل الغرام لوحظ وجفون
اني لاصبر في الغرام على الاسى
وبليقي بالائمين عيون
حتى تسيل من العيون عيون

وقال ناربخا لمولود دعي باسم توفيق واسم ايه شاكر
لك الهناء بمولود اناك وذا من جود ربك فضل انت شاكره
الانس كله والسعد ظله والله ارخت بالتوفيق غامره

وقال من ابيات في بعض النساء

هن اهل الوفاء بالعهود ما دمت "م" جليلا قبلا المشيب كريما
واذا ما راين طالب حسن صرت بعد الجديد غمرا زمينا
كل يوم بطلين عهدا جديدا ويصير الجديد يوما قديما
قد تحكمن بالقلوب فلانخضع اذا كنت باسلا وحكما
ومداراتهن داه عصال يلتقي المرء منه ضرا اليها
كيدهن العياذ بالله منه انه كان بالعباد رحما

وقال مرتجلا مودعا الفقيه المرحوم سليم نقاش حين مسيره الى

مصر في جماعته المشخصين عام ١٨٧٦

يامن تعدي بالنوى ما زال ودك لازما
سر بالسلامة آملا وارجع سليما غانما

فاجابه بقوله

اني لاشكر فضلك ما دمت حيا سالما

وقال في ذيل كتاب ارسله لاحد السادة الفضلاء

يا ايها السيد الاجل ومن اذا ما حبا يجمل
سقنا اليك الثناء درعا كل كثير به يقل
وما يضيع الثناء فيمن بفضل لا يقاس فضل
نجد ببيت السؤال عنا فعامننا يا غمام محل
وعجل البر ذاك خير ان لم يكن وابل فطل

« ترجمة مرثية كمال باشا »

ولما ظهر الخفي وانتهك المستور في مقل ساكن الجدة المغفور له السلطان
عبد العزيز وقبض على المتهمين بقتله ظهرت موثقة لكمال باشا ناظر امور
السلطان رحمه الله يرثي بها فقيد آل عثمان فشرتها الجرائد التركية فعرب
منها اديتنا الادوار الآتية متبعا في التعريب وزنها الاصلي محفوظة الالفاظ
والقوافي « ما امكن الحفظ في المنظوم من الكلام » وكان قبل ذلك قد اورد
تلك الموشحة اصلا وتعريبا فاما الاصل التركي فهو

دين ودولت خائي برفاج ملاعين يز بد ايلشار حضرت عبدالعزير خان شهيد
واما التعريب فهو

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد
ثم اتبع هذا المذهب في عدد آخر من « التقدم » بالخمسة الاول من
ادوار الموشحة معرفة كما ترى

جددت فينا بنار من اوار كربلا وبدا للناس امر مبهم حيرنا
لاق فيه ان عيني تسكب الدمع دما لعنة الله على من ذلك الجرم جنى
المذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد
دور

قد مضت خمس عليه حجج دون بيان واهتدى تحقيقه من بعد خاقان الزمان
ذخرنا عبد الحميد العادل العالي المكيان فانثى الريب وصار الامر في حكم العيان

هانة للدين والدولة الخ

دور

بعض اهل الغرض الفاسد سرّاً مكروا جعلوا السلطان بين الشهدا واستتروا
 واذاعوا بعد هذا انه منتصر لم يخافوا الله في بيئاتهم لم يحذروا

دور

كم مناد من جرا ما قد جري واسفاه بعض اهل الظلم ممن لم يفوزوا بانتباه
 قتلوا السلطان من غير جناح آه آه ويلهم قد جاءهم من ملك العدل بلاه
 خاتمة للدين والدولة الخ

دور

اسف الدنيا على المظلوم سلطان الاوان الامير العدل ذي القرنين في هذا الزمان
 اسفاً لم ينج من كان بالايمان مان ففدا عنه شهيداً ان مشوا الجنان
 مذهب

خاتمة للدين والدنيا من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

تم الجزء الاول من مختارات اشعاره ويليها ان شاء الله الجزء الثاني
 وهو يحتوي على مقالاته الزنانة في صحف الاخبار

منتخبات

✽ الكاتب الناثر الشاعر الطائر الشهرة والخطيب المفوه المرحوم ✽

أريب بك اسحق

« ضمن أربعة أجزاء »

الجزء الثاني

يشتمل على مقالاته الرنانة في صحف الاخبار

« ثمن كل جزء على حدة فرنكاً واحداً »
(وثمان الأربعة أجزاء ثلاثة فرنكات)

كتب رحمه الله اثناء الحرب التي شبت نارها بين العثمانيين
والروس فقال بعنوان

الملك والرعية

الملك اما استبدادي او شوروي والشوروي اما جمهورية او ملكية وهذه
مراتب الملك منذ كان القانون ووجب حفظه وخرج عن هذه المراتب
الحكومة الفوضي ان صحت تسمية الفوضي بحكومة
وما كل ملك بلائم لكل قطر وما كل قطر بصالح لكل ملك فالجمهورية
لا تصلح للصين كما لا تصلح الملكية الاستبدادية لانكثرتا فان تلك وهي
حكومة الشعب بالشعب لا يحسن ان تكون في قوم تولاهم الجهل وهذه وهي
حكومة الشعب بواحد منه لا يصلح ان تكون في قوم بلغوا من التمدن والمعرفة
غاية نبيلة وان كانت فلا تلبث ان تنقلب شر منقلب كما جرى لحكومة لويس
السادس عشر وشارل العاشر ونابوليون الثالث في فرنسا فان حكومات هؤلاء
الملوك وان سميت بالشوروية ظاهراً فقد كانت استبدادية باطناً وذلك ما
دعا الى نقضها وثل عرشها

ومعلوم ان مصلحة الملك متعلقة بمصلحة المملكة فلا بد للملك الحرص
على مصلحة نفسه ان يحرص على مصلحة بلاده لان عمرانها يقضي برفعة
شأنه وتوطيد ملكه والعكس بالعكس وعمران البلاد ينشأ عن حسن
قانونها والعدل في انفاذه وهذا وذلك متعلقان بالحكومة فهي التي اذا ارادت
عمران بلادها جعلت لها قانوناً يلائمها واقامت على انفاذه قوماً لا تأخذهم في
الحق لومة لائم ومن الحكومات من تراعي ذلك فتجربه ايثاراً لمصلحة بلادها
وحرصاً عليها ومنها من تمتنع عنه فتكره عليه ومثال هذه حكومة انكلترا

وفرنسا واسبانيا ومثال تلك حكومة الدولة العلية والحكومة الخديوية فانهما ايدهما الله قد جعلتا حكومتها شوروية ولا حامل لها على ذلك الا الرغبة في عمران البلاد واحياء العباد شأن الحكومة الحكيمة من قبلها ومن بعدها وليس الشورى في الحكومة او الحكومة بالشورى بدعة جديدة فان شواهد النقل مؤيدة بدلائل العقل تثبت قدمها فمن ذلك التواريخ على علاتها وقوانين الامم على اختلاف عاداتهم ومشاربهم وكتب الشرائع واقوال الشارعين وفي « وشاورهم بالامر » نعم الدليل

ولقد عرف الناس الآن شرور الاستبداد وترفعت نفوسهم بالعلم عن الضرر به وصار الامر شورى عند جميع الدول المتقدمة الا الروسية وذلك ان صحة تسمية الدولة المستبدة مطلقاً بدولة متمدة

ولم يكف الروسية بقاءها مستبدة على حين تحوّل سائر الدول الى الشورى حتى كانت سبباً في توقيف غيرها عن ذلك القصد النبيل فانها قد منعت الدولة العثمانية عن انجاز ما شرعت فيه من اصلاح داخلتها وتنظيم شوراها بهذه الحرب النيفة التي دعا اليها الغرور نلى ان الدولة العثمانية لم تكن ليمنعها من ذلك مانع فانها لم تهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها ولم تغفل عنه ساعة مع انها كها في نازلها المهمة وحسبنا على ذلك دليلاً ما رأينا في مخاطبة مولانا السلطان الاعظم للعساكر المحافضة التي عرضت عليه حيث قال: « لقد ملا قايي مروراً ما رأيت من اهتمامكم وانتظامكم وارجو ان يكون لكم مثل ذلك بعد الحرب حين اجراء الاصلاح » واصرح من هذا ما حكاه مكاتب (الدالي تلغراف) حظي بمقابلة مولانا حفظة الله فلاحظه بكلام شف عن حسن النية ودل على نبالة القصد وقد رأينا ان نعرب كلام هذا المكاتب مشرفين هذه المقالة بتعريب ذلك النطق اثره قال المكاتب ما مفاده :

تمكنت من اجتياز خطوط الروس الى صوفيا ومنها قصدت الاستانة فبلغتها واستأذنت في الدخول على جلالة السلطان الاعظم فاذن لي فرفعت اليه ما عابته من شجاعة العساكر العثمانية ورئيسهم في بليننا فيسر بذلك

وَأَسْنِي كَثِيرًا وَلَا طَفَنِي بِالْحَادِثَةِ * ثلاث ساعات متواليات فاذهلني مارايته
 من الدعة في سلطان امة عظيمة منتصرة وادهشني قوله كلما ادى الكلام الى
 ذكر الانتصار ما النصر الا من عند الله وما توفيقي الا بالله وقد خلا
 كلامه يجملته عن كل ما يشف عن الكبرياء او ما يدل على الخقد واني
 ناقل منه ما يأتي : قال مولانا . جاءني اللورد سالسبوري قبل الحرب بلائحة
 تتضمن صنوف الاهوال التي لتعرض لها الدولة العثمانية برفضها قرار المؤتمر
 فاجبته انك يا عزيزي لم تجعل لله مقاماً في لا تحتك ولم تفتكر في انتقامه
 للعثمانيين على حين بؤسهم واقد كان لساني حينئذ يترجم عن قلبي فاني
 كنت على يقين من حسن ظني بالله وتوكلي عليه

وقد جاءت الحوادث بما اثبت لي الاصابة على اني مع التوكل على
 الله كثير العناية بامرئ شديد الاهتمام به ولا اغفل عنه ساعة

وأول ما في نيتي اجراؤه بعد ابرام الصلح تنظيم المالية لوفاء الدين
 واصلاح حال الزراعة وغيرها من اسباب العمران وغاية ما ارجوه ان
 ارى حكومة الدولة العثمانية حكيمة شورية والله اسأل ان بؤهلي لصنع الخير
 في قومي ويجمع على محبي قلوبهم وبعينى على ان اقيم في بلادى بعد هذه
 الحرب الظلمية حكومة جيدة تضمن لها مستقبلاً حسناً

فكيف لا تجتمع قلوب الرعية على ولائه ولا ينتظمون تحت لوائه وهو
 يعدم بما لم تقدم به الاماني من جعل حكومتهم شوروية حكيمة لا تأخذ
 بالوجوه وتصرف عنايتها الى اصلاح شأنهم باستخراج المعادن من ارضهم
 المهمة وصيانة اراضيهم الصالحة للازدراع من افساد المعتدين وجلب
 الصناعات ونشر العلوم وكيف لا تحب سلطانها امة كالعثمانيين رات في
 الكثير من سلاطينها المتقدمين كبراً وانفراداً حين ترى فيه من الدعة
 ولين الجانب ما ادهش الاوروبيين فضلاً عن الشرقيين ودعاهم الى الثناء عليه
 فهذه الصفات مضمومة الى ما تقدم ذكره من حسن النية ونبالة القصد
 ابدت ثقة الامة بسلطانها ووجدت قديم همتها وسابق فتوتها واحيت في

قلوبها حب الوطن بعد موته فبادرت الى بذل النفوس وكل نفيس لتدرا
 عنه من رامة بشرًا ولقد وهم من حسب هذه الغيرة شحض تعصب للدين
 فان العثمانيين جميعًا على اختلاف مذاهبهم ومراتبهم قد جادوا بالارواح
 والاموال للدفاع عن وطنهم ولو صح ما قيل من انهم فعلوا ذلك تعصبًا
 للدين وحده لما قام به غير فيئة منهم فان قيل ان الجائدين بالارواح
 مكرهون على ذلك بالقرعة العسكرية والجائدين بالاموال مكرهون عليه
 بالفرض المحتوم قلنا واين المتطوعة الذين تسارعوا للانتظام تحت اللواء العثماني
 قادمين من جهات شتى واين الاعلانات المرسله من كل ناحية ليستعان
 بها على نفقات الحرب بل ان جمعية الصليب الاحمر في ضمن الهلال
 الاحمر التي انشئت في ازمير لجمع المتطوعة والاعانات فجمع فيها من اولئك
 عدد غفير ومن هذه شي لا كثير بل اين متطوعة الارمن والروم وغيرهم
 من العثمانيين اكان تطوعهم في الجندية العثمانية تعصبًا للدين ام اكرهوا
 عليه لعمريه انهم لم يكرهوا وما كانوا يمتعصبين وانما هي غيرة وطنية
 تجددت فيهم بما راوه من حسن مقاصد حكومتهم على اننا لانكر ما
 حاجته هذه الحرب من عواصف التعصب في افكار بعض الناس ولا سيما
 الجاهلين غير ان جاهلنا قد تعود الانقياد للعاقل بخلاف جاهل بعض
 الاجيال فانه مع جهله شديد التمسك براهه ولذلك لا يتعذر على العاقلين
 منا ان يزيلوا آثار التعصب من افكار الجاهلين فنكون جميعًا امة واحدة
 لا نتعصب الا لوطنها ولا تطالب الا صيانتها وتنقش على صفحات قلوبها
 « فلتحيّ الامة » « فليحيّ الوطن »

✽ وكتب رحمه الله في الحرب وجرحاها واعانتهم فقال ✽

الحرب

عرف الانسان مضار الحرب ولم يتجنبها فهل تلك طبيعة وجدت في كيانه الحيواني ام عادة تمكنت فيه بالاستمرار فصارت ملكة يتعذر التخلص منها وهي مسألة تؤدى الى النظر في هل طبع الانسان على الخير او الشر او كان من عجائبه ان اجتمع فيه النقيضان

يجني على نفسه الحرب وهي بلية حتى اذا بلغت منه مبلغاً بادر الى تخفيف مضارها فممنه الداء والدواء والسم والدرياق وهو بالجملة ابو العجب اما تراه قد فتج في القرن التاسع عشر سوق حرب راجت فيها النفوس ولم يكن سببها السباق ولا البسوس وانما هي ثمرة الهوى ونتيجة الغرور فلما اثبت فيه اخطافارها واضرمت في حماه نارها طلب الماء لاطفاء الالهيب فهو الهادم والباني والزارع والجاني

يحمل على ابن نوعه مقاتلاً ثم يدعو الى اعانتة فهو يجلب الداء ويطلب الدواء ويجرح باليمين ويضمد باليسار او ما تراه في جنوبي البلتان وفي آسيا الصغرى مضرماً نيران البلاء وفي سائر الارض طالباً اخمادها فلورايتها وهو في ساحة القتال يطلب قرناً يصوله وخصماً بطاوله وفارساً ينازله وبطلاً يقاتله لانكرته وهو في ديار السلم يطلب ذا مروءة يساعد من جرحه وينهض من طرحه فهو في الجهة يتادي الانسانية الانسانية وما ادراك ما هيه صفة بقوم بين ضعف فيه الميل الحيواني فقوي الميل الانساني وهو الترفع عن الحاجات الحيوانية الى المطالب العقلية وتجريد النفس عن دنى شهواتها لرفعها الى سامي غاياتها وفي جهة يتادي الحرب الحرب وما ادراك ما الحرب هي باعث الهول والكرب اولها شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى او هي كما قيل فيها

الخراب أول ما يكون فيه أي بزيتها كل جهنم
 حتى اذا حميت وشب شرارها عادت عجوزاً غير ذات حليل
 شماء جزت رأسها ونكرت مكرهة للشم والتقييل

« جرحى الحرب »

في معترك اومضت فيه بروق المرهفات ولعلت رعي المدافع فتلتها
 غيوث الكرات وسكرت السيوف بجمهر من الدم فعربت في الزودوس
 وعقد العثير لملك الموت سرداق مظنبة بالقنا والحليل ساغبة ثقلاً
 وتعود خفاً وكأنها وقد اعيهاها الفارس حثاً قد غضبت على الانسان
 فداست هامة انتقاماً وقد استجيت الشمس من خشونة الانسان فاحتجبت
 بحجاب الضباب وتلمت الارض من اعماله فزلزات زلالتها وكادت تخرج
 اتقالها فارتعد الرعد وثبت الصنديد ونادى منادي الحرب من فر من
 الموت في الموت وقع ومن كان ينوي اهله فلا يرجع . طريق على الارض
 جريح ذو كبد حرّي - تجير باحدى يديه وفوق الكبد الاخرى يذكر
 خلية او حليلة امله فراقها مع امل الرجوع فما الظان به وقد اختفى نور
 ذلك الامل ووالدة تالت به جنيناً وارضعته طفلاً وربته يافعاً وسهرت
 عليه حالماً ووالداً واساه في كآبته وسلاه في حزنه وتوجع له في مصابه
 ثم نجح له الدنيا يزخرها وزيتها فيرى مرير عذابها حلواً وكدم مشاربها
 صفواً فهذا هو الانسان الجريح بسلاح الانسان المظلوبه مساعدته من
 الانسان .

« اعانة الجرحى »

من يسير ما تنفقه على الملاذ في المطاعم والمشارب ومن قليل ما

تصرفه في اقتناء الملابس الفاخرة جد على ابن جنسك الساقط في ساحة
 البلاء حيث ينكر الاخ اخاه ولا ابن اباه ايها المعطر اردانه المفاخر اخوانه
 المحجب بلباسه الجائر على نامه الراكب العربة بقودها زوج من الخيل
 العتاق الساكن القصر المشيد اللابس الحرير الآكل الفالوذج الشارب
 انواع الراح ومن قليل ما تنفقين على باطل الزينة وزائل التحسين وتزر
 ما تبذلين في اقتناء الحلوى والخلل ابتها المفاخرة بزبتها المنافسة في
 حلتها جوذي لجريح يحارب عنك ويحمي حماك وابسطى يدك البيضاء
 بالعطية البيضاء واحسني وانت حسناء فخير الحسن ما كان مع الاحسان
 وخير الاحسان ما كان في اعانة الانسان

وله في

الامة والوطن

الامة الجيل من كل حي ومن الرجل قومه وفي غرف اهل السياسة
 الجماعة المتجنسة جنساً واحدا الخاضعة لقانون واحد وايس المراد بوحدة
 الجنس التوفيق بين الانساب لتعذر ذلك في كثير منها ولما طراً على
 انساب الناس ولا سيما الحضرة من المفاسد الكثيرة ناشئة عن تخالط
 الاقوام مختلفة انسابهم وتوالي الحروب والغارات وتوطن بعض الفاتحين فتوحهم
 وتزوجهم في اهلها الى غير ذلك مما جهلت به الانساب وخفيت به
 الاحساب الا ما حفظ بنباعة اهله عن ان بدانهم فاتح غريب وهو قليل
 لا يقاس عليه وانما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاء الى
 جنس واحد بتوالدون فيه ويسمون به كالجنس الاميركاني لسكان

الولايات المتحدة الاميريكية سواء كانوا انكليزاً او فرنسويين او اسبانيين
او اميركانيين والعثماني لسكان البلاد العثمانية في اوروبا وآسيا سواء كانوا
تركاً او عرباً نترأ اصلاً واللاوسترالي لسكان سلطنة اوستريا سواء كانوا
المائناً او صقالية او ايطاليين اصلاً وهلم جراً

وقد زعم بعض الناس ان من لوازم وحدة الامة وحدة لغتها وهو
وهم لانه اما ان يراد بذلك الاستدلال باللغة على الجنس اولاً فان
كان الاول فهو فاسد لانه قد يلد الانسان بين قوم وينبت فيهم فيتكلم
بلغتهم وهو بعيد عنهم نسباً ولان ما ذكرنا من تخالط الاقوام واغتراب
الفاتحين قد احدث في لغات كثير من جماعات الناس فساداً بحيث صارت
مزيجاً يعجز ابرع الكيماويين عن تحليله كما في لغة اهل مالطة مثلاً فامتنع
بذلك الاستدلال باللغة على الجنس وان كان الثاني فهو من قبيل ايجاب
ما ليس بواجب ولو اقتصر اهل هذا الرأي على استحسان وحدة اللغة
في الامة لاحتسبوا

فقد ثبت بما ذكر ان الامة هي الجماعة من الناس تتجنس جنساً
واحداً اية تتسم بسمة واحدة على اختلاف اصولها ولغاتها وتعارف
باسم تنسب اليه وتدافع عنه

اما الوطن فهو المسكن يقيم به الانسان وفي عرفهم البلاد يتوطنها
سواد الامة الاعظم ويتوالدون فيها ولا يشترط فيه مساحة معلومة بدرجات
معينة او اقليم واحد يتخوم معروفة وانما تعريفه ما ذكر من توطن معظم
الامة به وقد يضاف الى الوطن بلاد لم تكن منه وهي اما ان تكون
فتوحاً ضمت اليه عنوةً واما ان تنضم اليه بيضا اهلها فان كان الاول
فاما ان يكون ضمها قديم العهد وتكون معاملة حكومة الوطن لها معاملتها
لسائر اهلها فثبتت الملكية واما ان لا تكون هذه ولا ذاك فلا تثبت وان
كان فلا مشاحة في صحة الانضمام

وقد اختلف في سبب حب الوطن فقيل ان السبب فيه الالفة فان

الانسان اذا الف شيئاً احبه واجيب بانه قد يخرج الانسان من وطنه
صغيراً فينبت في آخر ولا ينسى مع ذلك حب وطنه وقيل ان حب
السكان يورث حب المكان كما قيل

وما حبّ الديار يهيج شوقي ولكن حبّ من سكن الديارا
واجيب بانه قد ينقل الانسان عن وطنه بمعظم اهله واصدقائه ولا
ينفك مؤثراً وطنه بالحب وعندنا ان ياء الاضافة في قولي وطني هي
السبب في حبي لوطني كما ان ياء النسبة في قولنا فرنسوي هي السبب في
حب الفرنسي لامته فتأمله . فله من ياء بين ياء نسبة ويا اضافة يدعوان
الى فضيلتين حب الامة وحب الوطن

ولقائل انك جعلت مصدر حب الوطن والامة الانانية « حب الذات »
وهي نقيصة فكيف صح في قياسك صدور الفضيلة عن تقيضها وجوابه ان
الفضيلة هي الدرجة الرفيعة في الفضل والفضل ضد النقص اما الانانية
فهي نسبة لضمير المتكلم على غير قياس وفي عرفهم اثار الانسان نفسه
بما يراه خيراً سواء جنى بذلك على غيره خيراً ام شراً وليس في حب
الوطن او الامة شيء من ذلك كما ترى

اما وجه كونهما فضيلة اي درجه رفيعة في الفضل فهو لانهما يقضيان
على صاحبهما بخدمة الارض التي يتغذى بخيراتها والانسانية التي جعلته في
جماعة من نوعه يمينونه على استحصال حاجاته وبدفعون عنه اي سائر
الانواع ولعلك لا ترضى بهذا تعليلاً فنقول ان خدمة الانسانية والارض
لا ينبغي ان تنحصر في جماعة من الانسان او في جهة من الارض وانما
يجب ان تكون عامه فيهما والجواب انه لما رأى الانسان من نفسه عجزاً
عن القيام بجميع حاجاته الطبيعية ودفع اذسى سائر الحيوان تألف جماعة
تفرقت فيها تلك الحاجات فصار هذا زارعاً وهذا حاصداً وذلك طاحناً
وذلك عاجناً والآخر خابزاً وهلم جرّاً وكل منهم في شأنه ساع فلما
كبرت هذه الجماعه عن ان يسعها قسم واحد من الارض تفرقت

فيها فصارت جماعات منفصل بعضها عن بعض حساً مع تواصلها بالتنوعية
واقبلت كل جماعة منها على الاشتغال في الارض التي اخترتها مقاماً
استحصلاً حاجتها واخذ كل من اهلها في الاشتغال بما ارتضاه لنفسه
من الصناعات ليعين بمصنوعه رفيقه مستعيناً بما يصنعه ذلك الرفيق ولو
حاول الانسان الاشتغال في جميع الارضين بجميع المهن والمشاغل لفي
عمره ولم يأت بفائدة تامة بخلاف ما اذا اقتصر على الاشتغال بمهنته في
جماعته اذ يتسر له اسباب الاعانة والاستعانة فتحصل الفائدة التامة في
الجماعة وينتهي ذلك الى حصولها في النوع لما بين الجماعات من علاقات
الانسانية وهذا وجه الفضيلة في حب الامة وحب الوطن فليرسم اسمهما
على صفحات كل قلب ويلهجن بذكرهما لسان كل انسان فانما المرء
باصغريه القلب واللسان

وله في

حركة الافكار

ارى خلل الرماد وميض نارٍ وبوشك ان يكون لها ضرامٌ
بل هي شعلة اصلاح كانت في كمن الدهر في عالم الضياء والنور
فساقتها يد الحكمة بميدات الحركة الى عالم الظهور وسرت في اوربا من
جانب الغرب الاقصى وكنت في ما وراء المانش اباماً واعواماً متنقلة من
ضورة الى ضورة ومن كيفية الى كيفية حتى اعدت لها طريق البروز
فظهر ضرامها بعد الخفاء وانبعثت منها جرائم الضياء فغيرت هيئة الارض
وحالة الناس وظهرت ذلك الجانب من الارجاس « تلك ثورة الفرنسيس »

برزت الى عالم الفعل عام ١٧٨٩ وصدمت قوة الاستبداد فزلزلتها ودفعت
 سطوة التقليد فضعضتها ورفعت عن العيون نقابها وعن النفوس حجابها
 فأنست من جانباها نور الحرية وخلعت جلايب الرق والعبودية واجتمعت
 على ولائها وتألبت تحت لوائها لتدفع عنها من رام اطفاء نورها وافساد
 امورها فتصدى لها اعوان الرق وانصار العبودية وما آلوا في قتالها
 جهداً فاقيتهم وهي ترى الموت في الحرية حياة والحياة في الرق موتاً
 فلم يباغوا منها قصداً ورسمت في عالم الوجود قدمها وكثر الملا من
 حولها وادهشت الدنيا بشدة حولها ثم مرّت عليها الشهور والاحوال
 وتغلبت الامور والاحوال ورأى العدو منها غنلة فدهم واغتم من الزمان
 فرصة فهجم وغلب امره وتأيد واستقام ملكه وتوطد الى ان ساقفه يد
 القدرة الى التهور في ما جرّ اليه واليهما البلاء الأليم فتسنى لها ان
 تدفع عنها شره ورب شرّ يجيىء بالخير العظيم ثم عادت الى سابق عزمها
 والعبود احمد فانفتحت في بلادها « نعي فرنسا » كنوز الثروة وتوفرت اسباب
 القوة والسطوة وصفت موارد السعادة والهناء وانفتحت اسباب المتاعب والشقاء
 وهي الآن على ما نرى من العزّ والمانعة والتقدم في الزراعة والتجارة
 والصناعة ثم مرّت تلك الشعلة في الجانب الغربي الى الشمالي وهي فيه
 كامنة تحت رماد الاستعداد وانأ

نرى حلل الرماد وميض نارٍ ويوشك ان يكون له ضرامٌ
 فان النهلست في روسيا والسوسياست في المانيا طائفتان قد استنفحل
 امرها وعظّم شأنهما وحسبك ان فتاة من النهلست يقال لها « ساسولتشر »
 قد تجامرت وهي في ارض السلطة تحت مماء السطوة ان ترمي والي
 الشرطة بالرصاص عمداً وانه قام لها بين قومها نصراء وتعامون وشفعاء
 ومدافعون وان فتى من الطائفة الثانية يسمي « لمان » قد تجرأ وهو في
 ارض الزوة تحت مماء العظمة ان يرمي الملك الفاتح الكبير بالرصاص ثلاثاً
 وان هاته الطائفة قد اصاب من الفوز والسطوة والتقدم والقوة ما اوقع

في قلب الدولة هيبتها وحملها على الامر باستئصال شائتها وتعطيل جرائدها واعانت الداعين اليها والقائمين بامرها ولا لوم عليهم في ذلك فان تلك الشعلة قد مرت نارها وارتفع منارها وصار لها من الخاصة نصراء وفي الدولة ظهراء غير انها لن تستطيع اخمات تلك النار وان منعتها من السير حيناً ما فان الاسباب اذا اعدتها الحركة اللانهاية وتسنت لها المسببات القابلة حصل الوجود وجوباً

ثم ذكرت تلك الشعلة وطنها القديم فحنت اليه ولا غرو ان يحزن الغريب الى وطنه «نعي الشرق» مقر جرائم الحركات الدينية والسيامية التي غيرت هيئة الارض واحوال الانسان فسرت اليه تنبه غافلة وتفقه جاهلة وظهرت في بلاد «اهورا مازدا» بين ابناء «زرودشت» تحت سماه التقاليد «نريد بلاد الفرس» فان مذهب البايين نسبة الى السيد علي محمد الملقب «باب المهدي» قد ظهر في تلك البلاد من مدة تقرب من ثلاثين سنة وعلق بقلوب الناس فتذهب به جمع كثير منهم واثاروا الفتنة على الحكومه وبرزوا من الجسارة والاقدام ما لم يسمع بمثله وبعد مقتل امامهم رمي بعضهم الشاه بالرصاص ولم يصب وقد كان من اعالمهم الاخيرة ان جماعة منهم تشبهوا بالجند وقصدوا الشاه وهو سائر الى مدفن شاه زاده عبد العظيم للزيارة ثالث افريل (نيسان) سنة ٧٨ وقالوا له اتاً من جندك وقد طال علينا زمن الخدمة ونروم الانصراف الى منازلنا فبرعدهم ان ينظر في امرهم بعد الرجوع الى القصر ثم انهم هجموا على عربته ورموه بالحجارة الكبيرة وجرحوا جماعة من رجال حرسه وكان على مقربة من مكن الحادثة طائفة من الجند فطير الشاه اليهم الخبر فجاؤا مسرعين وقبضوا على جماعة من اهل الفتنة وعلم الشاه انهم من البايين . هذا ملخص تلك الحادثة وسنورد تفصيلها في غير هذا المقام مع بيان حال تلك الطائفة ومذهبها وكيفية سيره وتقدمه وانقسام امامته بين يعي صبيح ازله واخيه البهاء المقيم الآن بمكة. مننياً مستمدين جميع ذلك من بحر

معارف استاذنا الكبير الفيلسوف الشهير درة تاج الحكماء وواسطة عمدة العلماء
الفضلاء السيد جمال الدين الافغاني نزيل المحروسة

وما افضنا في الكلام على آثار تلك الحركات الفكرية التي سرت من
اوروبا من جانب غربها الاقصى الا لاننا نحسب الحركة التي ظهرت
اخيراً في الاستانة حلقة من سلسلتها وهي الحركة التي ظهر اثرها الاول
في عزل محمود نديم باشا اثر فتنة البلغار وخلع السلطان عبد العزيز
وتصيب السلطان مراد وقد كثر عدد الداعين اليها في الاستانة واجتهدت
الدولة في خفض منارها وهماذ نارها بابعاد زعمائها ونفي رؤسائها مع كثرة
الشواغل وتواتر النوازل وقد جاءنا بالتلغراف وارداً من الاستانة بتاريخ
٢١ مايو سنة ٧٨ ان جماعة من العامة قد هجموا على سراي جرائع
مقر حضرة السلطان السابق فحاول الحرس صدمهم واعياهم ذلك
فاطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم نفراً وجرحوا طائفة فاجسنا من
ذلك الخبر شرا وخفنا ان يكون نتيجة ما سبق من المقدمات في عهد
ساكن الجنة عبد العزيز ثم جاءنا في غد ذلك اليوم ببيان ازال ذلك
الخوف وابدع الايجاس وهو ان الذين هجموا على السراي كانوا من
المهاجرين فنرددنا بين تصديق الاول والثاني ورجحنا جانب الثاني بدليل
ما جاء بعده من ان جماعة من اولئك المهاجرين قد ساروا الى الباب
العالي الاعانة وحملنا فنتهم على الحاجه والفاقه . ثم ما لبثنا ان جاءنا
بالتلغراف ما افسد الظن واعاد الايجاس من ان علي سعاوي افندي احد
زعماء تركيا الجديدة كان في مقدمة المهاجمين على السراي وان رجال
الحرس قد قتلوه فابقنا ان هذه الفتنة هي من آثار تلك الحركة المتعلقة
بسلسلة الحركات الفكرية التي ستغير لا تحال عاجلاً او آجلاً هيئة الكرة
الارضية ونظام الجمعية الانسانية

❖ وله في الكلام على سنة « مصر » الاولى ❖

سنة مصر

تنطلق الايام تباعاً وتسير الاعوام قطاراً ونحن بين وداع ولقاء وكدر وصفاء وهذه جريدتنا بين عامها الاول تودعه وهي نقول « يا راحلاً عني رحلت مكرماً » وعامها الثاني تلقاه وهي تشد « يا نازلاً عندي نزلت معظماً » وفي صفحتها مما رسم الاول « العدل لا يكون للحقيقة ضدّاً » وما نقش الثاني « الفكر لا يكون للرغبة عبداً »

وقد كان لها في عامها الاول حركة سير بينة لغاية معينه ادّت بها حق الخدمة وفرضها وقضت الواجبات او بعضها فانتقلت الى ثغر الاسكندريه فنشد بها ضالة الرجاء وتنتجع محابة النجاح فثبت على صغر وانجأت بابهي من الحلى وابهج من الخبر وعارضها اول العين من المعاذير ما دفعته عنها المقادير وسلكت من القصد منهجاً لا تخاف فيه من لام ومن هجما فاقبل عليها من كان معرضاً وصدقت ما كان معترضاً فبلغت من النجاح مكانة يحسدها القاصر عنها ومنزلة يمتقتها الطامع فيها وارتمى عليها بحروف من الضياء منتخب الشكر ومنتهى الشاء لمن اكتسب منهم جلالاً واصابت احساناً وكانوا لكسرهما جبراً (فضاءت وجوهه وسيئت وجوهه) ومن جزموا بظهور فضلها وقطعوا بوجوب وصلها (ولا يعرف الفضل الا ذووه)

غير ان تكامل الشيء لا يكون دفعة فان الطفرة اي الانتقال بغير قطع مسافة محال واسباب الاعمال لا تتوفر الا تدريجاً وانا لا نجهل ان من فروضنا ما لم نقضه ومن واجباتنا ما لم نأت على بعضه ولا ننكر والصدق منجاة ان بضاعتنا من العلم مزجاة ولكن غايبة الفضل جهد المقل

ومنتهى القصور نقص القادر على التمام ومن كان فاعله الارادة وقابله حسن النية حصل فعله كاملا ان امكن الكمال وتم له صلاح الحال وحسن المال اما الارادة فلم تتجاوز بنا جانب الجهد ولم تخرجنا عن السبيل القصد وهو استكمال اسباب التقدم لهاته الصحيفة والاهتمام بشأنها اصلاحاً وتحسيناً واما حسن النية فقد اوجب علينا شرب التعامل على كدورته وابسه على خشونته والتزام امور لا تخرج عن حد الفائدة ولا تتجاوز خط الاعتدال

فمنها حسن الاختيار في النقل وهو من اهم واجبات الجرائد ومنه تقديم الاعم على المهم وانقاء الاخبار الموجبة لاحياء المهمم والتعاون والتوازر على استجلاب العزة ودفن المعرة وانتخاب الاقوال المؤدية للعائق الناقضة للاوهام الداعية الى الائتلاف المبعده عن الشقاق والاختلاف رجاء تقوية الروابط الانسانية بين اهل هاته اللغة على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم مع العلم بان سماء المشرق لا تصفو لمن يسير هذه السيرة وان ارضه لا تثبت خيراً لمن تكون له هذه السريره ولكن للافكار حركة مستمرة تقطع بها عقبات الاوهام لتدرك غايتها وهي الحقيقة وللنفوس آمال منوطة بالاستقبال

ومنها تهذيب العبارة وتقريب الاشارة ما امكن الجهد وتنقيح الكلام وتقرير المعنى في الافهام واضراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرقة وما كان منه غريباً تنفر منه الخواطر وتتميز النفوس فانه لا عذر لمن يقول عتقل وفي اللغة كشيء وقدموس وفيها قديم والشهر المنصرم وفيها الماضي والسابق والغابر والمنسلخ والمنحسم وكثير غيرها وذلك مع تجنبنا مبتذل الكلام وسوقيه واطرحنا فاسد التركيب وعاميه فانه دال اذا سرى في عامة الناس امات اللغة واغلق على الطلبة معاني كتب العلم ولا ازيد بها القارىء علماً انها كنوز لا توفى نقاسة ولا تعد كثرة على اننا لا ننكر ان لحركة المصر حكماً قاطعاً ولاصطلاح اهله قضاء

نافذاً وان كاتبنا في هذا الزمان لا يستطيع ان يتلو تلو السابقين من المولدين والمتقدمين فان علمهم كان زائداً عن حاجات عصرهم اما هو فخاجت عصره تزيد عن علمه وذلك فضلاً عن الترجمة وتشعب مذاهبها فانها الغاية التي يتبارى اليها كتاب هذا العصر ويتسابقون ولكن قليلاً ما يدركون

ومنه السعي الى جنة الحرية مع ثقل سلاسل العادات وقيود القوانين والاعتلاق باهداب الصدق والتثبت باذبال الاعتدال والتنزه عن الغرض الموجب للانحراف والميل الباعث على الارجاف مع التثبت في القول المنقول والتدبر للرأي المعقول كراهة ان نقل من الروايات ما هو مجروح ومن الآراء ما هو مرجوح ملتزمين في جميع ذلك ان لا نتكلم بما لا نعلم ولا نماري في ما علمنا مجنبيين ما كان من الالفاظ موجياً لنفور النفوس وانكسار الخواطر وجملة الامر اننا لم نال الجريدة خدمة والمشاركين امانة والاعتدال اتقياداً والصدق طاعة فان لم يكن في جميع ذلك قضاء للواجب واداء للفرص فلا اقل من امتزاجه بحسن النية وسلامة الطوية وان لم يكن فيه فائدة كاملة ومزية ظاهرة فان اول الغيث القطر وما لا يستطيع كله لا يمتدح على انا لولا الحذر من الفرور لما رضينا للجريدة بما نرضاه لنا من القصور فانها قد بلغت وهي في السن الطفولية مقام الكهول وصار لها من الراغبين في مدة اشهر ما لم يجتمع لغيرها في مدة اعوام فقوي بهم عضدها واشتد عزمها ولم تنس انس اقبالهم عليها وانعطافها اليها فهي تشكر لهم بما تحسن وثنى عليهم بما تعلم واين ذلك من الولاة وواجب النناء وتذكر لوكلائها فضلاً ممنوناً وتشكر لهم سعيًا محموداً

اما نحن فغاية ما نبديه من شكرهم الاعتراف بالقصور عنه فانهم من روضة وشع الرسمي بردتها يوماً باحسن من آثار سعيهم ومنتهي ما نبجله من وصفهم الاقرار بالميز فيه فانهم

ما العود ان فاح نشرآ او شدا طربآ يومآ باطيب من تفريع وصفهم
 وقصارى ما تلوه من ثنائهم انهم
 ما الدوح تفريعه بالزهي متسق نظماً باطيب من تفريع ذكرهم
 ومسؤلنا ان يتجاوزوا عما يرونه لنا من خطاء ادس اليه الوهم
 او قصر عنه الفهم وان يقابلوا بالعفو ما يرون من السهو ويديبوا ما عودونا
 من الفضل والمساعدة والنجدة والموازرة لننهض من الخدمة بما يزلنا اليهم
 فان لنا في قضاء واجباتها رغبة تدفع الرهبة من تحطئة العائين وانا على
 حد ما قال «روسو» نطق عن غيرة وان فاتنا العلم او على حد ما نقول
 نستخدم اللسان للقب ولا نعكس . والله ولي التوفيق وهو الهادي الى
 سوا الطريق

وكتب بعنوان

امالي وطنية

اذا دهمت الفهن قوماً فاما ان تكون قد اخذتهم على غرة وفاجاهتهم
 على حين غفلة عن الاستعداد لمقاومة الحوادث فلم يتمكنوا من دفعها ولم
 يقووا على ردها حتى بلغت منهم مبلغاً واما ان تكون قد اخذتهم على
 يقظة واستعداد لما يتوقع من الملمات فصادموا ما استطاعوا ولكنها علت
 عليهم فاودت بقوتهم وذهبت باستعدادهم

فهانان حالتان تساويتا غاية واختلفتا مبدأ اما الحالة الاولى فالملتونون
 بها فريقان فريق يستولي عليه بالهم والغم مما حل به ويقومه وفريق
 يشارك الفريق الاول في همه وغمه من وجه وينفرد عنه بما يعتريه من

الفرح بنزول تلك الحوادث علماً منه بان الحوادث من شأنها انها اذا
 دهمت غافلاً نهته او زئماً ايقظته او آماً اخافته او مطمئناً اقلقته
 او ساكناً حركته او خلياً شغلته فهي الباعث على الخير كله والداعي
 الى سبيل الاستقامة بالحكمة والموعظة وذلك انها اذا نزلت بقوم اعوزتهم
 الى حوائج شتى والحاجة من شأنها ان تقود المحتاج طبعاً الى الحصول
 على ما مست اليه كما نرى في اصل النظرة وكيف قيد كل نوع الى التماس
 ما فطر محتاجاً اليه في قوامه وكاله النوعي وهذا التريق وان امتاز عن
 الاول بما تقدم من عروض فرحه في عرض الآمة ولكن قد يعرض له
 ما يزيده كدراً وحزناً بما يراه بمرآة خاطره من نوازل الاستقبال
 وموانع الاصلاح فان الانسان وان نهته الحوادث وكشفت له الحجاب
 عن اسباب نزولها ودعته الحاجة بعد ذلك الى لم شعثه ورقع ثوبه الا
 انه قد يفقد الاستعداد ويحرم الاسباب والوسائل فلا يستطيع الى الاصلاح
 سبيلاً ولا سيما اذا خيف من اضمحلال المعصية والوقوع في العبودية كما
 جرى على كثير من الامم التي اخذت في احدى تينك الحالتين فصارت
 اثرأ بعد عين

وعلى هذا فنقول ان الامة العثمانية ممن أخذ على غرّة واغتيل على
 غفلة اذ نبذ بعض اوليائها السرائع والقوانين ظهرياً بل اتخذوها لعبة لآعب
 وآلة عامل وصناعة مقامر فما يمكن تأويله منها اولوه وما لا يمكن تأويله
 نبذوه وانتبهوا فيه حرمة الحق حتى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل
 على بصرهم غشاوة فلا يفقهون الحق ولا يسمعون الصدق ولا يبصرون
 الخبر ولا يخافون الشر حتى اذا قبض الله لنا من يهديننا سواء السبيل
 خذاره ونفوه وعروضونا منه مضلاً يتزأف اليهم بالتمليق والنفاق فخامرت
 قلوبنا الامراض وبلغت منا الآلام فالتمسنا الدواء بعد الاحساس بالداء
 وعالجنا انفسنا بالاجتهاد في جلب المصالح ودرء المفاسد فلم يقوَ على ذلك
 لضعف النفوس وقلة الاستعداد فعمدنا الى التقليد شأن المعترف بعجزه

وقصوره ولكن لم نلخذ فيه الطريق القصد بل اعتسنا وضلنا السبيل ونحن
نحسب لجهلنا انا على سراط مستقيم نترقى في درجات الكمال الى اعلى
عليين ولم نشعر بهبوطنا الى اسفل سافلين الا بعد الوصول الى غيابة الهاوية
فكان مثلنا كمثل معتوه التي بنفسه من على فلم يشعر بألم السقوط الا
بعد ان صادم ارضاً رضت عظامه رضاً فتشخص لنا الداء وعلمنا انا جنينا
على انفسنا بما كان من سوء سيرتنا وفساد سيرتنا وتفرق كلمتنا وتفرق
عبيتنا واستبداد خاصتنا ناشتاً عن الطمع والشره وضمف نفوس عامتنا
صادراً عن الجهل والغفلة وان بقاءنا على هذه الحال لا يجدي نفعاً فضلاً
عن كونه يدلي الى الفناء والاضمحلال

فهذا شرح حال تلك الامة الراهنة التي انقبضت بها النفوس وانكسرت
الخواطر وقد انبسطت لنا اسبابها وعللها وذقنا نتائجها وعواقبها فتعين علينا
مداركها بالوسائل الحاسمة لاسبابها القاطعة لعلنا نلها ولكن بقي ان ننظر
ما هي هذه الوسائل وهل يمكن الوصول اليها والحصول عليها قبل تمكن
الغصة وفوات الفرصة فنقول لا هادي اهدى من الاحتياج وارشد من
الافتقار فالظمان يدعو ظمأه الى التماس الماء والمرضى يبعثه الالم على
طلب الدواء وحالتنا هي التي تهدينا الى الوسيلة التي ينبغي ان نعتم بها
وما هي الا الطبيب النبيه والحكيم النزبه بدواي علل نفوسنا ويعالج مرض
قلوبنا ويصلح منا ما فسد ويروج ما كسد نريد رجالاً على قدم صدق
في الحكمة بصيرين باساليب السياسة يقومون بين الرفق والعدل فلا
يرهبون ضعيفاً ولا يطمعون قوياً ويستوي لديهم الناس في الحقوق فيقربون
اصحاب المزية ويخذلون ذوي النفوس الدنية لا يخشون الحق في الناس
اولئك هم الذين تمنينا بهم النفوس وتمثلهم لنا مرآة الاماني فنجيا على امل
بعثهم فينا وان يكونوا من انفسنا حريصين علينا رحماء بنا يجددون
من آثارنا ما اندرس لاجانب يسرهم ما يسوننا حرصاً على ضعفنا
وطمعاً في حقوقنا حتى ترسخ قدمهم في اوطاننا وتفند كلمتهم فينا فيكونوا

علينا اضر منا على انفسنا ولكن اين منا هؤلاء وقد اصبحنا اليوم فقراء
 فالعثانيون والحالة هذه بين امرين احلاهما امر من المر اما الصبر على
 مضاضة الفقر ومضاضة الضعف حتى يتبيض لهم الله من يقوم بامرهم ويقيم
 اودمهم واما الالتجاء الى اجانب يسلمون اليهم زمامهم ليدبروا امورهم وبدبروا
 مصالحهم ويقولوا يفعلوا ويأمرؤا فيمتثلوا ويا حبذا الاول على مرارته فان
 الثاني متوقف على وجود رجال اشرب في قلوبهم حب الانسانية فكل
 الناس عندهم سواسية لا يفرق بين شرقي وغربي ولا يوثرون قريبا على
 غريب بل اذا ولوا امر قوم من اي جنس وشرب كأن حسبوا انفسهم
 من ذلك الجنس ومشر بهم ذلك المشرب وعملوا بصدق نية وحسن طية
 على جلب المنافع ودرء المضار ولكن اين الرجال الذين اذا الجأت الضرورة
 اليهم فتولوا الامور راعوا الانسانية فيها وسلكوا بالناس منهجاً قوياً وسراطاً
 مستقيماً واذا لا سبيل الى الامر الاول فان الصبر على الضعف زمنساً
 يتبياً فيه من يرجي من الامة مداواة دائها ربما قضى عليها قبل ظهوره
 فيها فلا بد لها من الاخذ بالامر الثاني طوعاً او كرهاً
 ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بدء
 ولكن بعض الشراهن من بعض على انه لا شر لو شئنا وكان في
 اولئك القوم غيرة انسانية وحمية وطنية ولم قلوب تشعر بالآلام النقص
 وارواح تدرك معنى السكالم ونفوس تؤثر النار على العار وترى المنية اهون
 من الدنية فان لهم مندوحة عما اكرهوا عليه اذ لم يعدموا رجالاً وان
 كان قليلاً عديدهم كفواً للم شعثهم وسد خلهم واهلاً للقيام بمصالحهم
 لو اطلق لهم التصرف قولاً وفعلاً

وكتب رحمه الله في المغفور له الخديوي السابق عندما كان
ولياً لعهد الخديوية اذ ذلك فقال بعنوان

توفيق مصر

لابناء الزمان فيه خلة مأثوفة وخصلة معروفة يستغنم الطرب للشئنة
يرونها ويستفزه العجب للطنطة يسمونها يعظمون الشر ان فاز صاحبه
ويحقرن الخير ان اخفق طالبه ينعترن بالرجل العظيم والشهم الكبير من
دمر البلاد واهلك العباد فيرتفع لديهم قدر الاسكندر وقصر وآتيل
وجنكيز وتيمور وغيرهم من الصواعق التي ثقمصت الابدان وانقضت على
هام بني الانسان وما هم الا اعوان الشر واعداء الخير نزلوا بالانسانية
فجعلوا ابناؤها بين شريد بارد وموجع ثكلان وحار بوهم حتى مأوا ونازلوهم
حتى ذلوا بل قاتلوهم حتى قلوبا فاستبدوا بامورهم واستقلوا ونصبوا الحجاب
لى التهمة ورفضوا ستور الصيانة عن الحرمة ولو فطن من يفهم هذا المجد
عظلي والغفر السرايى لما جنى عليهم اولئك المرذة لنبذوا ذكرهم نبذ النواة
وطرحوه طرحة القذاة وعظموا من لا يخطرون بهم خطرة ولا يبرون
بفكرهم مرة من الذين اطاعوا في الارض امر العفة والعدل والاستقامة
والفضل .

فمن لنا بذى همة عالية ونفس ذكية ينصب قسطاس العدل في محكمة
الانسانية ليعلم الناس على اختلاف مراتبهم وتنوع مشاربهم ان من اصلت
سيفه واعلن شره وقاد الرجال وسلك بهم مسالك الاحوال لحطام ينتهزه
او ثار يدركه او مقت يقوده فجعل رؤوسهم صوامع تعلي عليها رهبان

الغريبان وجسامهم مطاعن للعقبان لا يقاس بن اصالح من امر قومه ما فسد وروج من احوالهم ما كسد ورشي من الاجر حصول الخير ومن المغنم اندفاع الشر وان الاسكندر يجده اللامع وصيته الشائع لا يقاس بنسنة اتوس الاكار الروماني الذي انتخب قنصلاً للجمهورية رومه عام ٤٦٠ قبل الميلاد فنهض باعباء الخدمة وحمل اطراف الدولة والامة ولما اتى من ذلك على ما في الرغبة والنية عاد الى مهنته يطلب منها رزقه ثم المت بقومه الاخطار فانتخبوه لحكومتهم رئيساً وذلك عام ٤٥٨ قبل الميلاد فدفع الاذية عنهم ورد الراحة اليهم ورجع الى شأنه الاول ستة عشر يوماً من رئاسته وفي عام ٤٣٨ انتخب مرةً ثالثة لرئاسة الجمهورية وعمره يومئذ ثمانون عاماً فنهض باعبائها واصلح خلتها وجدد بها نظام الامن والراحة ثم استقال منها لواحد وعشرين يوماً من عهده بها ومع ظهور فضله ومزيبته في ما اجرى لم يقبل عنه مكافأة ولا اجرًا

فما اجدر مثل هذا الرجل بالثناء والاكرام وما اولاه بالاطراء والاعظام بل ما اظهر الشبه بينه وبين ولي العهد توفيق مصر اعزه الله في ظل الجناح الوالدي الخديوي حفظ الله وجوده وصان علاه وذلك في ما حصل له من المزية والشأن المنيف بتخليه عن التالد من المال والطريف اقتداءً بحضرة ولي النعم وتمييداً لانتداء الانجال اهل الشمم والال ذوي المهمم وتفرد به عدم قبول العوض واستبدال الجوهر بالعرض وهي مزية انبأت بعلو همته ودلت على طهارة فطرته وتناهت فلانرى لها جزء غير الاخلاص في شكواه والاغراق في حمده ولا يخفى ما يترتب على هذه المحمدة من الآثار التي يجمل موقعها ويرتفع موضعها فانها توجب انشراح الصدور بصفاء الخال واستبشار النورس بحسن المال والاعمال وقف على سبيل الامال وبعبارة ثانية ان للانسان في سيره المعنوي حيائين احداها متعلقة بالحال والاخرى منوطة بالاستقبال فمن فقدهما جميعاً فاولئك هم الاشقياء الذين لا يعرفون طعم الهناء بل هم الموتى في عالم الاحياء ومن حظى بالاولى

دون الثانية فاولئك هم الاحياء في اليومين السعداء في الحالين
 فليحي اهل مصر بما آتاهم الله من فضله العظيم وليسعدوا بما افاء
 عليهم من ظلال جوده العميم وليشكروه في العشي والابكار ويحمدوه
 اناء الليل واطراف النهار وكيف لا يحمدونه وقد خصهم بملك
 ذكر الانام لنا فكان قصيدة وهو البديع الفرد من اياتها
 وامير

رأيت جميع الناس دون محله فابقت ان الدهر للناس ناقد
 وقد علم قراء صحننا ان ليس من شاننا الاطراء استجداء ولا الوقعة
 افتراء واننا ننظر الى الفعل لا الي فاعله الى القول لا الى قائله فانه
 ليس وراء الصدق رفعة وليس بعد الكذب ضعة والحق ملك لا ينكسر
 لواؤه وان قل اولياؤه فان لم يشرب هذا الماء على صفاته ولم يلبس هذا
 الثوب على بهائه قرب نقيس ربي به من حالى ورب حسناء طالق
 وهذه صفحت ثناء تنزهت عن الملق يقال لمن تلاها اصاب وصدق
 ذكرنا بها محمدا امير ان ذكر الشرف كان بذروته او الفضل تمسك
 بعروته وما القصد الا خدمة الحقيقة ورفع منارها وان تظهر للعيون محاسن
 آثارها فتكون باعثة على الثناء داعية الى الدعاء وقد جاء في الاثر الكريم
 من نشر معروفًا فقد شكره ومن ستره فقد كفره
 اذا انا لم اشكر على الفضل اهله

ولم اذمم الوغد اللهم المذمما
 فقيم عرفت الخير والشر باسمه
 وشق لي الله المسامع والنبا

❖ وله عام ٧٨ من كلام سيامي في احد فصوله الافتتاحية ❖

قال

تحقق بالمرء النوائب وتحف به المخاوف والمصائب فيسدل على فكره
حجاب الوهم وتغرب عن ممانه شمس العزم ويأفل نجم الفهم ويلتمس سبيلاً
الى النجاة مما هو فيه فلا يجد فيسلك بنيات الطريق وذلك ما كلف
عليه اهل السياسة قبل ائثارهم في برلين فانهم لما اشتدت عليهم الازمة
وخافوا تعاطف النعمة وتلاحم مادة الفتنة وتضافر اسباب البلاء رضوا بالمؤتمر
منجاة من تلك المهالك مع العلم بما يكون فيه من تضارب الآراء وتعاكس
الاهواء وتألفوا على دخل ومداجات فطارت الخواطر اليهم على اجنحة
الآمال راجية ان يرسم في لوح خيالهم صورة المهروب ومثال المطلوب
فحملهم القوة الباعثة على دفع الاول وجلب الثاني باقامة الامور وتنظيم
الاحوال فكانت كالسائر غرّة القمر والرائد اعجبته خضرة الدمن فان
اعمال الموءتمرين ماثلت ظلمات في بحر لجي واجات عن مصائب مستدّة وبلاء
ممتد في نتائج لم يرض بها الغالب ولا المغلوب ولا الطالب ولا المطلوب
ولا يدفع ذلك ما يديه اندراسي وبيعه بكونسفلد وغيرها من الخطب
الضافية الذبول المضروبة مثلاً في سلطة الفكر على الفكر فان الفعل يبطل
ما يقولون والامر الواقع يدفع ما يدعون

وهذه الروسية قد كشفت نقاب الكتم وازالت حجاب الوهم فظهر
من خلال اعمالها انها وافقت على قسم البلغار كارهة وان لها من وراء

ذلك مقاصد خفية اذ اوعزت الى مامورها في الروم ايلي ان يضع لها قانوناً مماثلاً لقانون امارة الباغار لتحصل بينهما الوحدة الادارية الموجبة للانضمام وبث الدعاة في ارجائها يذكرون لاهلها عناية الروسية بهم ويجمعون قلوبهم على ولائها واقرت بينهم عساكرها ونقلت في الاحتجاج لذلك بين دعوى الخوف عليهم والرغبة في صيانتهم وابرام عهدة الصلح النهائية او اثبات ما لم تنسخه عهدة برلين من احكام عهدة سان ستيفانو وما القصد الا ان يرمى قدمها ويستفحل امرها في تلك البلاد وان تغرس فيها من الثقة بها والاعتماد عليها ما تحبني ثماره بعد حين

وهذه اوستريا تكلفت الخلول بيوسنه وهرسك فاهلكت في ذلك مالا كثيراً واهرقت دماً غزيراً فضافت ذات يدها وفسدت عليها قلوب رعيته وانكر النواب سياستها فصارت بين خلاف داخلي تخاف صره مغبته وفتح خارجي لا تقوى على القيام بنفقته وسيبدو لنا ما نهجل من احوال سياستها بعد ان تعرض على دارندوتها

وهذه انكلترا يوم وزيرها انها بلغت الامنية وصارت في امان لا تخاف به دركاً ولا تخشى اذ حلت بقبرص ونشرت لواء سطوتها على الخليجين وآسيا الصغرى فامنت سبل الهند وحفظت مصالح امتهما ولكن الحوادث الاخيرة قد كشفت عن احوالها الغطاء وازالت الخفاء فابدى بها الصريح عن الرغبة وظهر من قول نفس وزيرها انها لا تأمن على هندها الا بعد تسوية تخومها وبديهي ان ذلك يفضي بها الى حرب تستخدم نارها وترتج لها جبال حملايا بل ربما ادت الى فتنه صماء تومض فيها بروق المرهفات وتلعلع رعود المدافع فتنهمر غيوث الكرات وتكون بها اواسط آسيا معركة يعقد من عثريها الملك الموت مرادقات وقد انبأنا التلغراف وارداً من لندرا ان وزراءها قد اتفقوا على اصدار الاوار الى عساكرهم بالحملة على افغانستان لانقضاء مهلة الانذار قبل ورود جواب الامير بالاعتذار .

وهذه الدولة العثمانية قد اكرهت على ما تكره وتظامنت لحكم الزمان
فتقلص ظل مجدها وافل نجم سعادها واصبحت بين الروسية وانكلترا كالسفينة
بين عاصفتين فلجأت الى الثانية رجاء ان تشد ازرها وتؤيد امرها فكانت
كالسجور من الرمضاء بالنار اذ استوات انكلترا على احسن جزائرها وقبضت
على زمام الادارة في بلادها الاسيوية والقت الوحشة بينها وبين دولة
اسلامية مهمة وجعلتها بين داخلية ممزقة بالفتن وخارجية مشوهة بالعداوات
والاخن حتى اذا اضعفت عزمها ونزفت مادة ثروتها اوعزت اليها ان
احفظي الزاحة في البلاد وانتذي ما اروم من الاصلاح واياك الاهمال فهو
مفسدة للاعمال فصيح فيها قول القائل

الفاه في اليم مكتوفاً وقال له

اياك اياك ان تبتل بالماء

واما اليونان والصرب والرومانيون والبلغار وغيرهم من الطوائف التي
تعلق لهيب الفتنة باطرافهم فقد كان مثلهم في المؤتمر كمثل من كره ما
لديه ورام عنه عوضاً فسمح به ثم لم يصب العوض ففاته الاول ولم يدرك
الثاني فندم ولات حين ندامة . فاما اليونان فقد اطعمهم المؤتمر في امانهم
ولم يهد لهم سبل نوالها ولم يجعلهم على بينة من الامر فهم كالغافجأ بالشر
يطلب الى النجاة منه ان سبيل ولا يسلك منها سبيلاً فتارة يجندون
العساكر ومرة يشيرون التمن وطوراً يعزلون الوزراء وآونة يستغيثون بالدول
وقليلاً ما يهدون . واما الصرب فقد غرهم الامل في حسن نيات الدول
فتهوروا في الحرب رجاء اصابة المغنم ورأوا وهم في مفازة الاوهام سراب
الوعود فظنوه ماء حتى اذا اتوه واتقضت الحرب لم يجدوه شيئاً فسادوا
راضين من الغنيمة بالاياب بل حصل لهم استقلال نحسبه مدرجة الاستعباد
وما ذلك الا لانه سيكون وسيلة لتداخل الروسية في امورهم قصد ان
يظلمهم جناحا نسرهما رحمة بهم انهم من اهل جلدتها ولا ينقم
الناس على من يصل الرحم ويقدم العشيبة . الرومانيون فقد عدوا نقوساً

وفقدوا نفيساً ولقوا في امرهم نيساً فوهوا هذه النوائب بالاستقلال وصبروا عليها صبر العاجز على المكروه وظهروا الرضا بالموجود الا انهم لم يستطيعوا اخفاء الاسف على المفقود . واما البلاغا فقد ساء لهم انفصال جانب منهم عن امارتهم الجديدة فاطالوا التجوى وصرخوا بالشكوى وجملة الامر ان الموهب قد ذرَّ على الجرح لمحا ثم لم يحكم الضماد فتواترت من بعده التوازل وتوالى المشاكل وزادت المخاوف وصار السلم على شفاة خطر مبيت وهي ظنون قصارى ما نتمنى فسادها فقد كفى ما اهرق من الدم هدراً وما بذل من المال عبثاً ولا ريب ان الصلح اصلح والسلم اسلم

❖ والله ما كتب عام ٧٨ بشأن الافرنج بمصر اذ قال ❖

اماني

من وأنا نذكر الافرنج تارة باللوم وطورا بالتظلم ونطلق اللسان في بيان سوء معاملتهم لنا وانهم في بلادهم خراف ترعى الرفق وتأنف العدل وتنفياً ظلال الخربة والمساواة وفي بلادنا اسود نقض لحم الحيوان وتأوي الى غاب القسوة والجفاء والزهو والامتيان يحسب اننا ممن بنكرون فضلهم ويبخسونهم اشياءهم ولا والله لسنا من ذلك في شيء فانا نعترف لهم بالمزية والفضل ولا نجحد سبقهم في مجال العلوم والفنون واجتهادهم الجدير بان يقندي به وان قدومهم بلادنا عاد علينا بالفائدة المعنوية عارضة في خلال اعمالهم المبنية على آمالهم وذلك يقضي بالشكر لهم وان كنا على يقين من انهم لم يجابوا لنا الفائدة التماساً لمصلحتنا بل توصلوا

بها الى ادراك الغايات الدينية والمقاصد السياسية وكيف لا نشكر لهم وقد
كنا منغمسين في الضلالة نائمين في مفاوز الجهالة حتى صارت مدارسنا
دارسة لا دراس بها ولا دراسة وارضى افكارنا باخاً لا تثبت شيئاً فلما
ان وردوا علينا واقاموا بين انظهرنا صار فينا جماعة كثيرة يمجنون ما لم
يحصنه نزر من السلف ونقر سبقوا الى الغايات وبلغوا من المعرفة مبلغاً لم
تحم عليه افكار آباؤهم وانثت عندنا صحف الاخبار فاستنارت بها
الافكار وقيمت الملاعب التياترية الموجبة لانتظام الاحوال الاجتماعية
وتليت في مدارسنا الدروس بعد الغفاء والدروس غير ان ذلك لا يمنعنا
من امتياز الافرنج عنا في الحقوق المدنية والسياسية ولا يردعنا عن
التماس المساواة التي يسكنون اليها ويحرصون عليها فان قيل انهم حقيقيون
بالامتياز لتفضلهم علينا بما علمونا وفي الكلام المأثور « من علمني حرفاً كنت
له عبداً » قلنا انهم لم ييادئوننا بالاحسان ولكن ادوا الامانة ووفوا الدين
وهم به معترفون ثم طلبوا مكافأة على ذلك امتيازاً في الحقوق وعفواً عن
الواجبات فاذعن لهم اولياء امرنا رهبة من مقاومتهم ورغبة في موالاتهم فلما
استنارت بصائرنا وانقض الختم عن قلوبنا راينا ان لا تكافوه بين الحاليين
ولا تعادل بين الجارين فرفعنا اصواتنا المنخفضة الى مقامات الرؤساء نطلب
مالنا المنهوب وحققنا المسلوب

وقد آن والله للامة ان تطلب وللدولة ان تجيب . بل آن للاوروبيين
ان ينكثوا عن الطمع في الاثرة ويعدلوا عن الحرص على الامتياز. فقد
ابطلت الخجة التي اثبتوا بها لانفسهم ذلك الحق وما كانت حجتهم الا
الاحكام مسلمة الى من يخافون منهم الخيانة ولا يعتقدون فيه الامانة
والادارة منوطه بن لا يرونه اهلاً لانزال الامور منازلها وترتيبها في
مراتبها وقد ابطل الوجه الاول بما كان من تشكيل مجالس الخفائية من
اعضاء لا ينكر الافرنج استقامتهم ولا يجهدون اهليتهم فان منهم الاوروبي
اليحت والوطني الذي ارسل الى بلاده فثبت في مدارسها وربى على

عاداتهم ثم عاد الينا وهو افرنجى المعرفة شرقي الاخلاق فلم يبق لهم الا الاحتجاج على الادارة وقولهم ان نسبة القضاء للحكم الاجرائي كذبة القوة للنعل فان لم يكن بينهما تقارب وتناسب بقي الامر في عالم القوة زمناً يحو رونقه ويذهب بفائدته فصرنا على ذلك مكرهين غير مشكورين ولا ماجورين وظلت اعناقنا لهم خاضعين

ثم حصل ما كانوا يطلبون وتم التناسب بين القضاء والاجراء اذ تشككت النظارة او الوزارة من اجانب ووطنيين يتقون بهم جميعاً ويعتقدون فيهم العدل والاستقامة وعلو الهمة والشهامة فتوجه الحق علي حجبتهم فدمغها فاذا هي زاهقة ولكنهم في ما نرعى يستكبرون عن معادلة من كانوا يقضون ومساواة من كانوا يمتنون ولا تثريب عليهم في ذلك لما فيه من المصلحة لهم ولكن يؤخذ عليهم بكون استحصال النفع بضره الناس مكرههاً بالاجماع

ولا ريب ان امتياز بعض الناس عن بعض في وطن واحد بلحق بذلك الوطن الضرر العظيم حساً ومعنى ووجه الضرر الاول ان معاملة سفلة الافرنج بما لا يعامل به وجوه الوطنيين من الاكرام لغير علة والنعو عن الذنب الواضح قد بعثتهم على التمرد فاعتسفوا وافسدوا ما شاؤا بحيث لم يمض علينا يوم ولا نسمع فيه ان فلاناً الايطالي او المالطي ضرب وطنياً بخنجر فحمل الجريح الى المستشفى والجراح الى دار فاصله فاودع فيها غرفة رقيقة ياكل بها عيشه رغداً حينئذ ثم لم يلبث فيها ان اطلق فازداد بما اكل شرهاً ونهماً وعاد الى مثل حاله السابقة فكانت الثانية شرماً من الاولى فاذا تكرر صدور ذلك قذف به الى اطراف بلاده فسار اليها ثم عاد مبدلاً اسمه مغيراً شارته واسمه كان يكون باحجية ثم يحفوها او يختار لها شكلاً هندسياً لم يكن لها ولا يخفى ما ترتب وما يترتب على ذلك من الاضرار بهذه الاقطار

واما وجه الضرر المعوي فهو ان انحطاط منزلة الوطنيين وانخفاض

جناح ذلهم بالذبة الى الاجانب يولد فيهم الحسد والكسل ويشرب
قلوبهم المتهيب والخوف فلا يجتهدون الرغائب في طلب الرغائب بل ربما
كان الرجل منهم ذا مروءة تيممه على التماس الرفعة والمجد ثم لا يجيد من
يشده ازره فيبقى خافض الذكر خامل المنزلة ولو رأى من الدهر انصافاً
لركب العظيم وطلب الجسيم ومات موت الكريم

ولقد حان لهذه البلاد ان تنتعش من عثرتها وتغلت من ربقتها
بعد ان ضربت عليها الذلة وتطامن اهلها للرق صاغرين مئات بل الوفاً
من السنين حتى ضربت الامثال بطاعتهم العمياء للامراء والروساء وكيف
لا وهم الذين احتملوا ظلم الفراعنة وقسوة الرعاة وعسف اليونان وجور
الحاكم بامرهم الذي لعب بهم لعبه بالكرة والصولجان فكان بينهما اليوم
عماً امرهم به امس ونصرف بامورهم الروحية والبدنية فتارة يلبسهم الايض
ومرة يرمم بالاسود وحينئذ يحملهم على التثبوع وآونة بامرهم بالسنة وفي
جميع ذلك لا يسأل عما يفعل ثم صبروا بعد ذلك على عتو المالك
وجندهم وناهيك به صبراً لا تحمله الجمال بل لا تقله الجبال ولا نخدمهم
على ذلك

فغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربته

وانا لنجلمهم عن ان يكونوا قد القوا الذل فرضوا به او خافوا ان يكون
الاكداء مع الكد والخفية مع الطلب فقالوا ان رزقنا سوف يأتي انسى
له فيجهدنا ثم نسكن فياتي ولا يعنيننا مع انه لا يجوز في الوهم ولا يصح في
القياس ان نجني الثمره بغير غرس ويشمر المال بغير طلب
وقد

بصرت بالحالة العليا فلم ارها تنال الا على جسر من التعبد
بل ليس في الامر عناء او تعب فانا لا نلتبس العزيز الذي لا يترك او
الغاية التي لا تدرك ولكن قصارى مرامنا ان تحصل لنا المساواه فيكون علينا ما
على الاجانب ولنا ما لم سنة الانسانية في بنيتها والحربة في ذونها

✽ منتخبات جريدة مصر الفتاة ✽

(المنشأة في الاسكندرية عام ١٨٧٩)

ليس لادبنا في هذه الجريدة اوال جديدة بالاثار فانه لم يكن
 محررها المطلق او صاحبها المسئول فما فيها من آثاره انما
 هو عرب الفصول التي كانت تنشر في القسم
 الفرنسي منها فلم نؤثر عنها لذلك الا
 المقالة التاريخية الآتية معرفة بقلمه
 عن الاصل الفرنسي وهي

الامة المصرية

(بازاء التاريخ)

لا يستطيع الواقف على التاريخ الا ان يتعجب من سكون الشعب
 المصري في خلال القرون والاجيال التي تولت فيها على الامم والممالك
 ادوار عماره شادت لها قصور المجد في رياض التمدن وادوار دثار ذهبت
 بتلك الآثار

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس^ه ولم يسمر بمكة سامر
 وما بينهما الانسان يسير الهوبنا الى الغاية المفروضة له^ه منقلباً بين
 البداوة والحضارة والشدة والرخاء فقد كانت هذه البلاد في خلال تلك
 التقلبات نظير صنم ممنون واقفة صامنة ساكنة في وسط الامم السائرة

الى النجاح في سبيل التقدم
فما علة هذا السكوت وما سبب هذا السكون

١

فلنبعث فان البحث من حقوق كل انسان فافكر وهو شعار هذه الجريدة
الجديدة فاذا انفتحت اسباب اداء سهل تحصيل الدواء
انه بعد الاعصار التي يقصر التاريخ عن بيان احوالها وانبي تنحصر
اخبارها في الروايات الخرافية والابحاث الاكتشافية قد كان بزوغ انوار
العلم في بلاد مصر اولاً وكان الناس الى ذلك العهد في حالة الخشونة
لا صناعة لهم ولا علم ولا ادب فان الآثار القديمة الهائلة التي اكتشفها
الباحثون في اواسط بحر الروم لا تدل الا على ما كان للانسان وقتئذ
من الغلظة والقسوة واما الصنائع والعلوم والآداب فمنشأها في هذه البلاد
تنطق به اخبارها وثبته آثارها واذا انتقلنا من الادلة المادية الحسية الى
دائرة الافكار المجردة الفلسفية رأينا ان الطريق التي سلكتها الامة
المصرية في ذلك العصر القديم ليست باقصر ولا اسهل من غيرها فان
الكنهة المصريين كانوا وقتئذ يعتقدون بوجود الله وخلود النفس وان
المهم الذي كانوا يسمونه ببيروني غير منظور مستقل غير متجسد غير متغير
غير متناه ازلي ابدى وهو كالاله الخق اله اليهود والنصارى والمسلمين
وكانوا يقولون بالنفس الخالدة بدليل ان افلاطون اخذ عنهم حكمته التي
تناقها الناس عنه وصارت على نوع ما انجيل التمدن الفلسفي في النصرانية
ويضيق بنا المقام على جمع سائر الادلة الحسية والمعنوية على قدم التمدن
المصري وعن ذكر جميع النوائد التي اخذها اليونان عنهم والقوها الى العرب
فالقاها هؤلاء الى اوروبا على اتنا في غنى عن جميع ذلك بما تقرريه
التواريخ وثبت في التقاليد من ان منشأ التمدن انما هو مصر وانها مصدر

الاشتغال بالصنائع والعلوم

ولا يتيسر تحديد ذلك الزمن لان الآثار الخالدة المنتشرة في بلاد مصر والتي علمنا سيمبوليون ان نقرأ المكتوب عليها بسهولة وان كانت باللغة من العمر ٦٠٠٠ سنة الا انها حديثة بالنظر الى الخمس وسبعين الف سنة التي تكوّنت فيها الذلنا كما يستفاد من اخبارهم القديمة على اننا نستغني عن ادلة الاخبار الخرافية ونكتفي بالنظر الى عظمة الاهرام وجمال هيكل لقصر لنتيقن ان هذه الاعمال هي نتيجة تمدن عظيم لا نتيجة طاعة ناقصة وما يدلنا على تقدم مصر العجيب في الاعصر القديمة صناعة البناء وتفنههم في ذلك فانه لما كان وقوع النور على السطوح الصقيلة المتساوية يجعل في منظرها تعبيراً جعل المهندسون المصريون سطوح المسلات محدبة وجعلوا احديدها موازياً لذلك التعبير الذي توهمه العين بسبب النور وهذا دليل واضح على ان العلوم والصنائع كانت وقتئذٍ متقدمة جداً بين المصريين

٢

فتبين من ذلك ان العقل لم ينمُ اولاً ولم يسع ليولد الافكار العظيمة ويجمع المعارف المكتسبة ويحفظها وينقله الى الخلف ويفهم معنى الجمال ويسير في طريق الكمال الا في هذه البلاد ولكن في هذه البلاد ايضاً فد انطفأ فجأة نور ذلك العقل المولد الذي بلغ فيما سلف اعلى درجات الكمال ثم تواردت عليها الامم المختلفة والشعوب المتنوعة فانماها الرعاة ثم الحبشة ثم فارس ثم العرب ثم الانراك فمنهم من اكتسب منها التمدن ومنهم من كان من المفسدين اما المصريون الحقيقيون فلم ينهضوا بعد ذلك السقوط فان بلادهم لم ترَ في جميع تلك القرون التي تحلتها تلك الحوادث والحروب يوم مجد ولا يوم سعادة فما هي الاسباب المعنوية او الحسية التي وقفت حركة هذه البلاد تلك المدة المديدة

الزائدة على الالف اعوامها هل جفت موارد ثروتها ام نضب ماء نيلها ام تغيرت عقول سكانها . . . وهي مسائل لا يفتح لنا التاريخ عنها بل غاية ما نعلمه الامر الواقع وهو وقوف حركة التقدم

ولقد اخذ اليونان اصول التقدم المصري وادركوا في الفوائد غاية التقدم كما تدل على ذلك آثارهم الجميلة وبقاياهم الجليلة وبلغوا في العلوم منتهى النجاح فنشأ فيهم ارسطو وبقراط وارخميدس وبتاغوروس ونالوا في الشعر اعلى مقام فنغ فيهم هوميروس وافلاطون واصابوا من الحكمة احسن نصيب فظهر فيهم سقراط وامثاله

ثم قام الرومان من بعدهم فوضعوا القوانين ونشروا التمدن في اقصاى الارض وما برحت الاجيال لتعاقب والايام لتتوالى في عصر الظلمات المسمات بالاعصر المتوسطة حتى استرشد الناس بالاطلاع على علوم اليونان والعرب واستيقظت المهمة فاكشفت اميركا ثم جاء عصر الانتعاش وبعد تفاعل المسائل الفلسفية بقرنين شبت الثورة الفرنسية التي دفعت التمدن الى الحالة الحاضرة

وفي كل هذه الازمان لم تتغير حالة مصر بل تأخرت وتقهترت منقلبة بين ايدي الفاتحين ومطامع الطامعين وكيف لا نستغرب مع علمنا بان بلاد مصر هي مهد العلم ومصدر التمدن وانها فيما سبق نالت الحظ الاوفر من النجاح المادي والعقلي وان الباقي من آثارها لا يزال الى الان موضوع تعجب اهل هذا العصر مع ما هم عليه من سعة الافكار والتفنن في الاعمال العظيمة والمفيدة

ولكن اذا علمنا ان الامة المصرية قد فقدت حربتها منذ اعوام واعصار وان حكامها كانوا سادتها وانها كانت عرضة لغاياتهم وغرضاً لاهوائهم مع فقد اسباب الادارة ووسائل العبارة سهل علينا ادراك سبب تأخيرها وفقد قوتها الادبية وبقائها ساكنة كل هذا الزمان الطويل .
فيا ابتها الحربة يا مصدر كل امر جليل في الارض لقد علمنا انه لا نجاح

بدونك ولا سعادة مع البعد عنك فإن الامة الحرة تكون كفرس غير
 مقيد يسير رافعاً رأسه وبتنشق ملء صدره الهواء النفسي ويسرح في
 المرعى النضير واما الشعب المستعبد فهو كفرس يدور حول الزحى مغمض
 العينين يسير السنة بتمامها ولا ينتقل من مكانه
 ويا ايها الامة المصرية انهضي من عثرة الغفلة وانظري الى الذين نالوا
 السعادة فانك اهل لاعظم المواهب ولا سيما بعد ان تولاك اميرك الجديد
 الذي اتخذ الحرية شعاراً ورفع للعدل مناراً فلا ريب انه يهد لك
 طرق الاصلاح ويسلك بك مسالك النجاح

✽ مختارات مصر القاهرة ✽

« التي انشأها في باريس عام ١٨٨٠ »

ثبت في هذا القسم ما خلا من آثار الحدة ونزق الشباب في
 فصول هذه الجريدة ومقالاتها مختارين من شذورها
 ما اعتلق باهداب البلاغة واتصل باطراف
 البراعة في اليراعة وهي

اوروپا والشرق

قضي على الشرق ان يهبط بعد الارتفاع وبذل بعد الامتاع ويكون
 هدفاً لسهام المطامع والمطالب تعبت به ايدي الاجانب من كل جانب فمنهم
 من يغير عليه بحجة الغيرة على الانسانية ومنهم من يتداخل فيه بدعوى

اقامة المدينة ولم نر منهم من صدق في دعواه بل كلهم تابع في ذلك
قصده وهواه

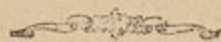
فقد استولت انكثرا على الهند والافغان وجنوبي افريقيا وقبرص
وتداخلت في تركيا اوروبا ومصر وسوريا ومراكش وزنجبار والبرمائ
بمحبة الانسانية ودعوى المدينة ولم تؤيد في جميع تلك البلاد غير
الخشونة والاستبداد استبقاء لاهلها على حال يسهل معها اخذ اوطانهم
واستخدام ابدانهم بما فطرت عليه من الاثرة تحملها على كراهية الفضل
الا لبنيتها وبغض السعادة الا لذويها بل بما تقرر في اذهان اهلها من
ان الخارج عن جزائرها الثلاث منحط عن درجة الانسانية لم يوجد الا
خادمة الذين القتهم الطبيعة خشونة طباعهم على صخور منقطعة عن اليابسة
معرومة من الطيبات محجوبة الشمس والنجوم مسترة الضباب والغيوم

وفتحت الروسية القريم وداغستان وارمينيا وسجستان وخبوي وخوقند
وتركستان وسمرقند واغارت على الدولة العثمانية فانزعت منها معظم بلادها
الاسيوية وفصلت عنها العرب والمملكتين والجبل الاسود والباغار وجعلت
الروم اهل شركا لفتنة تثيرها وارب تناله ثم القت على جميع ذلك حجاب
حسن النية وموهته بالغبرة الدينية والقيام بامر الضعيف ورفع منار المدينة
ولو صدقت في شيء مما تدعيه لرأينا بوادر هذه المآثر في بلادها ولما
راينا ولي عهد دولتها يطلب من ابيه الاصلاح واهل ندوتها يسألونه ففتح
ابواب النجاح وقادة الجند بدعون للحكومة الشروية وعامة الرعية يرومون
رفع لواء الحرية واهل الثورة يخرجون عن الطاعة وبشقون عصا الجماعة
وجلالة القيصر غير مبال بجميع ذلك حتى قيل انه الى التنازل عن
الملك اقرب منه الى الرضا برأي ولي العهد بل جاء بالتلغراف انه قد
استشاط غيظاً من تجرؤ ابنه على التماس الشورى فامر به ان يسجن ولولا
ان شفعت فيه والدته لكان في جملة اهل الخبوس

على ان الروسية وان كانت مطامنة الاحكام الا انها ادنى الى الرحمة

والعدل والرفق والفضل من دولة الانكاز التي لا تبقي على حياة الخاضعين لها الا للانتفاع بخدمتهم فهي كالجزائر لا يظعن الضائن الا ليذبجه سميتاً ثم يجعل من جلده سوطاً يسوق به الانعام . على مثل ذلك طبعت حكومة الانكاز وعلى مثله نراها في الهند فقد جعلت امراءها غلماناً واتخذت نهباءها عبداناً واستخدمت عامتها فيلة وبعراناً

اما سائر الدول فانها اقل من تلك الدولة شراً واكثر منها برّاً ورفقاً تعامل الخاضعين لها بالتي هي احسن حتى يكادوا يحمدون وفادتها ويشكرون ولايتها لولا العلم بان الاستقلال حياة الامم فاذا فقدته فقد صار وجودها المعنوي في جانب العدم



التمرد

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً

فان فساد الرأي ان تترددا

ووال الزمان اذا والاك وخذ منه ما اعطاك فهو ملول بألف الصد وبخيل لا يانف الرد وانتهز فرص الخواث فالمروان طال قصر من ان يسم المطال

واعتبر بالذين يقتلون الايام بين الاحجام والاقدام ويوجزون للغد ما امكن بالامس الى ان يمتنع الامكان بما يحول دونه من مصاعب الزمان كيف تلاشت احوالهم وساء ما لهم فداروا الى الضعف بعد القوة والحرم بعد الفتوة والخمول بعد النباهة والخسف بعد الوجاهة حتى عاد مجدهم ومسح فضاهم عاراً

وانظر الى الذين ينيطون الاقوال باحرف الاعمال ويستلبون الاوقات
من مغالب الآفات وينتهزون النرص كيف سحت وبدخلون ابواب السعي
متى فتحت هل زلت بهم الاقدام ام ندموا على الاقدام ام أسفوا كما ياسف
المعمولون ام خسفوا كما خسف المترددون

او ما نراهم في ذروة المجد وربة النعمة وعقوة الحرية لا يبلغ شأوم
الساعون ولا يسمهم الشقاء ولا يماهم الظالمون بسوء فهم القادرون اذا
رغبوا والمدركون اذا طلبوا والعالمون اذا انطقوا والبايقون اذا لحقوا بتقسيم الحياة
لشيوخم كما يتقسم الموت لفتياننا ويروق الوجود لفقرائهم كما يروق الغني
لاغنيائنا حتى كأن الزمان عاهدهم على الراحة وواعدهم باستمرار الهناء كما
واثقنا على الجهد واستقرار البلاء

فبتنا نغاني صنوف العناء واسنا نرى في الانام معينا

ودارت علينا رحي نكبة تظل الحجاره فيها طحينا

فيا قوم . لقد مرت بكم الايام باسباب النعمة والنقمة والراحة والتعب
والياس والرجاء فلم تستوقفوا الرغائب ولم تجنبوا النوائب ولكن وفنتم بين
الجزع والكسل والامل والملل فقر المرغوب وفر المرهوب فلم نخبوا خيبة
الساعي لتعذروا ولم تصيبوا اصابة المتثبت لتتكروا ولم تدرسوا الارب
اتفاقا لتذكروا

وتلك حالكم شاهدة بما اقول فقد بليتتم بما يذيب الشحم ويقرض
اللحم وينقي العظم وانتم صابرون ومنيتتم بما وفر النقم وغير النعم واهلك
النعم وانتم صامتون ورزقتتم بما جلب المساب وهتك الحجاب وبرز
الكعاب وانتم خاشعون فما الذي تخافون . . بل اي عناء لم تهروه واي
بلاء لم تقاسوه واي فناء تحذرون بعد هذا الوجود ام اي وجود ترجون
مع هذا الفناء

لا جرم ان مثلكم في الصبر على هذا النكر كمثل بخيل ينفق العمر
في التماس المال ثم يحبسه عن نفسه وعن العيال راضيا بأسوأ حال

ومن ينفق الساعات في جمع مالِهِ

مخافة فقرٍ فالذبيّ فعل الفقرُ

تقولون لا نرضى بهذا الخسف ولا تقوى على احتمال الذل فقد صار
تاجرنا عاملاً ونبيها خاملاً وعالمنا سائلاً فلم يبقَ فينا غير الاجير والنابع

والشحاذ والزارع والجندي منخفض الجانب والشرطي منقطع الراتب

بل زارعنا الذي يدفن مع الحبة قوة يمينه ويسقي الغرس بماء جبينه

نزبل في دار ابيه وغريب في ارض ذويه يحصد مما زرع ولكن لسواه

ويجني مما غرس ولا يذوق جناه

وجملة الامر ان الشده قد بلغت في امرنا حد الحدّه فصار ومن

دونه الخوف بعد الامن والسقم بعد البره والياس بعد الرجاء والفقر بعد

الغنى حتى لو استزدنا الدهر بلاء لما وجد الى ذلك من سبيل وحتى عذب

الموت بافواهنا والموت خيرٌ من مقام الذليل

تقولون هذا وانتم في مراتع الاهمال ومرابع الآمال تحرصون على

القنائة حرص البخيل على درهمه وتضنون بالاقدام ضمن الجبان بدمه

وهل ينفع الخطي غير مثقف ونظير الا بالصقال الجواهرُ

وكيف ينال المجد والجسم وادعُ وكيف يحاز الحمد والعزم فانرُ

بان ما اجدر القائلين من غير فعل بان يفعلوا من غير مقال . اجل

ولسوف تفعلون

وكاني بكم عصابة من اهل الهمة والاصابة ترفعون الاصوات في طلب

الحق المسلوب ومدون الاكث لالتاس المال المنهوب وتجمعون الابدان

لدوطن سوراً يردُّ عنه العدو مذعوراً

وانتم الكامة المتحدّه والقوه التجمعة هي اقوى من العدد الكثير

الا انكم تترددون

ياخذكم فيما ترومون عند الخائفين فتسون ماضي الزمان على رجاء آتية

فيومكم ابدآ مستهلك في غده والغد فيما يليه

فيا حليف الصبر ويا نضو العناء نداءً مشارك في بلوك وسامع لنجواك
 دع التردد ان اردت النجاح والنجاة واقدم قرب حياة تكون في طلب
 الموت ورب موت يحمي من طلب الحياة
 ولا تبع عاجلاً منها بأجل ما ترجو فذلك امرٌ شأنه الطولُ
 ولا يصدك عن امرٍ هممت به من العواذل لا قال ولا قيلُ
 تغير يوميك يوم انت فيه اذا مبرت والناس محمودٌ ومعذولُ

❖ وله تحت عنوان ❖

خواطر سياسية

اي "مصر" لا بد من الكلام في السياسة وان كانت حقيقتها وراء
 حجاب الغيب فهي دندنة تفتح لها الاسماع وشنشنة تألفها الطباع فاقترحي
 باباً للمحاورة ومطلباً للمذاكرة ووجهاً للبيان فانما نحن في موضوع كينما
 انقلب صح فيه القياس

او ما ترين كيف اختلفت الجرائد في اوجه المسائل بين السلب
 والايجاب والنفي والاثبات وهي جميعاً فيما يراه كل فريق وما يوهمه كل
 دليل على حق فيما تقول وعلى هدى فيما ترى ..

فان كان رأيها الحرب فلا ايسر من ايجابها ببيان اسبابها او ليس
 ان الدول مدججة بالاسلح قائمة على قدم الكفاح اعدت العساكر وجمعت
 الذخائر ومرأت الجنود على حب القتال فظفموا لدم الابطال وقدموا لحم

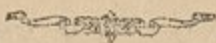
الرجال حتى لو امرهم القائد بالمسير تعليماً وتوعيداً ثم اشتغل عن امرهم بالوقوف لاستمروا على سيرهم حتى يبتلعوا اقرب العواصم الى بلادهم ويلاقوا ابعد الناس عن وداهم . او ما شكت الخزائن من اثقال النفقات واحتاجت المذارع الى ايدي الجند وطال على الناس توقع المكروه وانتشبت الفتنة في جميع الممالك ما بني منها على الشورى وما بقي على الاستبداد فالعدمية في بلاد الروس والاجتماعية في ديار الالمان والاباحية في قطر الفرنسيين والناشدون للضالة في مملكة الايطاليين واحزاب ارلندا في جزائر الانكليز والكارلية في اسبانيا وهلم جرا . افلا يدل ذلك على وشك وقوع الحرب شفاء لمطامع الروساء وتوسلاً لاطلاق الجند واهاداً لفتن العامة

وان كان ما تراه السلم فهو الظاهر للعيان للفني عن البرهان او ليس ان ملك الايطاليين ومملكة الانكليز وقائد الالمان ووزير النمساويين وسائر زعماء الدول بصرحون على المنابر بين الاملاء بمرصهم على السلم وفترتهم من الحرب وان الامم قد رات مساوى القتال فانكرته ومحاسن السلم فآثرته فاذا رات من رجال الدولة ميلاً الى الحرب تصدت لمعارضتهم فكان الصواب ما نقول فانما نحن في زمن لا قوة فيه الا بالامة ولا حكم الا لها اما الفتن في الممالك والمنافسات في بلاد الشرقيين فما هي الا شجاجة صيف عن قليل تنقشع

صدق السليوني وما كذب الحريون

فالامر بيد الامم - في البلاد التي تبنتها الحقوق وتعينت الواجبات - والامر كارهة للحرب راغبة في السلم ولكن للامم زعماء ياخذون بالملانية ان لم تنفع المخاشنة ولا يعارضون سيل الآراء غير انهم يقتادونه من جانبيه فيتبع فان رام هؤلاء الزعماء حرباً فلا يعجزم طلابها ولا تمتنع عليهم ابوابها ولكن اكثر الناس من ذكر الحرب حتى قل خوفنا من قرب وقوعها فانها اقرب ما تكون الى القول وابعدها ما نراها عن الفعل ولا يرد علينا

بان السنة الخلق اقلام الحق فلعل عمر حكمة ولكل مجال مقال



الحرية

ابداً مقالي بالثناء على جرائم الضياء التي بعثتها بد العزمة من افق
الحكمة فانشق بها ستر الظلام عن ذات جمال كلها الحسن بتاج الكمال
فجرت على هام الاوهام معارف ثوب نسجته بد الصبح بغزل شعاع
الشمس فانبهرت بها مقل الظلام وراها نبهاه الناس نوراً على نور فرفعوا
ها بينهم مناراً واوقدوا من حولها ناراً تهدي قوماً وتحرق آخرين وما
يحترق بها الا المكابرون الذين يقاومون الحق بسيف الباطل وبس ما
كانوا يفعلون

ثم امرح طرف المقلّة في روضة تلك الطلعة واجعل نوا استهلالي في
رقعة اهلاي غزلاً ارق من الصبا واحن من عود الصبا في قد لا يحاكيه
الغصن وطرّف لا يماثله الترجس وخذ لا يعادله الورد وتغر لا يقارنه
البرق وفرق لا يباريه الصبح وفرع لا يماريه الليل من صورة من تعشقا
النفس ولا يدركها الحس فهي مفردة بصفاتيا لا تشبه الا بذاتها يموت
في حبا العشاق غيرة عليها ثم لا يمنعونها عن المشتاق اليها فهي المورد
يراه الظمان والماء من يجده الخائف والسبيل يلقاه التائه بل مقصد الساعي
يناله بعد اليأس وكلمة العفو يسمعها من كان على النطع بل هي فوق ما
يصف الواصفون وينعت العارفون بل هي « الحرية » وكني بذلك وصفاً
لقوم يفعلون

ثم اشنع ذلك بخبر ما ابداها بعد ما ضعفت وجدد ربوع مجدها

بعد ان عنت اريد الثورة التي وضعت احكامها ورفعت مقامها ونشرت على الناس اعلامها

ولقد بدأت هذه الثورة في بلاد الفرنسيس عام تسعة وثمانين بعد السبعائة والالف من التاريخ الميلادي على عهد لويس السادس عشر اذ اخذت امور المالية بما كان الرؤساء ينفقونه من غير حساب على حين كانت خواطر الناس منتبهة من رقدة الغفلة بما سمعوا من نداء الخطباء واقوال النبهاء وتقارير العلماء فكان ذلك الاختلال كاشفاً عن احوال الظالمين ما بقي عليها من سجوف الخداع والتثوية فهاجت به بجمار الافكار وخاف اهل الدولة الفرق فأروا ان يجمعوا مجلس الولايات للنظر في امور بيت المال وكان ذلك المجلس ضعيف الحكمة مغلوب الامر الا فيما يلائم الرؤساء لكثرة عددهم وغلبة رأيهم فيه فقد كان الثلث الاول منه للشرفاء اسيه الذين تقربوا من الملوك فيما سلف او اغتالوا بعض الناس واغضبوا شيئاً من الارض فامتازوا بذلك عن سائر التوم والثلث الثاني لاهل الكهنوت اي لرؤساء الدين الذين خالفوا احكامه بما تدخلوا فيه من امور الدنيا حتى انشأوا مملكة في وسط المملكة والثلث الباقي لسائر الامة اي لاهل التجارة والصناعة والزراعة ممن تقوم الدولة باموالهم وبتأييد الملك بابدانهم ويممل القطر بما يشتغلون فكانت لذلك غالبية الأراء في جانب اعوان الدولة من النبلاء والرؤساء فدار بين الناس قول يتناقضونه همساً لا نرضى بالمجلس الا ان تحصل فيه المساواة بالعدد بين وكلاء الامة والرؤساء فاتصل ذلك القول برجال الدولة فخافوا عاقبة المخالفة شان الخائن المريب فامروا ان يكون الانتخاب على ما نروم الامة فانتخب من النبلاء مائتان وسبعون ومن اهل الكهنوت ٢٩١ ومن الرعية ٥٨٧ واحتشد جميع هؤلاء الوكلاء في مدينة فرساييل خامس شهر ايار (مايو) من العام السابق الذكر وفي اليوم الثاني وقع بينهم الخلاف على الحدود والحدود واطبقوا اذ رام وكلاء الامة المساواة وابتى النبلاء والرؤساء الاحفظ ما كان لهم من الامتياز ثم

انفصل هؤلاء عن الجمع فتألف اولئك وقالوا لا حاجة لنا بهؤلاء الاغرار
انما جماعة كافية بقوة الحق الا ان الملك عارضهم في ذلك واقفل عنهم
باب المجلس فاجتمعوا في ملعب المدينة واقسموا يمينا غموساً انهم لا يفترقون
قبل ان يضعوا لبلادهم دستوراً ولذلك سمي مجلسهم بالجمعية الدستورية
واني لا اسميه مبعث الحرية فانه قد احيانا بعد وشك الفناء

وله من فصل

في العدمية

زعم البعض ان العدمية قد استجمعوا للموبقات وانفردوا بالمتكرات فمن
مذهبهم المثبت لفساد مشربهم انهم لا يؤمنون بالله
نعوذ بالله من هذا الكفر المبين . ولكننا لانحسب العدمية شيعة دينية
فان كان اولياؤها على الجحود فلا يكون ذلك من لوازم مشربهم وانما
هو فيهم كالتنوير من خدمة الدين في احزاب الجمهورية . .
ومن ذلك المذهب انهم يقولون بالاشترك في العرض والاموال وهي
بدعة جديدة لم يسبقهم اليها احد من الناس . .
عفاوا ان العدمية لا يحسبون العرض مشاعاً بل العرض لا يحتمل
الشيوع فهو النفس او النسب او الشأن ولا نعلم له من معنى يصح فيه
الاشترك فان كان الزاعم يكتفي به عن النساء على وجه جديد من المجاز
فالقول منقوض عليه من وجهين الاول ان العدمية لا يميزون بالاشترك
في الزوجات والثاني ان هذه البدعة غير جديدة بين الناس فالمرءون في
اميركا يشتركون في نساءهم والكومون في فرنسا يوجبون تقاسم الاموال

اما العدمية فهي الطرف المقابل للاستبداد في الهيئة السياسية . قاله
 وكتور هيكو ولعله اعرف بالحقيقة ممن ذهبوا ذلك المذهب
 ومذهبها مقاومة الشر بمثله فالعنف بالشدة والعسف بالغيلة والسحق
 بالظلم والنفي الى سبيرا
 ومقصدها اعنات المستبد وتنبية الخواطر وتحويل الحقوق ورفع لواء
 الحرية وكسر شوكة الاستعباد . ونعم القصد لولا ان وسيلته آخذة بشيء
 مما يعث عليه

❖ وله في فصل سياسي ❖

قال

من تأمل احوال الممالك تأمل بصير بقرأ ما بين اضعاف السطو
 ولا تشغله الظواهر عن حقائق الامور علم ان منافسات الدول ومحاورات
 اهل السياسة ومناقشات صحف الاخبار وتجهيز العساكر وحصول التحالفات
 ووقوع المخالفات كل ذلك يدور على اربع مسائل مهمة - الاولى في
 اواسط آسيا وموضوعها عند الانكليز " حفظ الهند من طوارق حدود
 الهند " والثانية في السلطنة العثمانية والايالة المصرية وموضوعها عندهم " حفظ
 الهند من عوارض طريق الهند " والثالثة بين الالمان والفرنسيس وموضوعها
 " الالزام واللورين " والرابعة بين اوستربا واطاليا وموضوعها " التيرول
 وغيره من البلاد الايطالية الباقية في ملكية النمساويين " وفوق هذه الامور
 مسألة الجنسية الكبرى الا انها لا تزال في عالم الخيال مع المدينة الفاصلة

التي يتصورها الحكماء ولذلك فانا نترك النظر فيها لشعراء الالمان واللاتين
 والمصقالية ونورد من خبر المسائل الواقعية لمعاً يمتثلها هذ المقام فنقول :
 ما توجهت خواطر الانكليز الى اواسط آسيا ولا تهورت حكومتهم في
 قتال الافغان لاختضاع قوم صلاب القلوب كبار النفوس يرون العز في
 خلال الصفوف والمجد بقتال الالوف والجنة تحت ظلال السيوف ولكن
 رات سطوة الروسية منتشرة فيما وراء تخومها الهندية تسري في تلك البلاد
 الفيحاء مري النار في الخلفاء فرامت ان تجملها اقساماً يتولاها الموزبون
 الانكليز المنافرون للروس فتكون عقبات وحصوناً في طريق الروسية
 وما حرصت دولة الانكليز على الكلمة الغالبة والسطوة النافذة في
 البلاد العثمانية والايالة المصرية الا لصيانة بحر الاستانة وخليج السويس
 فشاؤها في السلطنة التركية ان تهدم بقايا الاطلال وتزيد على آثارها
 حصوناً انكليزية الاساس بريطانية القواعد تركية الصبغة يقيم عليها من
 الحماة والمرابطين من تثق بهم وتعول عليهم ودابها في الامارة الخديوية
 ان تفصم عروة الاستقلال وتطفي نور الوطنية وتجعل الامر مطلقاً
 بيد من يكون اطوع من نعلها واتبع من ظلها بمعنى ان تجعل ولايات
 الدولة وفي مجملتها مصر اقساماً سياسية ممالئة للانكليز مناوئة للروس .
 ولهذا كان هم الروسية في المسألة الاولى ان تعارض سعي الانكليز فيما
 يحاولون من التقسيم او تجعله ملائماً لمصلحتها موبداً لسطوتها وشانها في
 المسألة الثانية ان تجمع تحت لوائها ما انفصل وما سينفصل عن الدولة
 العثمانية من بلاد الصقالية لتكون بذلك موازنة لدولة الانكليز غالبية على
 امرها في تلك الجهات

غير انها لا تامن في ذلك معارضة الدولة التمسوية لما تعلم من
 اتجاه سياستها الى الشرق ياساً من السلطة الغربية فهي بين الاحجام
 والافئام والرغبة والرغبة يحوم نسرهما على ذلك القصد ولا يستطيع
 الوقوع عليه

كطوف الغربية وسط الحياض تخاف الردى وتريد الجفارا
وهذا الذي اوضحناه من احوال هاتين المسالتين انما هو الوجه الشرقي
من السياسة العمومية واما الوجه الغربي فهو في مسألة الازانس بين
الالمان والفرنسويين ومسألة التيرول بين الايطاليين والتمسويين فاما المسألة
الازانسية فان اختلاف مظاهرها بعد الحرب لا يدل على ضعف آثارها
في خواطر الفرنسيين فانهم على اتفاق في وجوب ادراك الثار وكشف
العار واسترجاع الازانس والورين من يد الالمان وانما يختلفون على الوقت
الملائم لحل هاته المسألة فهي من هذا الوجه كالبركان تختلف مظاهر
الثار فيه بين السكون والاضطراب والوميض والالتهاب والثار في جوفه
مستمرة الضرام

واما مسألة التيرول فهي عند الايطاليين كمسألة الازانس عند الفرنسيين
لا ينتظرون حلها الا القوة الكافية والفرصة الملائمة فالامتان على اتفاق
في القصد مع اختلاف الموضوع فلا بدع ان يكون حصول المحافنة بين
الالمان اعداء الامة الاولى والتمسويين اعداء الثانية موجبا للتقرب والتظاهر
بين جمهورية الفرنسيين ودولة الايطاليين كما يشف عن ذلك مسير ولي
العهد الالمانى الى روميه لتأييد روابط الوداد توجسا من تقرب دولتها الى
الفرنسويين وكما يدل عليه ما تنشره الصحف المهمة من سعي الجمهورية
الفرنسوية في تمكين علائق الود بينها وبين الحكومة الايطالية

فاذا تقرر ما بسطناه من احوال هاته المسائل علمنا ان لا بد من
حسمها على اى وجه كان فلم يبق الا ان نبين كيفية اذلك الحسم وهل
نراه عما قريب ام يكون بعيد الوقوع مستمدين ما نبديه من آراء ذوي
النقد مستدلين عليه من طبيعة تلك المسائل ومن احوال الدول في
هذه الايام

فمسألة الحدود الهندية تبث الروسية ودولة الانكليز على التوغل
المستمر في اواسط آسيا بحيث يفضي بهما الامر الى التماس والتلاحم

في قدح الزندان نار القتال . ومسألة الخليجين نوجب استمرار المنافسة الدولية
 والمناظرة السياسية في سلطنة الترك وإيالة مصر حتى يتمكن الضعف من
 تينك الحكومتين فتختل منهما الاعضاء على صورة تستلزم الفصل والتجزئة
 فذمم نصور المطامع وغربان الاهواء على تلك الاشلاء قطعاً بالمناشر وتمزيقاً
 بالمخاب فتقوم بينها نائرة الخلاف والمخاشدة فترفع الامر الى مجاس المدفع
 الاكبر فتقضي كراته بينها ويكون الحق ما نقول . واما مسألة الازاس
 ومسألة التيرول فان لها في خواطر الفرنسيس والايطاليين مكان العبادة من
 قلوب اهل الدين تظهرها اقلامهم ولا يسثرها كلامهم ولا تخلو منها احلامهم
 فان ضعفت هذه العبادة بما يعظم اهل الاعتدال واحباء السلم فان
 الجرائد المتطرفة من احزابهم تضمن تهيج الحقد في صدورهم وتحريك
 الدم في عروقهم

واما حالة الدول فهي السلم في ساحة النزال او الحرب من غير قتال
 فانها تزيد عدد العساكر ونفقات الذخائر ولا تألوا الجند تجهيزاً وتمريناً
 وتحصيناً فقد زادت الروسية مقادير عسكرها مع اختلال ماليتها بما انفقته
 في الحرب الاخيرة وما برحت اوستريا تطلب القرض بعد القرض لنفقات
 الجندية ولا تزال ايطاليا تنشئ الدوارع العظيمة والمدافع الجسيمة . اما
 فرنسا فقد بلغت نفقات عسكرها تسعمائة مليون من الفرنك ولم تكن من
 قبل سوى خمسمائة مليون . واما المانيا فقد صارت بما استكثرت من
 الجند وآلات القتال كمدينة احاط العدو باسوارها واقام على حصارها
 فهل يصح في قياس العاقل بل في وهم الجاهل استمرار هذه الحال
 وهل تصبر اوروبا على دوام الحرب من غير قتال وانقباض الوف الوف من
 الايدي عن الاعمال وهي مسألة لا تحتمل الجواب
 فاذا لاحت البدهاة في الامر فان السوال عنه جواب

❖ وله في مجاعة حلب عام ١٨٨٠ بعنوان ❖

بعض الملاء

ينتهي الى بعض

هو الظلم حتى تمطر السماء بلاء فتبت الارض عناء فلا تجد علي
سطحها الا جسوماً ضاوية في ديار خاوية وبلاد تحترق في بلاد تحت رق
وهو الجهل حتى تضع الاخطار وتفتي الاقدار وتبطل المهمم وتزول
القيم ويعفو العلم ويدرس الفهم ويستعلي الخامل ويستولي الجاهل ويتخنض
الارؤس وتنبض الانفس وحتى ترى

بكل ارض في شرقنا امماً ترعى بعبدٍ كأنها غنمٌ
يستخشن الخبز حين يلمسه وكاد يبرسه بظفروه القلم

فب الربوع الدارسة المعاهد العافية الآثار وانشد هنالك عزماً اضاعه
الاهمال ومجداً اخفاه الخمول الا بقية اثار في العالم كبقايا الوشم في
المعاصم وايبك العز وبنيه والفضل وذويه حتى يبت الآس على القبور
وحتى تسمع اصواتهم من وراء حجب العصور بل دع الشد والبكاء في
هاته الخطوب الفادحة فلا نفع للذكي بنوح النائحة واقصد بنا مرايع
النعمة ومصانع الرحمة نسأل فيها الاعانة والاحسان لأسدٍ عضها كلب
الجوع وارام وقعت في جبايل الفاقة واطفال يتلقون دموع المراضع يحسبون
البائناً فقد الف الغرب الاحسان وتعود اعانة الانسان
واتلُ علي كرامه ما جاءنا من خبر المجاعة في حلب وما بين النهرين

فقد بلغت الحاجة من اهل الشهباء ان النساء هنكن الستور وخرجن من وراء الخدور وطفن بالقلعة صائحات معولات مولوات يلتمسن القوت لرجال اضواهم الجوع فازموا البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تفني عن الجائع ولا تدفع آلامه فرجعن عنه آيسات وطفن بالاسواق يبعثن الرجال على التفتة فتوطيناً من زوال الخنة فانقض هو لاء على الافران يلتمسون الخبز لا ينتهبونه

اما ديار بكر وماردين وسائر ما بين النهرين من المدن القديمة الشان فلم تقف بها الشدة عند هذا الحد بل اتصل الموت باطرافها على مثل ما سمعناه منذ عامين من اخبار المجاعة في بعض الهند واميركا حتى اُككت اطراف الغصون واصول الاشجار

فغسى ان يكون لصوتنا الضعيف صدي تردده الصحف الرضاء في هاته العاصمة الزاهرة فيقبل اهلها على مساعدة المضايين ولا يضيع الله اجر المحسنين

” وقد ترجم هذا الفصل عامئذ ليثبت في بعض جرائد باريس على رجاء ان تفتح الاكتاب للاعانة على ما تعودته في مثل هذه الحال “

❖ وله أيضاً ❖

تأمل

بلادنا احسن البقاع تربةً وهواء واصفاها سناء وماء واوسعها مرثاء وفناء . كانت فيما سلف ثقل الملايين من ذوي النعمة والرفاهية يستخرجون

منها ما يحتاجون اليه ويفضل عنهم ما يتجرون به وذلك مع توالي الحروب
وتواتر الغارات واستمرار المنافسة بين الامراء والدول

ونحن ذوو ابدان شهدت بقوتها حوادث الايام واهل صبر دل نتيجه
ثباتنا في المتاعب وارباب اقدام اقرء به الاعداء وحلفاء قناعة اثبتتها
الجور والفقير . كنا اهل السطوة غير معاضين وارباب الثروة غين منافسين
تزين بضائنا الامصار وتمهر صنائعنا الاقطار ونثير معارفنا الافكار
فما لتلك البلاد التي وسعت الوف الالوف تضيق على المثمين وكيف
صارت قوة اهلها ضعفاً ومسخ مجدهم ذلّة وخسفاً

هل انقلبت الارض ام غضبت عليها السماء ام فسدت القلوب ام عميت
الابصار ام هذه سنة الزمان في ابائهم . .

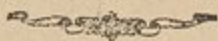
كلاً . لا عتب على الزمان فهو النهار نضى ، شمس والليل يطالع بدره
والربيع يزين الارض بازهاره والشتاء يروي المزارع بامطاره ولكن هي
البصائر غشيتها وهم الكمال في العادات ونعوى العصمة في التقليد فاحتجبت
عنها حركة المواطنين في بلاد الغرب فسار الناس ونحن واقفون وحرركتهم
عوامل الغيرة وضائنا مبنية على السكون

فن لنا بذية غيرة تهتك سمجوف الاوهام عن البصائر ويجلوح حقائق
الامور للابصار فترى نفعا في اعتقاد الكمال وخطأنا في ادعاء العصمة
فنبذ ما جناه علينا السلف من اسباب التيه والصلف ونقرب للنعمة
بوسائل الاجتهاد فان قصر العمر عن الوصول الى غاية النعمة ودرجة الهناء
فلا اقل من ان يموت الشرقي عن سعي يشكر واثر يذكر
فمن عاش في ذل فذلك ميت ومن مات عن فضل فذلك خالد
ومن لم يموت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد

فذلكة

قائد الغفلة الامل والهوى قائد الذلل

فقل الجهول امله ونجا كل من عقل
فعلى م الوقوف في ساحة العجز والكسل



❖ وله مطلب مطول في ❖

الشرق

قال

(تمهيد)

قد التزمت لهذا المطلب اسلوب التقرير وعدلت فيه عن منهج الخطابة
الشعرية لاعتقادي بان الاسلوب الخطابي وان كان امرع تأثيراً في القلوب
واحسن وقعاً في الازهان الا انه قد يميل بالكاتب الى جانب التخيل
الوهمي في مكان التقرير العلمي فيرتفع بيانه عن المدارك التي سبقت اليها
الملكات الصناعية الحسية فلم تبق بها من محل الملكة الخيال المسماة شعراً
فيفوت الغرض المقصود من البيان والبلاغة وهو تقرير المعاني في الافهام
من اقرب وجوه الكلام وجملته اقساماً متناسبة وفعولاً متواليه ارسل
فيها الكلام ارسال مقرر مبين ولا اتكلفه تكلف منق مزين فان
احكام التقرير منافية لهذا التويه الذي يسمونه بديعاً وانما يؤخذ به
عند رسم التخيلات عسى ان يكون مغنياً عن محاسن الحقيقة بل ربما
جاء التخيل في غني عنه بما يزينه من المعاني فكان وقوعه فيه كالصبغة
في الوجنة الحمراء والخضاب في اللمة السوداء يعثان على الظنون ولا
يزيدان الوجه حسناً

❖ القسم الاول ❖

(فصل ١)

« ما هو الشرق »

ليس من شأني البحث اللغوي لاعرف الشرق بكونه المشرق ولا البحث الفلكي لاقول هو الجهة التي نضالها مطالعاً للشمس وإنما انظر في هذا المطلب الى التاريخ السيامي في البلاد المسماة شرقاً فشأني في تعريفه ان ابين حدها الطبيعي والجغرافي وكيف عمها اسم الشرق مع اختلاف مواقعها وتباين جهاتها وتباعد اقاليمها فاقول :

لم أر في شيء مما قرأت من كتب السلف الكرام ما يشعر بورود هذا اللفظ في كلام العرب بمعناه المعروف في هذه الايام وإنما اطلقوه بعد الاسلام - بصيغة ظرف المكان على جانب من فتوحهم تمييزاً له عن بلاد البربر والاندلس التي دعيت مغرباً . الا ان سكان الجانب الغربي من اوروبا قد اطلقوه على البلاد الواقعة في جهة الشرق بالنظر اليهم فعم الصين واليابان والمغول والهند والعربية ويران وفينيقية وغيرها من اقطار آسيا بل اتصل ببعض البلاد الاوروبية كالروم والبلغار والصرب ثم توسع فيه من تعالم منهم باللغات الشرقية ومن بحث في الآثار القديمة فعم جزائر المحيط وافريقية ولكنهم لم يتفقوا فيه على حد معين او تعريف معلوم . قال لاروس اللغوي الفرنسي في مطالب الشرق من قاموسه الكبير ما معناه : لم أر من كلمة اضيق سبيلاً واوسع غاية واضعف تحديداً من هذا الذي يسمونه شرقاً . اه . وقال اصحاب الانسكلوبيديا اي جامعة العلوم في هذا المطلب ما مفاده : قد اختلفت مذاهب الكتاب في تعريف

الشرق وتنوعت فيه اقوالهم بين التخصيص والتعميم حتى تعذر تعيين حده وتعسر تحديد معناه فمن موارد هذا اللفظ في اقوالهم على وجه التخصيص أنهم يسمون دولة الرومان بالقسطنطينية دولة الشرق - كما كانوا يسمون دولة الامان بدولة الغرب - ويكنون عن مذهب الروم في تلك العاصمة بكنيسة الشرق - كما يسمون ببيعة روميه كنيسة الغرب ويعبرون عن اميركا بالهند الغربية كما يصفون الهند بالشرقية - ومن موارد على وجه التعميم انهم يطلقونه على افريقية وبلاد الاوقيانوس وغيرها مما ليس بشرق بالنسبة اليهم . اه

وجملة الامر ان تعريف هذا اللفظ عرفي لا ينطبق على حكم علمي او حد جغرافي والمشهور فيه انه يطلق على بلاد آسيا من دون القسم الروسي وعلى بلاد الروم من اوروبا والقطر المصري من افريقيا . وربما اناط به الغربيون معنى الخشونة جرياً على سنن القدماء من الرومانيين في حسابان كل من خرج مسكنه عن حدود مقاطعتهم برباباً بل هم في ذلك اشد كبراً وازدراء بالناس من ابطال روميه فان هؤلاء لم يزدوا على ان وصفها الاجنبي بالبربرية اما اولئك فيحسبون لفظ الشرق مضمناً معناها مع اعتقاد كثير من علمائهم بان اصولهم ولغاتهم ومذاهبهم وعلومهم انما هي مستمدة من الشرق

على ان الاوروبيين وان اختلفت آراؤهم في تعريف الشرق وتحديد حده فقد اتفقوا على الاعتقاد بانحطاط الشرقيين عنهم في رتبة الوجود وتألقوا على السعي في اذلال شأنهم وخفض مكانهم كما يدل على ذلك ما نسمع من اقوال خطبائهم وما تقرأ من تصانيف علمائهم وما تشهد من اعمال زعمائهم فهم والحالة هذه عصبية على الشرقي من اي محتدر وعلى اي مشرب كأن يصفون عنايتهم الى استخدامه واستعباده ومحو استقلاله وفتح بلاده فاذا اختلفوا فعلى تسمية الغنمية بين الفاتحين لا على وجوب الغارة « التمدنية » على القوم « المتوحشين » فان كره الشرقي ان يكون مسداً

لما يزعمون ومقرباً لما يلتمسون تعينت عليه المدافعة عن استقلاله تحت لواء الاتحاد ولا يكون الاستقلال جديراً بالصيانة الا ان يكون مترناً بالحرية ولا حرية الا بالحق المعين والواجب المبين ولا حد للحقوق والواجبات الا بالعلم ولا علم الا بالحقائق ولا حقيقة الا في البحث المطلق ولا اطلاق للقيدين بسلاسل الاوهام . فان تعذر الاتحاد العمومي بين الشرقيين فلا اقل من حصوله بين الاعرین بقرب الخطر من بقايا دولة الشرق العظيمة المعروفة بدولة العرب وما ادراك ما دولة العرب

« تنبيه »

لم نثر فيما لدينا من اعداد جريدة « مصر القاهرة » على ائمة هذا المطلب فاضطررنا على اسفٍ منا على اقتنالك بابه على خلوه من البقية ولو لم يكن فيما نشرنا منه فائدةٌ تؤثر لما رضينا به غير بالغ حد التمام

وله مقالة في

انتخاب النواب بانكلترا

(عام ١٨٨٢)

لا تلهُ فالانسان مظنة الخطاء وموضوع النسيان لا عصمة له في المحصور من اعماله والمشهور من اموره فما الثان به متولياً من امور الناس ما لا تعصى دقائقه ولا تدرك حقائقه

ولكن وجه اللوم على الراضين بالاستبداد ذهولاً عن مزايا الحكم الشوروي فقد رأيت الخطأ في هذا الحكم مشفوعاً بالاصلاح متصلاً بطرف

الاصابة يقع من الوزير او الامير عن سهو او فساد رأي فيصلحه الحكم العمومي بما يتضح له من اوجه السداد ورأيته في الحكم الاستبدادي راسخاً مستحكما كالتقضاء المرسل فان الامر المستبد يقضي بما يشاء مستأثراً برأيه معرضاً عن التصحاح بصرف على الخطاء ذهولاً عن الصواب او يظهر له وجه الحق فتأخذه فيه عزة النفس فيقول تزول الارض والسماء وكلامي لا يزول ..

اوليس ان خطأ ملوك الوزير بكونسفلد قد اتصل بطرف الاصلاح اذ رفع لمحكمة الرأي العمومي فدفعته بحكم الانتخاب ليوسد الامر الى من يسلك طريق الاصابة فلو كان ذلك - وهو كائن لا محالة - في اي البلاد المنبذة للحكام لما استطاعت الامة معو خطأ الرئيس الابدوم الرجال بهرق على رجاء الصلاح ويكاد الا ..

بلى فقد ظهر للانكليز تيه اسرائيلهم في مفاوز السياسة فكروها عبادة عجل العناء واهتدوا بنور الحكمة والرشاد فقاموا بامر اهل الحربة في انتخاب النواب فكان ذلك بمنزلة الحكم القاطع بضلال رأي بكونسفلد وفساد سياسته

وقد بشرتنا روائد الانكليز وجرائد الفرنسيس بحصول الغالب لحزب الحربة في مجال الانتخاب اذ كان مبلغ المنتخبين عند كتابة هذه السطور نحواً من اربعمائة ثلاثم من الاحرار او يزيدون عن ذلك . وافادتنا تلك الجرائد والرسائل ان الباقيات من لوائح الانتخاب ستزيد الاكثرية نواباً وتؤيد حزب الحربة على صورة تفوق الرجاء لكون الكثير منها لاهل ارلنده المعروفين بالنفرة عن رجال المحافظة بما وجدوا فيهم من العنف والغلظة فبتنا على يقين من انقلاب الوزارة الانكليزية

غير ان ضرورنا بهذا الانقلاب لا يتجاوز حد الامل لتعلقه بامنية نرجو الحصول عليها ولا نضمن الوصول اليها فاناً لا نكره وزارة بكونسفلد

لشيء في النفس من رجالها وانما حملنا على ذلك فساد اعمالها ولا نتمنى الوزارة
لغلاستون او لهرتتون او لدربي او غيرهم من زعماء حزب الحرية الا
على رجاء عدولهم عن سنن الوزارة السالفة فيما يتعلق بالسياسة الشرقية

✽ وكتب رحمه الله بعنوان ✽

خاطر ملاحظ

اذا هبت عواصف الفتنة فذرت رماد المداجاة عن حجر صفائت
الدول وصار الشرق من اطراف الروم البهر الاحمر نحشراً للعساكر يتنازلون
فيه ويتجاولون على ارض يملكونها وغنيمة يصيبونها وسطوة يؤيدونها وقوم
يستعبدون

واذا انقضت صقابة الشمال على بقايا الاناضول واندفعت المان الوسط
على فضلات البلقان ووقعت حيطان بريطانيا على سواحل مصر وجزائر بحر
الروم وترامت نصور الفرنسيين على فينيقية وبلاد السوربيين وتداعى ابناء
الرومان الى تونس الغرب وما يليها ورجعت عساكر الاسبانين الى
الغرب الاقصى

فاذا يحل بالشرقيين وكيف ينقون البلاء وهم غلى ما نرى من
ضعف القلوب وقوة الخلاف وتفرق الكلمة واختلال الاحوال ضلّت
تقوسهم وانقطعت اسبابهم واحتجبت عنهم سبل النجاح فهم في غفلة الساذج
وخدر السكران وكسل المهوم لا ينتفعون بما يعملون ولا يسألون عما
يجعلون

بل اذا جادت مياه الحكمة بماء السلم فاهمدت ذلك الحجر وعاد الشرق من جهاته الاربع مجتمعاً للتجار والصناع من جالية الغرب يتحبرون فيه ويتسابقون الى بقعة يزرعونها وثروة يجمعونها وسلطة يوطدونها ورجال يستخدمون

وإذا انتشرت جالية الالمان في شبه جزيرة البلقان تحيي الموت وتنخل الصناعات وانبث تجار الانكليز والفرنسيس والايطاليين وسائر الامم الغربية في بلاد الشرق يتصلون بمن تقدمهم من طلائع جيوش العز ويجمعون الثروة بما يتجرون وما يستخرجون من كنوز الارض وما يخترعون من الصناعة وما يجلبون من المخترعات وما يتولون من الامور والادارات فاي مكان واي شأن يكون للشرقيين في عالم الوجود وهم على ما تشهد من وهن العزم وشده الشهوه وضعف الهمة وقوة النهمة واهمال القادر وطمع المهمل يتسابقون الى اللهو وبصرفون الزمان بين دخان يقتلون به الوقت وشراب يميئون به الافكار وطعام يهلكون به الابدان وهي مسألة نرفعها الى نبهاء الشرق الثماس الجواب فانها - فيما نظن - احق بالبحث والنظر من مكان ظرف وظرف مكان واجدر بالاهتمام من جناس قلب وقلب جناس واولى بالعناية من ديوان تقريظ وتقريظ ديوان واحري بالاجتهاد من تعجيل لقطة ومن اقطعة عجلان

✽ وكتب في المسألة الارلندية ✽

قال

قد ارتنادولة الانكليز من عجائب التناقض ما ينبذ به المتطوق

مشدوداً بالقياس وما يحمل به المطبوع على موضوع الانكسار فانها تجمع
الصدقات للبايسين ولا تبالي بمجموع الايرلنديين وتستعبد الاحرار في كل
قطر وتلمس الغاء الرق في الاسنانة ومصر كما قيل فيها « بالتجاره » شعراً
تحرر العبدان من رقهم وتسرقت الحرّ بالدرهم
امطعم الايتام سمحاً جنى ليترك لم تجن ولم تطعم
وقد رأينا في احدى الصحف الباريسية رسماً يدل على حقيقة ما
قدمناه فقد مثلت فيه ارلنده بصورة كهل بالي الثياب رث الجلاب جعد
الاهاب قد اضعفه الجوع وانحله الضعف حتى شفا جلدّه عن الادمه
وادمته عن العظم وجيء بانكثرا على صورة بطين ملاّ جوفه شحماً وانعمه
مداماً فاشبهه نجي «نمن او زق» خمر وراى بين يديه ذلك الصعلوك فتاه
عليه تيه الملوك . فقال له الارلندي رحماك يا لورد رحماك فقد اشرفنا من
الجوع على الهلاك فاجابه لا باس لا باس فان الذاهبين يفرغون في دائرة
الرحمة مكاناً للمقيمين

وجاء بالتلغراف من لندرا ان النافقة قد انشبت مخالفاً في اهل
الجانب الغربي من ارلنده فمات فيه كثير من الناس جوعاً ذلك بما
عمهم من عدل دولة الانكليز يتمتع لورداتها وامراؤها ورجال دولتها
بالملايين ويموت سائر الرعية جوعاً ٠٠ يموتون غير ماسوف عليهم فقد ملكهم
الوهم حتى منعهم من دفع الموت ولو بالموت

وكتب من مدينة نيويورك ان بارنل النائب الارلندي قد خطب في
(بوفالو) بما معناه : ان ارلندا جديره بان تنال الاستقلال وان من
واجبات اهلها ان يبذلوا دمهم في المدفعة عن بلادهم ثم قال انه لا يعلم
ان كان بالامكان حصول التراضي بالصورة السلية ولكنه يرى ان لا
بد من طرد كبار اللوردات على اي الاحوال . وهذا النائب الارلندي من زعماء
بلاده المعروفين بالحمية والغيره الوطنية هاجر الى اميركا ليستحث الارلنديين
المقيمين بتلك البلاد على مساعدة اخوانهم بما بنقدهم من جور الانكليز

✽ وله من مقال سياهي في سفير الصين بطرسبرج ✽

قال

كن كيف شاء نكد الطالع طبيياً في سويسره او قسيساً في باريس
او شحاذاً في ايطاليا او فلاحاً في مصر فذلك خير لك من ان تكون سفيراً
لابن السماء سلطان الصين - خصوصاً في بطرسبرج -

فقد اوحى الى الجرائد من اخبار السلطنة السماوية ان (هنك تنك
بالضم او بالكسر او بهما جميعاً على لغة الانكليز) عاد من سفارته في
الروسية مسروراً بما تم على يده من الوفاق راجياً ان يرى نور وجه
السلطان وينال من انعامه ما يتيه به على الناس فراى ولكن وجه الشرطي
على باب المدينة ونال ولكن قيد السجان

ثم امر ابن السماء بعقد دبوانه الكبير للحكم على هنك تنك فقال
احد الوزراء يعلق من رجله بشجرة عالية ويجعل في عنقه من الحجارة
ما يزن ثقل المالم الذي عاهد الروس عليه وقال غيره بل نجعل في
عنقه ابراً على قدر ذلك المالم عدداً وندغدغه عليها حتى يموت وقال
آخر بل نربط بيده الحجارة ونجعل في الطريق الاير ونربطه من جلده
برجل مهر جموح ثم رفعت هذه الآراء للمقام السلطاني ليختار منها ما
يوافق رايه الكريم

اما هنك تنك فلا يزال في السجن مجرداً من رتبته ووظيفته معلق
الحياة بما سينطق به السلطان

ولكن قتل السفير شتقاً معكواً او دغدغه على الاير او تلاً بارجل

الخيل لا ينقض العهد التي ابرمها ولا يمنع الروسية من مطالبه السنين
بالخمس الملايين

وقد تبين ذلك لدولة ايرن السناء فرامت مداركة الشر قبل وقوعه
فوجهت فريقاً من الجند الى التخوم الروسية ارباباً وانذاراً
اجل ان السلطنة التي دخل الفرنسيون عاصمتها بيضعة عشر الف
مقاتل نروم ارباب القوزاق بذوايب جندها وتدويج بلاد الروس باخفافهم
الصفراء .

✽ وكتب في ✽

اهل الكهنوت في فرنسا

قضي الامر وجف القلم . فقد صدر الامر من رئاسة الجمهورية الفرنسية
بفض رهبانية الجزويت وبم حظر التعليم على سائر الرهبان الا من كان
مرخصاً له في ذلك او من التمس الرخصة ونالها في خلال ثلاثة اشهر .
وما ادراك وما رهبانية الجزويت طائفة من اهل الكهنوت على مذهب
الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون ومنهم نحو الف وتسعمائة
واهب في البلاد الفرنسية

وهم اهل العلم والسياسة والذكاء والاجتهاد والهمة والفضل والثبات
والباس لا يعارضهم في ذلك معارض ولا يدرك شاوهم فيه

ينشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون الغوامض ويستخرجون
اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصلين بياض النهار بسواد الليل

سعيًا في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وتمدين الاقطار وجمع آثار
المعارف .

فمن تدبر مزاياهم الظاهرة وآثارهم الباهرة لم يتالك من استنكار ما
تعاملهم به الدول من العنف والغلظة فقد نفتهم اسبانيا غير مرة واعدتهم
المانيا واقصتهم فرنسا على عهد ملوكها المعروفين بالتعصب في المذهب
الكاثوليكي وحظرت عليهم الروسية دخول بلادها وجافتهم الدولة العثمانية
في صدر هذه المائة ولم يسلموا من مناوأة البابا في بعض الاوقات طي
كونه رئيس مذهبهم

غير ان اعداءهم يحتجون على مقاومتهم بما نذكر بعضه على سبيل
الحكاية متبرئين من تبعته وغير قاطعين بصحته فمن ذلك ان هاته الفرقة
تشبه ان تكون جيشاً منظماً بما ينذر رجالها من الطاعة العمياء لرئيسهم
المسمى قائداً بحيث تجتمع قواهم المتفرقة في وحدته الرئاسية فهو في كلهم
وكلهم فيه

وان لهذا العسكر قصداً لا يتحولون عنه ولا يتوجهون لغيره وهو
تأييد السطوة الكهنوتية عموماً والجزويتية خصوصاً وتقييد الخواطر بأرائهم
بحيث يكون مشربهم محجة الافكار وروساؤهم ائمة الناس
وانهم لا يبالون في اي وعاء تخرج الواسطة التي يتخذونها لبلوغ ذلك
القصد بحيث يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحللون القتل
ويفسدون بين الولد وولده والاخ واخيه والزوجة وحليها وبالجملة انهم لا
يعبأون بشيء من المنكرات على شرط ان يمكن توجيه غايته لما يلائم
ذلك القصد

وذلك بعض ما يدعيه اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان
فرقة البروتستنت وهي الوف الوف وجاعة الماسون واهل حربة الضمير اي
الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثل لهم الجزويتي في الماء لما
وردوه وان كانوا ظلماء .

وانا لنبرا من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضه ولا تبعة علينا في الحكاية وانما نحن ننقله وليس على الناقل من سبيل وكيف كان الامر فقد صدر حكم الجمهورية بنقض جمعية الجزويت وتعطيل مدارسهم وهو بمنزلة الذني لامتناع ان يقيموا بهاته البلاد افراداً متفرقين مع فناء وجودهم الذاتي في الوجود الاجتماعي على ما تقدم بيانه الا ان تؤيدهم القوة القضائية فيما عزموا عليه من اقامة الحججة او ان يقوم ارباب العقيدة بنصرتهم ناشرين لواء الثورة كما تنذر به جرائمهم غير ان نفوذ امر الدولة ادنى الى الامكان من ذينك الوجهين فان الوزراء لم يصدروا ذلك الحكم جزافاً وانما بنوه على الاحكام السالفة والقوانين السابقة وغير ذلك من الاسانيد التي لا بد للقضاء من تأييدها اما ثورة اهل العقيدة فلعلها لا تتجاوز حد الوعيد اذ الغالب على هؤلاء في البلاد الفرنسية انهم من اهل النعمة وابناء القصور من كل من خطرات النسيم تجرح خديهم ولمس الحرير يدمي بنانه واذا تبين ذلك علمنا ان لا بد للجزويت من العجز الى غير هذه البلاد . وعندنا ان الاقطار الشرقية عموماً والولايات السورية خصوصاً لا تحرم من وفودهم عليها



* اقوال متفرقة *

لم تجيء هذه الاقوال مثبتة في الجرائد التي تولى ادينا
تحريرها وانبثت فيها نفاثات يراعه البليغ فهي
بعض فصول ومقالات متفرقة لم تجمع في
حياته ولم تطبع قال

في جمال الدين الافغاني

هو الحكيم الخطيب البالغ الحجة النبيه المتوقد الذكاء الجريء الذي
لا يعرف الخوف النسب السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ولد بكابل
في بيت شرف وعلم وعمره الآن نحو ٤٥ عاماً وطلب العلم بالفارسية والعربية
على ما جرت به عادة الامراء في بلاده فتبحر في المنقول والمعقول وغابت
عليه مذاهب قدماء الحكماء فداخله في ذلك بداءة بدء شيء من
التصوف فانقطع حيناً بمنزله يطب الخلوة لكشف الطريقة وادراك الحقيقة
حتى صار له في القوم كثير من الاتباع والمريدين كل ذلك وهو دون
العشرين سنة ثم خرج من خلوته مستقر الرأي على حكم العقل واصول
الفلسفة القياسية - ومات عامئذ امير الافغان عن ولدين وهما شير علي خان
ومحمد اعظم خان فاقتتلا على الولاية فانتهصر جمال الدين للثاني فقرّبه
وجعله من رؤساء جنده فشهد الحروب وحضر الوقائع فازداد جرأة
واستخفافاً بالموت واقام على ذلك تسعة اعوام لا يري الراحة ولا يستقر

بمكان حتى دارت الدائرة على محمد اعظم خان فانصرف الاولياء عنه الا
 بحال الدين ونفر غيره من الامناء فسار بهم الى الهند فلم يلبثوا ان
 اوجست حكومة الانكليز خيفة من صاحب الترجمة فعاد الى افغانستان ثم
 هاجر الى الحجاز على قصد المجاورة فلم يلائمه الهواء فقصد الاستانة واقام
 بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء فعرف قدره
 وفضله فجعله من اعضاء مجالس المعارف العاليي ثم اقترح احد الامراء عليه
 ان يخطب في دار الفنون فاجاب وكانت خطبته في الصناعات فانهكسر
 مشايخ العلم اشياء منها واتصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً علي صاحب
 الترجمة لواقعة حال جرت بينهما فامرت الدولة بابعاده فارسلته الى الحجاز
 فاقام فيه مضطراً وكان قد عرف بالاستانة رياض باشا احد وزراء مصر
 واتصل منه باسباب مودة فقصد وادى الليل عام ١٨٧١ فاجرت له
 الحكومة الخديوية رزقاً كافيّاً على ان يكون من المدرسين فجرت بينه وبين
 بعض علماء الازهر مناظرة افضت الى المناظرة فانقطع الى منزله وصار له
 فيه حلقة تدريس يحضرها كثير من الطلبة بل من المدرسين ثم صارت
 حلقاته ملتقى للنهباء من رجال الحكومة والوجهاء فكان يكشف بعضهم
 بأرائه الحرة ويسلك بسائرهم طريق النجاة من الخرافة والجهل على انه
 بقي مجهول الشأن عند العامة حتى ظهرت آثاره وآثار مرديبه في جريدة
 مصر فاظهرت شأنه وصارت تنشر له بعض المقالات نارة بانته ومرة
 تحت حجاب اسم مصنوع مثل «مظهر بن وضاح» فطار صيته وعظم نفوذه
 وكان السيد جمال الدين كثير التطلع الى السياسة شديد الميل الى
 الحرية قوي الرغبة في انقاذ المصريين من الذل فلما عظم التداخ الاجنبي
 في مصر واحثت امورها المالية علم ان لا بد من تغير احوالها فرام انتهاز
 تلك الفرصة لجمع الكلمة على مبداء الحرية فدخل الماسونية وتقدم فيها
 حتى صار من الرؤساء ثم انشاء محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي
 ودعا مرديبه من العلماء والوجهاء اليه فصار اعضائه نحواً من ثلاثمائة هدداً

وعظم اقبال الناس عليه حتى ان المنصور له توفيق باشا ولي العهد حينئذ طلب الدخول فيه وكان صاحب الترجمة شديد الكراهة لدولة الانكليز جهر بذلك غير مرة ونشر في جريدة مصر فصلاً ناطقة به خصوصاً بعد اعتداء الانكليز على ابناء ابيه فهاجوا عليها وترجمتها جرائد لندرا واهتموا بها كثيراً حتى ان المستر غلادستون تولى بنفسه امر الجدل في موضوعها فلما عظم شأن محله داخل الخوف منه فنصل انكثرا فوشى به الى الحكومة وبث الرقباء في المحفل فسعوا فيه فساداً وفي خلال ذلك بلغت احوال مصر نهاية الارتباك والاختلال فظاهر للسيد جمال الدين ان الخديوي اسمعيل مخلوع لا محال فكشف الغطاء عن مقاصده السياسية واخذ يسعى في انفاذ اغراضه فلقى المسيو تريكو فنصل جنرال فرنسا ومكاتب التيس وكليهما بلسان حزب كبير فحال امره بعض امراء المصريين فقويت بذلك حجة وشانه ونفذت سعاية اعدائه فامر الخديوي الجديد بنفيه واسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ الموافق لشهر ميمبر سنة ١٨٧٩ فآخذ غالساً وقبض على من كان في حلقته وارسل هو وخادمه الامين « ابو تراب » شغفور بن الى السويس ومنها الى ابو شهر « فرضة في العم » وهو الآن بجيدر اباد مرفوع المكان عالي المقام وبقيت كتبه واوراقه في مصر وقيل ان روجرس بك اخذها ثم اعيدت لصاحبها

قال اديب * عرفت صاحب الترجمة بمصر وكنت من مرديبه وخاصة بحبيه طول مدة الاقامة بالمحروسة والاسكندرية فكلامي في ترجمة حاله عن علم واختبار على انني ملتزم فيه جانب الصدق بريء من الهوى يعرف هذا كل من عرف السيد جمال الدين والله على ما اقول وكيل والعهد بهذا الحكيم انه اسمر اللون ربعة ممتلي قوي البنية جذاب النظر نافذ اللحظ خفيف العارضين مسترسل الشعر بحجة ومر او يلات سوداء تطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة يضاء على زي علماء الاستانة وانه عزيز عفيف النفس فانت كثير القيام لا ينام الا الغلس الى الفهي ولا يأكل

غير مرة واحدة في اليوم على انه يكثر من شرب الشاي والتدخين وهو قوي المعارضة ميال الى المعارضة طويل الحججة واسع المحفوظ نبيه يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك استار السرائر ولكنه على فضله لا يسلم من حدة المزاج ومن عجائب ذكائه انه تعلم اللغة الفرنسية او بعضها حتى صار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في اقل من ثلاثة شهور بلا استاذ الا من علمه حروف هجائها يومين ومن غرائب فضله انه كان يتبع حركة المعارف الاوروبية والمكتشفات المصرية ويلم بما وضع اهل العلم وما اخترعوه جيداً حتى كأنه قرأ العلوم في بعض مدارس اوروبا العالية . ومن مدهشات احواله الدالة على ثبات جأشه وعفت نفسه انه قبض عليه لما لا نعلم من الثمر فكان سائراً الى الخطر سير الشجاع الى الظفر وانه انزل الى البحر في السويس منفياً خالي الجيب فاتاه فيما يقال السيد النقادي فنصل ابران بذلك الثمر ومعه نفر من تجار العجم وقدموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية او القرض الحسن فرده وقال احفظوا المال فانتم اليه احوج ان الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب

✽ وله مطب في صناعة الكتابة قال ✽

حد الكتابة واسماها

الدرس (١)

الكتابة صناعة موضوعها التعبير عن الخاطر برسوم معلومة . وفي اللغة

الجمع وهي مصدر قولهم كتب يكتب كتابة وكتاباً ومنه قيل لجماعة الخليل كتيبة . ووجه المناسبة بين المعنيين ان الكتاب يكتب اي يجمع الحروف والالفاظ لتأدية ما يمرُّ به من المعاني وما يشعر به من الانفعالات .

وقد جعلها المتقدمون اقساماً شتى بقدر مواضعها والخطط الدائرة عليها في ايامهم فقالوا كتابة الحسبة وكتابة المال وكتابة الانشاء وهلم جراً وجعلوا تحت كل من هذه الاقسام فروعاً كثيرة يتيه الذهن في حدودها على انهم توسعوا في معنى الانشاء حتى اطلقه الكثير على مجمل تلك الاقسام فقالوا صناعة الانشاء وهم يريدون الكتابة على الاطلاق والانشاء في اللغة مصدر قولهم انشأ الشيء ينشئه اذا ابتداءً واخترعه فاعل السبب في اطلاق لفظه على الكتابة ان اختراع المعاني هو الشرط الاول في انقائ هذه الصناعة كما سيخبر في بابها . وهو اي الانشاء عند كتاب لغتنا الشريفة نوعان مختلفان وهما النثر والسجع ولكل منهما اصول معلومة وقواعد محدودة وصفات مميزات تذكر في مواضعها تفصيلاً .

الدرس (٢)

« النثر والسجع »

النثر هو انكلام المطلق المرسل عنو القرينة بلا كلفة ولا صنعة الا ما يكون من وضع الكلام في مواضعه واينار ما يألفه السمع والطبع منه فهو من هذا الوجه مقدم على سائر انواع الكلام بل هو الاصل في الانشاء وما سواه فرع منه فانه طبيعي اصلي وما دونه صناعي حادث والاصل في الطبيعة لا محالة . يدل على ذلك ان هذا الكلام المقفي الذي يسمونه سجعاً لا يكاد يوجد في غير اللسان العربي فلو كان

طبيعياً لوجب ان يكون في جميع اللغات او في الممدودة منها اصولاً لا اقل .

اما السجع فهو الكلام المتقفي على حد الارجوزة من الشعر الا انه غير موزون ولقد سمي بذلك استعارة من قولهم سجع الحمام اذا هدر وسجعت الناقة اذا مدت حنيتها على جهة واحدة . وهو وان حسن في بعض الاماكن كهدور الخطب ومقاطع الكلام بما فيه من تناسب الالفاظ وتماثل الفواصل التي يحسن وقعها في الاسماع الا انه في الجملة دون المرسل البليغ بهجة وصفاء وموافقة لمقتضى الحال لتقيد الكاتب فيه بلفظ لا بد منه او من اخيه فلا ينبغي استعماله في بيان الحقائق العلمية ولا في ايضاح الفصول الادبية ولا في غير ذلك من مواضع النقد والسرود الا اذا جاء عفواً غير مقصود بالذات

(٣) الدرس

لابن خلدون فيما نحن بصدده كلام جدير بالنظر والتأمل والاعتبار وهو قوله : السجع هو الكلام الذي يوتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يطلق الكلام فيه اطلاقاً ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع وانتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا ناملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا في الوزن . واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي امرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى

الاحوال من احوال المخاطب والمخاطب . وهذا الفن المنشور الملقى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيا للودعية وخلط الجذ بالمزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقفية ايضا من اللوزعة والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب يتانى ذلك ويباين والمحمود في المخاطبات السلطانية التوسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له اما اجراؤها على هذا النحو الذي هو من اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء الجمجمة على السنتهم وقصورهم لذلك من اعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال فجزوا عن الكلام المرسل واولعوا بهذا السجع يلقون به ما نفهم من تطبيق الكلام على المقصود ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب حتى انهم يخلون بالاعراب والتصريف في الكلمات اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان مع صحتها . اهـ

الدرس (٤)

هذه نموذجات من المرسل والسجع نوردها تذكرة وبيانا . فمن اطائب ذلك قول بن خلدون : ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها امرع اليها البناء والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل . والاعتبار انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية واذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العvisية ذاهبة بالقلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم واعجزوا عن

المدافعة عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل . اهـ

وجلُّ كلام ابن خلدون ولا سيما في مقدمة تاريخه على هذا النحو من السلاسة ومناعة التركيب . ومن بليغ الكلام المرسل قول علي ابن الرمازي في وصف البلاغة « البلاغة ما حط التكلف عنه وبني على التبيين وكانت الفائدة اغلب عليه من القافية وجمع سهولة المخرج مع قرب المتناول وهذوبة اللفظ مع رشاقة المعنى »

ومن مستكمل البلاغة قول الفرزدق لحسين بن علي رضي الله عنهما وقد ساله عن الناس في العراق عن المسير اليه فقال القلوب معك والسيوف هليك والنصر في السماء

ومن جيد السجع مقامات الامام الخريزي ورسائل بدیع الزمان والممداني وقطع كثيرة للقاضي الفاضل وجملة غير يسيرة لكتاب مصر من بعدهم الى انتراض الدولة الفاطمية

ولم يدخل هذا السجع كلام القدماء في الجاهلية وصدر الاسلام الا ما كان منه عفو القريحة فواصل غير مقناة او ما يعزى الى الكهان والمشعوذين مما يراد به الايهام والابهام فلما استولت العجمة على الالسن وضعفت قوة الاختراع في الاذهان داءه في المكتابة الى هذا العهد فعدل الكتاب عن الكلام الفحل واللفظ الساذج والاسلوب الطبيعي الى هذه الاسجاع الملققة البالية يتناقلونها خلف عن سلف ويطيلون بها الكلام بلا طائل سترًا لقصورهم في ابتداء المعاني وايضاح وقائع الحال من طرق البلاغة والايجاز حتى صارت من العادات وحصات بين الملكات فدخلت في المراسلات الاخوانية والمكاتبات عن الملوك والامراء في عظام الامور وسقط من ورائها الكلام المرسل الى غاية السفالة والركاكة فصار ما يكتب منه رطانة يفهمها بعض الجهلاء وتعمض عن الراسخين في العلم .

قال ابن الاصبغ لا تجعل كلامك كله مبنيًا على السجع فتظهر عليه الكلفة ويتبين فيه اثر المشقة وتتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى الساقط واللفظ البازل وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من اخوانها قلقة في مكانها بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعاني واجهد في تقويم المباني فان جاء الكلام مشجوعاً عفواً من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان وان عز ذلك فاتركه وان اختلفت اسجاعه وتباينت في التقفية مقاطعه فقد كان المتقدمون لا يهتمون بسجع جملة ولا ينقصونه الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام وانفق من غير قصد ولا اكتساب وانما كانت كلامهم متوازنة والفاظهم متساوية ومعانيهم لاصقة وعباراتهم راقية وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة . اهـ

✽ صفات الكاتب وما يحتاج اليه ✽

الدرس (٥)

قد اشترط بعض المتقدمين في الكاتب شروطاً كثيرة منها ما يلزم في كل انسان على الاطلاق وفي كل ذي خدمة عمومية بالجملة ومنها ما يختص بالكاتب ولكن على ذلك العهد فالضرب الاول خارج عن موضوعنا لدخوله في علم الاخلاق والثاني من مطالب التاريخ اما شرطنا على الكاتب فهو من جهة الادب الاجتهاد والثبات والاستقامة ورعاية الحقوق وحفظ الواجبات وموئدى قول الحكيم الفرنسي الموجه الى كل اناسي ذاتك احفظ وتفقه واعتدل واحمي للناس ليحيي الناس لك ومن جه الكتابه بالذات ان يعلم اصول اللغة ليعصم لسانه عن الخطاء

ما أمكنت العصمة لانسان ويحفظ قطعة كافية من العلوم والآداب خصوصاً
 ما يتعلق تَوّاً بخطط الكتابة ليكون على بينة من الامر فيما يقول . ا ما
 الكتابة العالية البالغة حد العالمية فلا تقف عند حد ولا يحصرها شرط
 فانها هي العلم الذي يعرف اوله ولا يعرف آخره . وليست في شيء مما نحن
 بصدده وانما شأننا بيان صناعة الكتابة وما يشترط فيها من حيث
 ادخال المعاني في الافهام من اقرب واصح وجوه الكلام وهذا اوان
 الشروع في ذلك بعون الله

الدرس (٦)

انكتابة كما تقدم في التعريف صناعة يراد بها التعبير عن الخواطر
 والمحوسات بوضع صحيح واسلوب صريح فهي ذات ثلاثة اركان : الخاطر
 المراد ايضاحه وهو الانشاء والوضع الذي يبدو به ذلك الايضاح وهو البيان .
 والكيفية التي يخلص بها ذلك الوضع وهي الاسلوب

فالانشاء او الاختراع هو الخاطر الذي يجده الكاتب ويقف فكره
 عليه فيجعله موضوع كتابته فهو من هذا الوجه قوة من الفكر بايجاد
 الخاطر والموضوع . والفصاحة هي الحكاية او التأثير او الاقناع ولا بد في
 كل مكتوب من احدي هذه الثلاث وقد يجتمعن به يوالحكاية تحصل
 بيان الواقعات والتأثير بالصور المؤثرة والاقناع بالبراهين

والوضع هو تنسيق اقسام الموضوع فانه لا يكفي ان يكون هناك خاطر
 بل لا بد من ملاحظة النظام في كيفية ايضاحه فانه لا جلاء بلا تنسيق
 ويفقد الغرض وعضواً من الافادة والاعجاب والتأثير والاقناع يتعب
 القاريه عبثاً وقبل الكتابة لا بد من وضع رسم ولورؤوس اقلام فانه
 اذا لم يوضع الرسم يرتبك الذكي ولا يعرف كيف يتديء وكذلك يدخل
 في تفاصيل مملّة ويضيع المسألة المهمة المقصودة بالذات ويصير مظلماً كلما
 اجتهد في الايضاح ومن اين له ان قارئه يصبرون الى ان يعود ليبتدئ

سبيله وفي الكتابة القصيرة لا يستغني البتة عن هذا الرمم ولكن العادة تجعله مصدرًا في الذهن على الفور بحيث ان الكاتب يسلك سبيله المعلوم بلا دليل وكيف كان ففي التنسيق ثلاثة امور ضرورية وحده الموضوع وتلاحم الاجزاء او استقلالها التدريجي

والاسلوب هو العبارة التي توضح بها الفكر ولذلك يقال لكل انسان اسلوب وهي تتعلق بانتقاء اللفظ وكيفيه سرده قال فولتير: الاشياء التي يقال توثر اقل من كيفية ادائها فان جميع الناس بنقاربون في الافكار التي هي بمدرك كل انسان والفرق في كيفية التعبير فانها تجعل الاشياء معتادة غريبة وثقوي الضعيفة وتجسم البسيط وبلا حسن الاسلوب لا يمكن ان يوجد كتاب جيد في اي موضوع

ويقول غيره . حسن الكتابة فيه حسن الفكر وحسن الشعور وحسن التعبير فيقتضي الذكاء والذوق . والاسلوب يتضمن استعمال القوى العقلية جميعًا ولا يبيح من الكتب الا ما كتب جيدًا فان الاختراعات والاكتشافات لا يتخذ بها الكتاب ما لم يكن حسن العبارة مكتوبًا بذوق ونبالة والاسلوب وهو النفس هو الدال بالعقل على صفة الكاتب حتى قيل انه مظهر الكاتب لتعلقه بقوى العقل والنفس وحيث ان لكل انسان صفات تميزه عن غيره فلذلك اختلفت الاساليب والانفاس

(تفييه من جامع المنتخبات)

يمرُّ بالقاريء اللبيب فيما هو آتٍ فصولٌ ومقالات حَال دون اتمام بعضها في حياة الفقيه موانع واعذار كقائلة « التعليم الالزامي » التي كانت قد شرع في طبعا سفرًا قائمًا برأسه ودون بعضها الآخر طرؤه اسباب من مرور الوقت الطويل اذ « بدتها البقية كفصل « الاخلاق » وفصل « الهند » وخطبة « حاضر الخاطر »

من آثار الفقيه قانعين بما وقع اليها منها قطرات من بحر آدابه الزاخر
ودرراً مما نظمته يد الحكمة في عقد فضله الباهر

الهند

❖ وهي مقالة انشأها عام ١٨٧٥ ❖

« الهند تهذب العالم باقتها وعاداتها وشرائعها واساطيرها »

ان الشاخص من اوروبا الى الهند حاملاً تذاكر التمدن من بلاد ينزهل
من اول وهلة ويخال انه يحمل الى هذا الشعب اتقى معرفة واطهر ادب
فيتكلف ذكر كلمات تنبئ بما رآه من تعصب وخشونة حيث لا يرعى
سوى بعض عادات ومواسم لا يدرك كمها وتماثيل اصنام تروعه فيعود
الى وطنه هازماً كتفيه وقد قل من رغب من السياح البحث في شأن
الهند وندر من تنازل منهم الى النظر في ما فيها وانهم لم يروا سوى
الظاهر منها فهم لذلك لا يعلمون من بعده شيئاً وزادوا على ذلك زعمهم
انه ليس بها غير ما علموا وايدوا ذلك ببرهان غير مستقيم مخافة ان يحكم
عليهم بالجهل قال جاكسون: ماذا ينفع السنسكريت « لغة الهند المقدسة »
وافترض بهذا الوهم فانشأ تاريخاً جديداً للشرق تناقله الناس من بعده
واستقبلته خزائن الكتب وهو اليوم ينبوع الخلل الذي يؤلف ثلاثة
الارباع مما يعلم اهل اوروبا عن هذه البلاد ولا يزال ثمة كنوز مخفية
من فصاحة واداب وتاريخ وحكمة على انه يكاد يكون مستحيلاً ادراك
الغاية من معرفة حال هذه البلاد بدون اتخاذها مقاماً والتمكن من معرفة

السنسكريت لغة البلاد القديمة والتأمل اللغة العلية فانهما الواسطة الوحيدة لمعرفة حقيقة الحال ولا بد لي من ملامة بعض المترجمين والكتاب علي ثقة بوفرة علمهم حيث كانوا لا يبحثون في معنى الاشعار والمقالات الدينية الهندية علي ما يقتضيه التحري فهم لذلك يخطئون بقصد الاصابة ولا ينكر ان في تعلم السنسكريت صعوبة وانه يقتضي لادراك معانيها واستجلاؤها من التوجيهات والاستطرادات والتصورات الشعرية المعترضة في صدر تلك الكتابة وزد علي ذلك ان للسنسكريت اصطلاحات وتصاريف ليس ما يقابلها في اللغات الحديثة ولا يدرك كنهها الا بالاستلاح والتقريب وذلك يقتضي الدرس الطويل الذي لا يتيسر اجراؤه الا في تلك العادات والشرائع والتقاليد وكل ما وصل اليه الاوروبيون من معرفة حال الهند ليس من العلم بشيء والوصول الي الغاية من ذلك يقتضي استئناف الاستطلاع واعادته من اوله فاذا تم ذلك نرى ان الهند ام الجنس البشري ومهد تقاليد وانه لا يكاد العمر يكفي لتلاوة ما بقته لنا الهند القديمة من كتب في الآداب والشعر والفلسفة والمذهب والشتي من العلوم والطب هل ان ذلك سيتم بالصبر فان جماعة من العلماء تألفوا في بنغال ابتغاء جمع كتب الوبدا وترجمتها (الى ان قال تعريياً) .

سلام يا ارض الهند الازلية يا مهد الانسان سلام ايها الام التي لم يستطع كروور الدهور وغارات الايام ان تلقيك في حيز النسيان سلام يا وطن الايمان والمحبة والشعر والعلم . لله كم آتمنى ان يكون ماضيك مستقبلاً لقد عشت في غور غاباتك العجيبة معالجا ادراك اسرارك فاحي الي نسيم الليل وهو يرف عليها هذه الكلمات الرمزية الثلاث . زيوس جيوفابرها . فسألت البرهمن والكهان تحت الهياكل والآثار شرح ذلك فكان جوابهم الحيوية هي الفكر والفكر هو معرفة الله انه كل شيء وفي كل شيء واستنطقت طائفة العلماء فقالوا الحيوية هي المعرفة والمعرفة هي

استطاع صفات الحال الحسنى فقصدت حكماءك قائلاً مالي اراكم منتصبين
هنا من ستة آلاف سنة وما هو هذا الكتاب الذي تقبلون صحفه
فتبسموا وقالوا الحيوة هي نفع النفس والناس وحيوة المرء حسناته ونحن
نتعلم ما يجعلنا ذوي نفع وحسنات من هذا الكتاب كتاب ويذا وهو
كلمة الحكمة الازلية علة كل علة المنزل على آباءنا وسمعت الشعراء ينشدون
والحب والزهور والحسن تحمل اليهم وحيًا الهيا . رأيت الفقراء يسمون
في الام على فراش من ضرام وكان الام يروي الله عن الله ثم صعدت
الى بناييع الكنج وهناك الوف من المنود يجثون للشمس المنشرة على
ضفى النهر المقدس وقد حمل الى النسيم اهذه الكلمات « الارز قد اخضرت
وريقاته في المرج والتارجيل اثقلته اثماره فلنشكر لمن وهب » على اني مع
صدق هذه الامانة وسمو تعليم علمائك وحكمائك وبرهميك وشعرائك قد
رأيت بنيك ايتها الام المسكينة ضعفاء خاملين منغمسين بالجهل مستسلمين
بلا شكوي لما يسلب دمك وثروتك وافكارك وحررتك فكم سمعت ايناً
محزناً في الليل في زوايا الغابات وفضات الانهار والاجام فهل كان ذلك
صوت ازمنة غابرة ترجع النواج على التمدن المنقوض والعظمة الفقيده ام
هو انين جنودك السباهيين السيبانيين وهم في المعرك مع نماهم واولادهم
غداة الفتنة يأمون انفسهم على ما تولاهم من الجزع ام هو صوت الرضاء
يشتكون الجوع وقد سلبهم الموت والذاتهم فله من قوم يسمون واليد
بالحديد تعلو روءوسهم ويتكلمون بالزهو والمجاعة تبتلعهم ليموتوا بغتة
كابطال الرومان ويحتفرون بايديهم اجداث مجدم القديم وآثارهم واسنقلاهم
فماذا عساه ان يكون سبب هذا الانقلاب فهل هو فعل القرن فقط وهل
قدر على الشعوب ما قدر على الاحاد من الفناء كيف هذا ولا ازال
اسمع البرهمي والعالم والحكيم والشاعر يذكرون فضائل الاجتماع وخالود النفس
والايمان بالله واري الشعب شاكراً لمن وهبه ارضاً كثيرة الخصب وسما
كثيرة النور الا اني ادركت غاية ما يفهم فرأيت ان الشعب قد عرض

طهارة ايمانه لتتعصب الوخيم وحرية واستقلاله للرق الاليم فاردت ان
 اكتشف السر عن الماضي باحثاً في اصل هذا الشعب الذي بات بلا قوة
 في الموادة والمباغضة غير مائل الى الفضيلة ولا الى الرذيلة كمن يشخص
 تيمة دوره لدى اشباح وهكذا استنطقت التقليد في الهياكل والآثار
 في الخرائب وتصفت كتب الويدا التي كتبت من الوف من السنين
 قبل ان تخطط ثيبة ذات المئة باب وبابل العظمي فسمعت شكوي الاشعار
 القديمة التي كانت تنشدا تحت اقدام برها قبل وجود رعاة مصر العليا
 واليهودية فبرزت لي الهند حينئذ بسطوتها الاصلية فتاشرت تقدمها مستنيراً
 بما القته من الاضواء على العالم فرايتها وقد علمت اداها وعاداتها وشرائها
 ودينها لمصر وفارس واليونان والرومان ثم شهدت سقوطها حين اوهنت
 الشيخوخة شعبها الذي ارسل اشعة نوره الى العالم وونم الامم بسمة لا
 تمحي حتى ان الدهر الذي محا ذكر بابل ونيوى واينا وروميه لم يستطع
 ان يمحو ذكرها

فصل في الاخلاق

الاخلاق مظاهر العواطف وتجليات السرائر واثار الطبيعة والتربية
 فهي مختلفة في الناس بحسب اختلاف العوامل المؤثرة في قلوبهم وعقولهم
 وابدانهم . وهذا بديهي لا حاجة فيه الى البيان
 وقد تنوعت آراء الناقدين في تلك العوامل الموجبة لاختلاف الاخلاق
 والمخطاط بعضها الى دركات السفالة والرذيلة وارتفاع البعض الآخر الى
 مقامات الشرف والفضيلة فراس بعضهم اخلق الواحد منتشراً في الجماعة

الكثيرة فحسبوا ذلك ناشئاً عن موقعها من الارض او عن الاحكام
 الجارية عليها فعدوا شريعة القوم وهواء البلاد مصدراً للاخلاق . واستتم
 هذا الرأي في اذهانهم حتى توهموا ان المقيم بهاته البقعة من الارض
 على خلق لا يحصل في المقيم بغيرها مما يخالفها هواء وان الاخذ بهذا
 القانون على طبع لا يكون في الاخذ بسواه مما يغايزه . وهو غلو واغراق
 فان المواقع وان صح تاثيرها في الانفس والابدان الا انها لا تغير الحقيقة
 الانسانية في الانسان واذا لم تتغير هذه الحقيقة فحسن الاخلاق ممكن
 في كل مكان . اما الاحكام فانها اشد تاثيراً في الطباع من سائر العوامل
 ولا سيما اذا استحكمت ومرت عليها الايام . وكثير ما اطفأت الاحكام
 القاسطة انوار فضائل كانت لولاها ساطعة تاخذ بالابصار ولطالما اوقدت
 الاحكام العادلة مصابيح كمالات كانت لولاها مظفة مجهولة المكان .
 ولكن الاحكام وان عظم تاثيرها في الاخلاق فهي كالرماد تستر الجمر
 ولا تطفئه والغبار يخفي النصل ولا يغير جوهره فكرم الخلق ممكن الوجود
 في كل هيكل انساني على الاطلاق

ودليلنا على الاول انه اما ان يراد بالموقع المكان من حيث الارتفاع
 او الانخفاض واما ان يراد به الهواء من حيث الحرارة والبرودة فان كان
 الاول فليس اهل الجبال جميعاً على خلق واحد وليس اهل السهول
 كذلك وانما فيهم الاختيار والاشراز والسفلاء والفضلاء وان كان الثاني
 وقيل البرودة مانعة من قبول العبودية قلت اما ترون صقالبه الشمال وان
 قيل الحرارة مانعه من طلب الحرية قلت اما سمعتم بيادية العرب ثم اترون
 ان الانكليزي السريع الحركة والالمانى المتاني والصقلي المتغافل على خلق
 واحد وهم في مواقع متشابهه او ترون الفرنسوي المشتغل والاسباني الكسول
 والابطالي المتسكع على طبع واحد

ودليلنا على الثاني ان الذين اوجدوا الاحكام العادلة كانوا من
 قبل تحت احكام الظلم كاهل الثورة الفرنسويه الذين خزجوا من تحت

احكام الملكية المطلقة الى وضع الحكومة المقيدة وان ذوي الاحكام
الظالمة كانوا من قبل تحت احكام عادلة كاصحاب خيانة عام ٥٢ تحت
رئاسة نابوليون الثالث فانهم قتلوا الخربة وداسوا رجالها وارجسوا القطر
الى ما كان عليه من قبل ستين عاماً . فكما امكن وجود ذوي الاخلاق
الكريمة كالشجاعة والنزاهة وحب الوطن في الذين كانوا تحت الاحكام
الظالمة كذلك امكن وجود الطبيعة الرذيلة كالخيانة والغدر والاثرة في
الذين كانوا تحت الاحكام العادلة

وكل هذا من باب الامكان فلا يتوهم اننا نريد القطع بعدم تأثير
المواقع والاحكام في الاخلاق وانما غايتنا بيان ان هذا التأثير اقل
مما يبالغون وان التربية قادرة على تعويض كثير مما يفقد الانسان
بهذين العاملين

والبقية مفقودة كما المعنا في ذلك في

التمنيه السابق



التعليم الالزامي

وهو سيفر غير تام شرع الفقيه في طبعه بيروت عام ١٨٨١
 ردا على مذهب الآباء اليسوعيين في التعليم الالزامي
 وكان اذ ذاك محرر جريدة التقدم للمرة الثانية
 فوقعت بينه وبين اهل صحيفة البشير
 مناظرة في هذا الموضوع افرد لها هذا
 السفر ثم جاء مصر على اثر
 انقلاب الوزارة في ذلك
 العام فغادره غير
 تام قال

« لا تكون السجون فارغة الا اذا امتلأت المدارس ولا تمتلي »
 « المدارس الا اذا حصل التعليم الزامياً »

« تمهيد »

من رام الحقيقة لم ينصرف عن وجهة الحق ولم ينصرف عن مسلك
 العدل ولم ينطق عن هواه ولم يمل مع ضعف النفس . ان الحقيقة حقيقة
 لا يمسه الا المطهرون من كل دنيته

ونحن نتمس الحقيقة فيما نقول لا نشوبها بسفسنة القول ولا نطلي بها على الناس محالاً وإنما نظرناها كما خلقت نوراً وناراً تضيء ابصاراً وتبهز ابصاراً.

وموضوع بحثنا في هذا الجزء الزامية التعليم من الوجه الذي قرت عليه الاكثرية الغالبة في مجلس الفرنسيس رابع وعشرين شهر كانون الاول عام ١٨٨٠ باتفاق ٣٥١ رأياً يخالفها ١٥٢

وهو : ان يكون التعليم الابتدائي واجباً على الاباء لولدهم من الذكور والاناث من السادسة الى الثالثة عشرة من سنهم يلقي اليهم في المدارس الابتدائية او الانتصافية سواء كانت هاته المدارس ميرية او حرة خصوصية وفي نفس بيوت الاباء ينقيه الوالد نفسه او من يخار له لذلك الشأن (البند الثالث من قانون التعليم الازمى)

وان يكون هذا التعليم شاملاً للتهديب الادبي والمدني . والقراءة والكتابة واللغة ومبادي البيان الفرنسي والجغرافية خصوصاً جغرافية فرنسا . والتاريخ ولا سيما تاريخ فرنسا الى هذه الايام . وبعض الاصول الضرورية من علم التوانين وفن تدبير المنزل . ومبادي العلوم الطبيعية والرياضية وكيفية استعمال هذه المبادي في الزراعة وحفظ الصحة والمهن والاشغال اليدوية وادارة الآلات في اهم الصناعات . واصول الرسم والتخطيط والموسيقى والتمرين . والتمرين العسكري للذكور . واشغال الابرّة للاناث (البند الاول من القانون المذكور)

فقد رأينا ذلك في جرائدهم فطاب لنا نشره فاذعناه مستخدمين راجين ان يكون الفرنسيس قدوة لسائر الناس في مآثرة التعليم الازمى فكبر ذلك على صحيفة البشير لامر لا يعلمه الا الله - والراسخون في العلم باحوال صحيفة البشير - فشدت علينا النكير وسواتنا وخطأتنا كثيراً ان التعليم من وجه الازمام ظلم وكفر وخش وجهالة لا يحق للهيئة الحاكمة ولا يجب على الامة ولا فائدة فيه لاحد من الناس بل هو البلاء العميم

بذهب بجرية الوالدين ويفسد الباب الاولاد وينقص من عدد العارفين
 ويزيد في عدد الجهلاء (العدد ٥٤٤ من البشير) فتعين علينا بيان
 حقبة الالزام في التعليم وايضاح مزبته فاقبلنا على ذلك في الصحيفة نجلوه
 من اوضح اوجه البيان وثبته بالدليل والبرهان من النص الصادق والرقم
 الذي يكاد ينطق بغير لسان فامتنع الرد على البشير من هذا الوجه
 فلاذت بجانب التحريف والتأويل وصرفت بحثنا العلمي الى وجهة العقيدة
 والدين حصراً لا يخفى عن البصير وعياً ما كتاله من قبل متوقعين ثم
 انبعثت علينا بما ياباه الادب فالتوى الامر واتقلب الموضوع وصارت
 المناظرة منافرة والجدال نزالاً فرأينا ان نفرد لهذا المبحث الادبي جزءاً
 يرأسه نبث به رأينا فيه مستوعبين آراء ذوي النقد وثقاوم اهل
 الاحصاء على سبيل التقرير العلمي مجردين كل ذلك من سفاسف المجاززة
 واعراض المناقشة ضناً بمجوهر الحقيقة ان يكون عرضة للقول الهراء ومضفة
 في افواه الجهلاء

وهذا اوان الشروع في البحث بعون الله

✽ حقيقة الزام التعليم ✽

الوالد مأمور من قبل طبيعة الوجود بحفظ المولود . والانسان من
 حيث انه حيوان ذو وجود بدني حسي ومن حيث انه ناطق ذو وجود
 عقلي معنوي فمن دعاه من حيز القوة الى جانب الفعل فقد لزمه حفظه
 في الحالين

فكما انه يجب على الوالد ان يطعم الولد وبكسوه وبقية شر العوارض
 الطبيعية الى ان يشتد منه الساعد ويستغني عن المساعد كذلك يجب عليه
 ان يفتدي عقله بالعالم والادب ويصون له عن مفاسد الجهل الى ان تنمو
 مداركه و يبلغ حد العرفان

فالعلم من حق الوالد والتعليم من واجبات الوالد

والحكومة هي الهيئة المختارة لنصر الضعيف وانصاف المظلوم وحماية العاجز وحفظ حقوق والدعوة الى الواجبات وهي مأمورة من قبل وجودها الطبيعي بصيانة الوطن واعلاء شانها وتسديد امور الامة وتنظيم احوالها بتوفير اسباب الراحة وتمييد طرق السعادة وغير ذلك مما لا يتم ولا يحصل الا بانتشار انوار العلم واضمحلال ظلمات الجهل . فاذا وجد من لا ينهض بما وجب عليه ومن يهمل الشان الذي لا تكون المدنية ولا تحصل الراحة الا به فمن حق الحكومة ان تدعوه اليه ومن حقها ان تجبره عليه

قال الحكميم فرنك الفيلاف الفرنسي المشهور في قاموسه الفلسفي ما معناه : ليست واجبات الحكومة بمقصورة على حصر الشرفي مكانه وعقاب مرتكب الشر بل يجب على الحكومة ان تسعى في سبيل الخير فتنشئ المنافع الوطنية وتعنى بكل ما يوجب نماء قوة الانسان ويضمن له السعادة وعلو الشان وكل ما يؤول الى اعلاء كرامة الانسانية فالزام الوالدين بتعليم ولدهم من حق الحكومة

وقد تبين ذلك للحكومات المستنيرة فسكنت اليه وحرصت عليه فنقرر في بروسييا عام ١٧٩٥ وفي فرنسا على عهد حكومة الموائفة **CONVENTION** عام ١٧٩٢ وفي سويسره وبلجيكا واكثر الولايات الاميريكية واسوج ونروج وايطاليا والدولة العلية وامارة باد وانكلترا واوسنريا والبرتغال والدنمرك واليونان وبافاريا وسكسونيا وورتمبرج واعيد بقريره اواخر العام السالف في بلاد الفرنسيين وكان له حيثما وجد آثار تذكر وتشكر كما سنبينه فيما يجيء

الا ان اعداء الاصلاح لا ينظرون اليه من وجه الحق والمنفعة العمومية ولكنهم يكرهون النور من حيث يجيء ويخافون العدل والحق من حيث كان ولذلك وجد للتعليم الالزامي اعداء يستنكرون منه ويستنفرون القلوب عنه يزعمون انه يخالف للحق الطبيعي ومغاير للحرية الشخصية بدعوي ان الوالد حر في امر ولده بتصرف فيه كيف شاء ان

علمه كان له الفضل والمنة وان ابقاه في ليل الجهالة فما عليه من سبيل وما يعلمون بل يعلمون ويتجاهلون ان الحرية تنتهي عند بدء الحق العمومي وانها عبارة عن حق القيام بالواجبات ليس الا فكما تعدي ذلك منها فهو عسف واستبداد وانه من الحرية الشخصية منققة مال الجار واغتصاب ملك الضعيف ونقض ميثاق العاجز فمن فعل ذلك فقد اعتدى وجار وغان واقرأ

قال المسيو جول سيمون في كتابه المسمى بالمدرسة : الحرية نبتت في المدارس ونمت . وبالمدارس نتايد الحرية ونعم والحرية والمدنية متلازمتان متضامتان

وبين الوالد ومولوده ميثاق طبيعي عقد يوم الزواج وسجل يوم النتائج ان الوالد يحفظ الولد في وجوده الحسي والمعنوي فيطعمه ويكسوه ويؤدبه بالعلم والمعارف وبقية من العوارض في الحالين حتى يحصل له من القوة ما يغنيه عنه وعن سائر الناس وان الولد بطبع الوالد صغيراً ويحبه كبيراً ويعوله ان كان عاجزاً فقيراً فاذا نقض احدهما ذلك الميثاق على ضد حق الآخر فقد ظلمه واعتدى عليه لم ياخذ بحقه منه ولم يكن مستعملاً حرته فيه

والحكومة منتدبة لمنع كل اعتداء وحفظ كل حق والصغير قاصر عاجز لا يستطيع المطالبة بحقه فضلاً عن ان يناله بالقوة فاذا هضم والده حق وجوده الحسي او المعنوي فلا بد له من شفيع اليه ومعين ناصر عليه . والمهيئة الحاكمة التي هي خلاصة وجود الامة وليمة كل قاصر فهي مأمورة من قبل تلك الولاية وهاته الوصاية بالذود عن الصغير وحفظ حقه من كل منازىء عليه فكما انها تعاقب من يعذب الولد ومن يبتذله ومن يقتله ومن يسقطه جثيتاً كذلك يجب عليها عقاب من يدفنه حياً بما يهمل من تعليمه المفروض عليه ومن يقتل عقله بما يفغل من هديه سبيل العرفان . بل قتل العقل اشنع وافظع واضر

الهيئة الاجتماعية من قتل البدن ولأن يهلك الرجل واده خير له من ان يميت عقله بالجهل والخشونة فيكون من المفسدين في الارض فالزام التعليم واجب على الحكومة

وبعد فقد وجد الولد في الهيئة المدنية ليكون وطنياً في امته وجندياً في وطنه يذود عنهما جميعاً ويفتديهما بما يستطيع من كل حسي ومعنوي ويجلب اليهما النفع ويدراء عنهما الضر لاتحاده بهما في الوجود المدني ولقيام الكل بالواحد والواحد بالكل حيثما وجدت امة وحيثما كان وطن صحيح فينبغي من هذا الوجه اعداده لمراتب الانسانية واشراجه الفضائل المدنية ليكون عضواً نافعاً في جسم الهيئة الاجتماعية فلا يحى وجدانه المدني فيحصل كاليد السلاء كلاً على عاتق اخوانه ولا يظهر بما يلحق بهم الضرر او العار فربما وزرت الامه وزر واحد منها وعيرت به مدس الاعصار فالحكومة الجامعة للكلمة الوطنية المنتدبة لحفظ الهيئة المدنية مأمورة بالاشراف على افراد تلك الهيئة تصون لضعيفهم حقه كما تصونه للقوي وتلزم عظيمهم بما يجب عليه كما تلزم به الخفير فان دعت الوالدين الى وفاء اولادهم حقهم من التعليم لم تكن الا آخذة بحق لها بل قائمة بواجب عليها وما احسن ما قال في ذلك النائب الفرنسي الميسو بول بريت وهو " متى وجد الامر متعلقاً بمعاملة الاحداث في زوايا المدارس بكلام يثبت في اذهانهم اللينة صوراً وآراء فللهيئة الخاكمه المندوبه جلب المصالح ودرء المفسد حق التداخل فيه والزام ما يقتضيه " .

❖ فصل ٥ ❖

نظرنا فيما تقدم بيانه الى حقية الزام التعليم من الوجه الطبيعي والمدني على صورة عمومية فبقي ان نحصر الكلام في دائرة البحث من حيث هو فننظر في حقية الزام الوالدين بتعليم اولادهم في امة من مثل الفرنسي

فان آثار الاحكام والقوانين المدنيه تختلف بحسب اختلاف الاحوال والعاتاد بحيث يكون اللازم منها في بعض الامكنه غير لازم في بعض والحاجي في بعضها كالياء في بعض بل ربما كان الحكم نافعا مصلحا في بلد وضارا مفسدا في غيره من سائر البلاد

فالامه الفرنسيه امة انتخاب عمومي يشارك افرادها في الحكم الكلي فكل احد منهم ينتخب النواب وكل احد يصلح ان يكون نائبا الا الذين اضاعوا حقهم المدني بما كانوا مجترمين والنواب هم الذين ينتخبون رئيس الدولة ومنهم ثلث الوزاره وبارادتهم يتعين مقدار الدخل والخرج وبحكمهم توضع الضرائب وتقرض الودائع وهم هم اهل النهى والامر والنقض والابرام فالامه هي الحاكمه في بلاد الفرنسيين فان لم يكن كل فرد منها عارفا بما يحق له وما يجب عليه لم يصلح ان يكون رقيبا ناظرا على الحق والواجب العمومي . قال احد ادبائهم في هذا الباب لا بد من حصول المساواة في المالك على ما ترى في الجمهوريات بحيث تكون في الروميه كما في سويسرا فيزداد بذلك عدد الذين يشاركون في احكام بلادهم بواسطة الانتخاب - ان لم يكن انتخاب نواب فاعضاء مجالس الاداره والجزاء والحقوق والبلديه وهلم جرا - وقد حصل الانتخاب عموميا في كثير من البلاد وهو على الحصول في سائرها بحيث انه لا يمكن رد هذه الحركة ولا وقفها فلا بد من جرها الى جانب الخير والعرفان بحيث لا يدير اعمال الهيئه الا من كان قادرا على ادارة اعماله الذاتيه ولا يتولى مصالح الناس الا من كان على علم بمصلحته الحقيقيه فان الغبي الجاهل لا يصلح ولا يجدر به ان يدير امور الكل ومن اعطي حق الانتخاب فكأنما ولي هذا الامر فلا يصح ان يكون جاهلا . ان حق الانتخاب مع الجهل يجعل الامه فوضو ويعيدها الى الاستبداد ومع العلم يؤيد شانها ويتم عليها نعمة الحريه فلا سلامة ولا كرامة لامة عمومية الانتخاب الا اذا دخل العلم آخر كوخ في آخر مزرعة من بلادها . اه

وقال الفيلسوف الفرنسي الميسو كورنين في مجلس نداء الفرنسيين في ٢١ اذار سنة ١٨٣٣ " ينبغي ان تكون الامة الراغبة في الحرية مستتيرة في العلم والا التوت عليها الاماني وانقلبت اضراماً لاماكن ان تزيد حقوقها على معارفها فتسيء التصرف في احقاق تلك الحقوق . اهـ " فمن تأمل هذا الذي قدمناه تبين له وجه الحق في الزامية التعليم في بلاد الفرنسيين . وبعد فمن ذا الذي يبلغ منه عمى القلب الى حد ان لا يرى ان تقدم الامم يكون على قدر انتشار المعارف العمومية فيها بعد اذ قام على ذلك من العقل والاختبار الف شاهد ودليل قال احد علمائهم " حسبنا في بيان لزوم التعليم قول باكون الذهاب مثلاً " العلم هو القوة " وما اصحه من مبداء ولا سيما من وجه الاقتصاد فان معرفة القوانين الطبيعية هي التي تجعل الشغل كثير الثمر فالانسان الفطري على كونه اصح " من المدني حساً واقوى بدنأ واصبر على المتاعب يحيا شقياً ويموت في الغالب من العوز تغلب عليه القوے الطبيعية فنقله بجهله اما الانسان المدني فقد كسف كثيراً من اسرار هاته القوے فاستخدمها فيما يحتاج اليه فملك عالم المادة وعاش رغداً ناعم البال " وما برح تأثير النلم في تحصيل الثروة على نماء واتساع يزداد يوماً فيوماً الى ان يقال هاته الامة اعلم معارف واقل جهلاً من غيرها فيعلم من ذلك انها اغنى واقوى . وكما ان المعارف لازمة لتحصيل الثروة كذلك لا بد منها لحفظها وحسن استعمالها من ما ينبغي وانا لنرى الفاعل والمامن حيث ما كان لا بهيب من الاجرة ما يفي بالضروري من حاجاته ونجده مع ذلك ينفق منها فيما لا يلزم وفيما يضر وما ذلك الا لان عقله محدود بالحاضر من اموره فهو لا ينتظر في العواقب ولا يدرك منافع الادخار فتتمو فيه وتغلب عليه الشهوات الحسية فلا يجد على الغالب لذة الا في غيبوبة السكر فان زاد

كسبه فما يزداد الا انعكافاً عليه . فمن رام ان تكون زيادة الاجرة منجاة للفاعل والمامن من الحاجة وسوء الحال فليفتح باب العلم لتحصل فيه قوة التبصر ومملكة اللذة الفكرية فلمره لا ينتج مما يعمل كثيراً ولا يحسن استعمال ما ينتج الا ان يكون متعلماً . قال المؤرخ مركولاي : كان الايكومي (ساكن ايكوسا) فقيراً جاهلاً فما تقدم في القرن الثامن عشر على الانكليزي في جميع الاعمال والحطط الا لان اهل الندوة بادنبرج وضعوا لايكوسا قانون تعليم وطني عمومي . ويقول اصحاب المعامل في الولايات المتحدة الاميريكية ما تقوى على مناظرة البلاد الاوروباوية بمصنوعاتنا على كوننا نوّدي من الضرائب ضعفي ما يوهخذ من الاوروبيين الا لان فعالتنا اوسع من فعلتهم علماً واكثر معارف فهم لذلك امرع منهم عملاً واحسن صنعاً واقدر على اجتناء النفع من الآلات

وقال المسيو فرستر السيامي الانكليزي في عرض بيانه لمزية التعليم الالزامي ووجوبه في انكلترا ما تعريه : « نعلم ان العلم غير الفضيلة وان التعليم وحده لا يوجد القوة الكافية لمقاومة الشهوات الفاسدة ولكن اذا كانت المعرفة غير الفضيلة فلا شك ان الجهل ضعف والضعف في هذه الحياة الدنيا هو الشقاء والشقاء موءد الى الرذيلة . ومن ذا الذي لا يرى في المدن والقرى صغاراً يشبون سالكين على الغالب مسالك الجريمة وعلى الاغلب مسالك الشقاء لرداءة تعليمهم او لعدم التعليم فكيف نرى ذلك ونصبر عليه » اه

✽ فصل ✽

تبين بادلة من العقل حمية الزام التعليم في الهيئات الاجتماعية عموماً وفي البلاد الفرنسية خصوصاً فبقي ان نويد ذلك بشواهد من النقل الصادق وبراهين من الرقم الناطق الخماماً للغالطين وافهاماً
ففي عام ١٨٦٢ اقيم في لندرة عاصمة انكلترا معرض عمومي وافر

فيه مكان فسيح لمواد المدارس وآثار المعارف وتقارير التعليم لمعرفة نتائجها في جميع الاقطار والفت للنظر في ذلك لجنة من عضاء اهل النقدة تحت رئاسة المركيز دي كافور فاجتمع اولئك النقدة في الثالث عشر من شهر حزيران من العام المذكور للمذاكرة فيما رأوه من تلك الاثار والتقارير ثم اصدروا الحكم الآتي معرّبه :

« لقد ظهر اليوم لجميع الامم المتمدنة انهم اذا راموا وقاية المستقبل « وتأيد ونشر المبادئ التي هي اساس الهيئة الجديدة وموضع افتخارهم « بها فلا بد لهم ان يعدوا تعليم الاحداث بمنزلة مصلحة اجتماعية من « الدرجة الاولى »

« وتبين لنا ان بروسيا وغيرها من الممالك الزلفرنية التي حصل فيها « التعليم واجبا قانونيا وكذلك الممالك السكندنافية وجمهورية سويسره « هي في المقام الاول بين البلاد الاوروبية بالنظر الى المعارف العمومية . اهـ « وفي عام ١٨٦٧ اقيم معرض عمومي آخر في باريس على عهد المسيو دورويي المؤرخ المشهور في نظارة المعارف الفرنسية وكان القسم العاشر منه معيناً لآثار العلوم وتقارير التعليم وله لجنة تقدر وحكم مؤلفة من رؤساء العلماء فكان مما ورد في تقرير تلك اللجنة ما تعريبه :

« اول ما يتوجه اخاطر اليه عند رؤية هاته الآثار وتصفح تقارير التعليم في هذا القسم من المعرض انه ينبغي تعليم كل ساكن بلد يدعي له المدنية مبادئ القراءة والكتابة والحساب في مدارس النهار والليل وان هاته المزية السنية قد حصلت على وجه العموم في البلاد التي تقر فيها الزام التعليم اما في سائر البلاد الا الغادر الذي لا يقاس عليه فنتائج التعليم لا تعادل مقادير النفقات . اهـ « عن لائحة اللجنة المذكورة في الصحيفة ١٠ من الجزء الثالث عشر

وفي عرض ذلك المعرض انتدب المسيو مفراس كاتب السرفي بعض السفارات للنظر في احوال المكاتب وبياناتها من وجه الواقع فكان مما

كتب في ذلك ما تعريه:

« لا بد لنا في هذا المسلك ان نعترف وان ساءنا هذا الاعتراف ان فرنسا متأخرة في المعارف عن المانيا واميركا وانكلترا وغيرها وان نجاح هاته الدول وان كان بعضه ناشئاً عن همم الافراد وعواطف الانفس الا ان موجهه الاول في البلاد الالمانية انما هو القانون الذي يجعل التعليم اجبارياً». اهـ عن اللائحة المذكورة في الصفحة ٧٤٥ من الجزء ١٣ ايضاً

وفي سنة ١٨٧٣ اقيم معرض فينا العمومي فاجتمع فيه وجوه جمعيات الفعلة على اختلاف الانساب والاطنان وقدموا لديوانه تقريراً يتولون فيه ما ترجمته :

« لا كفاء ولا غناء في كون المدارس مفتوحة الابواب لكل طالب بل لا بد من ان يكون دخولها لازماً واجباً على الكل ثم ينبغي ان تكون عالمية محضاً وقاية لحرية العقائد»

ولما تولى الميسو دوروي السابق الذكر وزارة المعارف الفرنسية عام ١٨٦٣ صرف اجتهاده في بيان احوالها ورفع الى الامبراطور تقريراً اجمالياً يقول فيه ان الاميين من البالغين عمر الدراسة ينيفون عن ٦٠٠٠٠٠٠ عدداً فكان هذا التقرير مناقضاً لما كان يطلبه وكلاء الدولة من محالهم على مجلس النواب والشيوخ على كونه دون الحقيقة بمرحل كما يتبين من التقرير المرفوع الى الامبراطور المنشور في صحيفة المونيتور الرسمية (وقنئذ) سادس شهر اذار عام ١٨٦٥ فقد ورد فيه ان مائتي الف ممن جاوزوا الحادية عشرة عراة عن كل معرفه وان ثمانمائة الف ممن هم بين الثامنة والحادية عشرة لا يأتون المدارس ولذلك قال الميسو جول سيمون من خطبته في الهيئة المشتركة **CORPS LÉGISLATIF** سادس عشر اذار عام ٨٦٤ ان عدد الاميين من البالغين عمر الدراسة في البلاد الفرنسية ١٢٣٠٣٠٣ لا ٦٠٠٠٠٠٠ كما ورد في تقرير دوروي

بل لا تحسب كثرة عدد الجهلاء هي الموجب الفرد لازام التعليم فلو لم يكن في الامة غير معشار المعشار من الجاهلين لزم الهيئة الحاكمة تعليمهم قال المسيو برودو وزير المعارف الفرنسية الاسبق من خطبة فاه بها في مجلس نواب الفرنسيين في السادس عشر من شهر كانون الاول الماضي ما تعريه :

« لئن لم يكن في فرنسا غير عشرة آلاف او الفين او الف من لا يأتون المدارس فمن الواجب اقتيادهم اليها . وعندني ان الدول التي قضت بالزام التعليم لم تمس عقيدة الولد ولا حرية الوالد ولا اري الذين يتقاعدون عن المدارس الا ثلاثة خاملا سائلاً وفاسداً سارقاً وفقيراً عاملاً فالفرقان الاولان ليس في الزامية تعليمهما موضع للخلاف واما الفريق الثالث فيمكن في امره التوفيق بين الشغل والدرس كما نص عليه في تقرير لجنة الازام . ولا ريب ان لفرنسا على كل احد منا ديناره ودمه ورأيه وان لنا على فرنسا التعليم » اه

الا ان المداجين المداهنين الذين كانوا يضربون من دون الحقائق حجماً مستورة ويموهون مشوهات الاحوال تزلفاً الى الامبراطورية ومخافة ان تبدو معائبهم للامة فنقول بعداً نكم وسمحاً ان هؤلاء المنافقين قد اعترضوا على تقرير دوروي وزوقوا الامر الممزق بالاباطيل وانكروا الزام التعليم من وجد مخالفته للحرية على كونهم اعداءها الالاء مستهزئين بالالمان من هذا الوجه ضاحكين منه كثيراً الى ان جاءوا بهم الى عاصمة بلادهم فاتحين فابكوا الفرنسيين بكاءً غزيراً وتبين حينئذ لهم جميعاً صدق الوزير بسمارك حيث قال . ما بلغت بروسيا هذه المنزلة العلية الا بشيثن الزام الجندي والزام التعليم . اه عن مقالة للمسيو اوجين رندو مفتش التعليم الابتدائي نشرت في جريدة كنسيتيوسونل في شهر حزيران عام ٨٧٠

وكان اهل ستراسبورج قد شرعوا قبيل تهوّر الامبراطورية في حرب

الامان بجمع الآراء على تقرير بطلبون فيه التعليم الالزامي فاجتمع لهم ٣٥٠٠٠٠ توقيع ثم كانت الحرب فانفصلوا عن الوطن الذي افتدوه بارواحهم فنشطت عصبة التعاليم الباريزية لاكمال مشروعهم فتلقته الامة بالقبول والاقبال حتى اجتمع في ذلك التقرير ١٢٦٧٢٢٧ توقيعاً وعرض لدار الندوة فاعرضت عنه بما كان في رجالها من كراهية الحرية وخوف انوار العلوم ولكن علم الالباء ان لا بد بعد ذلك من حصول التعليم الزامياً في بلاد الفرنسيين فان صوت الامة صوت الحق والامة اذا قدرت ان تقول قدرت ان تفعل

✽ مجانية التعليم ✽

ثبت للحكومة حق الزام التعليم من وجه ان الهيئة الحاكمة المشرفة على امر الجمهور منتدبة جلب المصلحة كما هي مأمورة بدفع المفسده فكما انه يجب عليها ازالة الضر ونفي الازمة ورد الشقاء وكف العدوان ومنع الظلم كذلك من واجباتها تحصيل النفع واثبات السلامة واعاده الهناء وتأييد السلم ورفع منار العدل والانسانية والفضيلة التي لا تماثلها فضيلة والمزية التي لا تعادلها مزية فضيلة المعرفة ومزية العلم والعلم يجي قلوب المتين كما

تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العما عن قلب صاحبه

كما يجلي سواد الظلمة القمر

ولكن ليس في الوجود الطبيعي ولا المدني من واجب الا بحق مماثلة وليس فيه من حق الا بواجب يقابله فاذا وجب على الوالد للهيئة المدنية تعليم ولده فقد حق له امكان ذلك التعليم على قدر الكفاة واذا حق للهيئة الحاكمة اجباره عليه فقد لزمها توفير اسبابه وتمهيد سبيله على قدر الامكان فان كان الوالد من الذين اصابهم النظام المدني باختلاله

او الذين الم بهم من عوارض الوجود ما لا يستطيعون له دفعاً فهو فقير
معدم او ضعيف عاجز لا يقوى على تعليم ولده بقدر ما يحتاج اليه
وما توجه احوال الزمان عليه فالمهيئة الحاكمة مأموره من قبل حقيقة
الالزام بان تيسر له ما لا يستطيع فتجعل التعليم بلا قبل . قال ساي
الاقتصادي الشهير ان مركز المحترف العامل يذني مقدار دخله الى حد
انه لا يكاد يفي بحاجته الا بشق النفس فاذا استطاع تربية الولد وتعليمه
حرفته فهو لا شك عاجز عن ان ينيلهم من العلم القدر الذي يقتضيه
حسن الحال في الهيئة المدنية فان رامت هذه الهيئة التمتع بنفائح هذا
القدر من العلم في الفئة المحترفة العاملة وجب عليها ان تبته فيهم على
تفقتها بانشاء المدارس المجانية (الاقتصاد الكتاب ٣ الفصل ٦)

فالمجانبة في التعليم واجب مترتب على حقيقة الالزام

الا ان لزوم المجانية مستلزم للعسر او الضعف او العجز في جانب
الوالد فاذا سقط الملزم بطل الالزام قياساً بمعنى ان المجانية غير متعينة
على الالزام الا لمن ثبت عجزه عن التعليم فان كان قوياً عليه فقد لزمه
لزوماً لا ريب فيه كما تبين في ابواب الحقيه ولم تكن المجانية واجبة
له على الهيئة الحاكمة

فالمجانبة المألقة غير ملازمة لالزام التعليم

الا ان الكثير من علماء تدبير المنزل وحلفاء الحريه والعدل ونصراء
المساواه والاخاء والذين لا يميزون بين ابناء الانسان الا بجزية العقل
وفضيلة النفس كل هؤلاء قد كرهوا حصر المجانية التعنيم في اولاد الفقراء
ولم يرضوا بوجود الامتياز بهذه الهيئة على مقاعد المدارس علماً منهم
منهم بما ينشأ عن ذلك من الاحن والعداوات وما يترتب عليه من
فساد النفوس وتنافر القلوب اذ ينقسم الصغار فرقاً ودرجات متفاصلة متباعدة
فاذا شبوا كان بعضهم عدواً لبعض يترصون بهم ريب المنون كما كانت
الحال في اعصر الظلمات المسماة بالمتوسطة وما احد يجهد تلك الحال

وما احد يعلم ما ادت اليه . قال المسيو غلبز نائب بريغ في مجمع
فرنكفورت

” من الواجب الضروري اجتناب كل ما يحمل الصغير المعوز على
الاعتقاد بوجود حد فاصل بين الغني والفقير ولا يكون ذلك الا اذا
جلس المعوز منذ الحداثة على متعمد المدرسة بمثل الحق وفي نفس الدرجة
التي لابن الغني “ اه

(الصحيفة ١٦ من مفاوضات مجمع فرنكفورت)

وقال الفيلسوف جول سيمون في كتاب المدرسة ما معناه . يحسن
ان يعيش ابن الغني وابن الفقير على مقعد واحد ويجب ان يعلما انهما
شرع بان ينزع اولاً من مخيلة الفقير وهم الفقر لا كما هي الحال في كثير
من مدارس الاناث حيث لا تعلم المدرسه الا بنات الاغنياء واما الفقيرات
فيقرأن على عريضة منهن “ . اه

فن عجائب ما ينشأ عن الالهواء ومن غرائب ما ينتج من
الآراب النفسانية ان يرسى للمجانين اعداء يتكرونها اصلاً وفرعاً ويحسبونها
البدعة الشنعاء وان يكون اولئك الاعداء هم الذين اوجبوا على انفسهم فتح
المدارس لكل يادرس والذين كانت مدارسهم الخارجية مجانية محضاً
فهل نسوا ام هم يتناسون ما ورد في تاريخ فرنسا القديم عن منع المدرسين
غير مره من اخذ رواتب الدراسة من الطلبة (تومانيين المجلد ٢
الصحيفة ٦٢٢) ام لا يذكرون ان المجانية ما برحت ناموساً مقدماً عند
اخوة المدارس المسيحية

ولكننا نضرب عن المقابلة بين ما يفعلون وما يقولون والموازنة بين
ما يعتقدون وما يوهيئون فلسنا في مقام الحكم عليهم وليس من قوه
الحجة وحسن الدليل ان يقال فعلت من قبل غير ما تقول الآن
فانت انت حجتنا عليك وانما الحجة الدائمة ان يجرد القول من علاقة
مصدره ومن الحامل عليه فيرد بالنظر اليه من حيث هو هو رداً

معتقاً باهداب النزاهة آخذاً باطراف الوضوح فحن لذلك نمر على الانظار
اعتراضاتهم على مجانية التعليم واحداً بعد واحد ثم نكشف عنها الحجاب
ليتبين الخطأ من الصواب ان شاء الله

وقد انحصر اعتراضهم على المجانية في اربعة لابرٍ قسمنا بالحق ان
كنا ندري ايها اخفي حقيقة واظهر فساداً وادنى من الخطاء وابعده
عن الصواب من البقية وهي اولاً ان المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة
فهي من هذا الوجه غريبة فادحة تزيد تكاليف الامة اثقالاً . ثانياً
انها بدعة مستحدثة لم تفد خيراً ولم يأخذ بها الا القليل من الدول
ثالثاً . انها من آثار الاباحية من حيث انها تُنعلق بالاشراك في الاموال
رابعاً : انها انما وضعت لاعانة الفقير وهي حيف عليه فقد كان يحصل العلم
من قبل مجاناً فاذا المجانية لزمته الوزيرة فيلتوي الامر عليه . اه . وانا
لنزد بحول الله وقوة الحق كل اعتراض من هذه الاغاليط فتزهق جميعاً
كأن لم يكن بها عهد ولم تكن شيئاً مذكوراً

✽ باب ٦ ✽

يقولون المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة فهي ضريبة فادحة للامة
ومثلهم في هذا القول كمثل من يأبى الدواء الشافي وينكر اسباب الراحة
ويهمل وسائل الوقاية بما يقتضيه من النفقة ومثل من يترك الارض بوراً
قراراً من كلفة الزرع . ومن كان ذلك حد ما تصل اليه مداركه فهو
بالشفقة والرحمة اجدر منه باللام

قال جول سيمون : يجب ان ينفق على التعليم الابتدائي كل الملايين
التي يقتضيها غير مأسوف عليها ثم فصل (في كتاب المدرسة) مسا
يترتب من النفقة على تقرير الازامية والمجانية من كل الوجوه مائلاً في

كل ذلك الى جانب الزيادة فقال ان ثمانية عشر مليون من الفرنكات تكون كافية للمجانبة فاذا اردنا انشاء مدارس جديدة وزيادة اجور المدرسين فتضعف بذلك هذا المخرج فغاية ما يكون مع نفقة المدارس الاصولية المعدة للترشيح للاستاذية خمسين مليون فرنك . اهـ . فاذا علم ان ولاية نيويورك باميركا تنفق على التعليم ٢٢ مليون ريال في حالة كون سكانها لا يزيدون على ٣٨٥١٥٦٣ نفساً عدداً وان ولاية ماساشوتس وعدد سكانها ١٢٢٣١٠٦٦ تنفق خمسة عشر مليوناً وخمسمائة الف تبين ان فرنسا وان انفتت مائة مليون فرنكاً بل مائتين لا تكون في الدرجة الاولى بين الممالك ولا في الثانية

فعلی تقدير ان تكون النفقة المتعينة على مجانية التعليم اربعة امثال ما حسب الفيلسوف المدقق جول سيمون فكيف بأسف الفرنسيين على اتفاق مائتي مليون في سبيل التعليم الابتدائي على كونهم ينفقون نحو الف مليون في سبيل الجندية وكيف بضنون بالمال فيما يضيء الابواب وما لیس للعقول من لذة الابيه وهم هم الذين انشأوا ما هي غنائهم بستة وعشرين مليوناً والذي نرى في برنامج دولتهم في كل عام مليوناً ونصف مليون للتياتر واربعة وعشرين مليوناً للسجون وهلم جرا . قال سيمون . كيف لانموت خجلاً ونسبة برنامج التعليم عندنا الى برنامج الحرب نسبة

١١ = ٢٩٥

فان قيل ان الامة تنفق الالوف المولفة في سبيل الجندية لوقاية شأنها واعلاء مكانها ورد العدو وصيانة ماء الوطن وليس في التعليم شيء من ذلك فالذي يلزم في الجندية لا يلزم فيه قلنا اي شيء اجدر من الفضل بالوقاية واي ماء اولى من الذهن بالصيانة واي مكان اسقى من العلم بالاعلاء واي عدوا اعدى من الجهل ..

اليس هو المضعف لاقوة الذاهب بالراحه المنحي على السعادة الداعي الي المفسدة المدني من البلاء المبعد عن السكالم المساوي بين انسية

الانسان ووحشية الحيوان

او ليس هو الذي ينسف معازل المجد ويدك اطواد العز ويقلع قلاع
السطرة ويمحو آثار الفخار ويجعل البلاد عرضة لكل طامع او غرضاً لكل
هادف وعرضاً لكل سائم

بلى . فكيف تنفق الامة اموالها وتبذل الارواح لرد طارق خارجي
ثم ينكر عليها صرف معشار تلك الاموال لدرء هذا العدو الداخلي المقيم
لا جرم ان الذين يحاولون صرف خواطر الامة عن هذا الواجب المدني
انما هم نصراء العدو عليها . لا يرومون رفع الواجب رحمة بها ان تحمل
انفسها ما لا تسع ولكن ليستأثروا بالحق المتعين عليه . او هم احباؤها
ونكسهم يجهلون حقيقة المنفعة والعدو العاقل ايسر ضراً واصغر شراً من
الصديق الجاهل . فنفقة التعليم واجبة على الامة وجوب نفقة الجندي
ونفقة القضاء ونفقة الضبط والخفارة عليهم بل هي اوجب من حيث انها
اساس قوة الجندي وعماد عدل القضاء ودعامة حسن الضبط . قال
تاليران في تقريره على مجانية التعليم الابتدائي في بلاد الفرنسيين عام
٧٩١ - يجب على الامة ان تقوم بادىء بدء بما يلزم للدفاع والحكم فان
واجبها الاول - انما هو العناية بحفظ وجودها الذاتي من كل عارض
ثم النهوض بما تصون به الحرية والملك لتندراً عن مجموعها التوازل التي
لا يمكن انقائها في حالة الانفراد فتحصل لهم المنافع الوطنية الناشئة عن
حسن الاجتماع . بل ما وجدت الامة الا هذه الغاية فان لم تدركها فقد
اهملت حكمة الوجود ولما كان التعليم بلا ريب خير تلك المنافع اثرأ
وجب على الامة ايما وجوب بذل كل ما ينبغي لتيسيره لاعضائها كلهم
اجمعين . اه

المجانبة بدعة مستحدثة لم نقد خيراً ولم يأخذ بها الا قليل من الناس . -

وهو من بداهة الفساد وظهور الضعف بحيث يقف القلم عن رده استنفافاً
 وازدراءً ولكن سائر ما يدعيه اعداء الالزامية والمجانبة والعالمية في التعليم
 لا يخرج عن هذا الحد فلو صح الاقنصار على رد القوي منه لما وجد
 المناظر ما للمقال مقاماً فنحن لذلك نتنازل معهم الى تبين البين وتحصيل
 الحاصل ليزول اللبس عن افهام العوام

فليست المجانية من البدع انما هي سنة الفضلاء والرؤساء وارباب
 السياسة وخدمة الدين واهل التدريس الزهاء في هذه الايام ومن قبل
 التزامها في فرنسا اخوان المدارس المسيحية وكانت الى هذا العهد مفرج
 الآباء اليسوعيين في مدارسهم الخارجية وطلبت في بلاد الفرنسيس منذ
 القديم كما روينا عن تومانيين فيما تقدم وتقررت في تلك البلاد عام ١٧٩١
 مبنية على تقرير تاليران السابق الذكر وفرضت من بعد ذلك في البند
 ٢٤ من القانون المسنون خامس عشر اذار عام ١٨٥٠ ومفاد ذلك البند
 « التعليم الابتدائي مجاني لكل الاولاد الذين لا يسع اباؤهم اداء نفقته »
 ولم يسع ان احداً من علماء الاسلام تقاضى القارئین عليه والآخذين عنه
 اجرة وهذه آثار مدارسهم في العراق والشام والحجاز ومصر والاندلس
 وسائر المغرب ناطقه بذلك بل هذه مدرسة الازهر بالقاهرة والزيتونة
 بتونس وغيرها بسائر البلاد الاسلامية تثبتت باسان الوف من طلبة
 العلم .

وليس اولياء المجانية عدداً قليلاً فهي مقررة في جميع الولايات
 المتحدة الاميريكية ولا ازيد البصير بهذه الولايات علماً انها احسن البلاد
 حالاً واسرعها نماء واشدها حرصاً على الحرية وحفظاً لحقوق الانسان
 وهي مأثورة في هولنده والدنمرك وايطاليا وشيلي والبرتغال . وقد ظهر
 ارتياح سائر الامم اليها في هذه الاعوام الاخيرة حتى اتصلت باسبانيا
 والمانيا على ما بهما من عجز المال فابطلنا رواتب التعلم في المدارس
 الابتدائية تلك بحكم قانونها المسنون عام ١٨٦٩ وهذه بمقتضى البند الرابع

والعشرين من دستورها الحاضر . - وما كانت بهذه الدول والامم على ضلال ولكنها فتحت قلبها للحق فصدقت (لاف) حيث قال . ان البلاد التي يعطيها فيها امتداد المعارف والتي تكون الازامية فيها حديثة عهد لا بد لاهلها من جمع المجانيه الى الالزام . اه . وخفضت رؤوسها للحقيقه فاخذت بما حكم به جلة العلماء واعاضم الفضلاء واكابر الاساتذة في مجمع فرنكفورت عام ١٨٤٨ حيث قالوا في المطلب الرابع من تقرير ذلك المجمع الشهير ما ترجمته :

« يمنع اخذ اي راتب في المدارس الابتدائية وما دونها من المدارس المعدة للحرف والصناعات وتكون المدارس المخصصة بالفقراء منفعلة رأساً » . اه

وقد عمت المجانية المطاقه في الولايات الاميريكية كما قدمناه فارتقت بها ذروة الكمال المدني وصارت آية العصر بالقوة والثروة ومعجزة الايام بانتظام الاحكام واعجوبة الدنيا بناء السكان . لم يكن سكانها عام ١٨٦٢ سوى ٢٩٩.٢٠٠.٠٠٠ نفس وهم الآن خمسون مليوناً ويزيدون . وهذا برنامج التعليم الابتدائي فيها لعام ١٨٧٥

دولار

٨٢١٥٨٩٠٠

دخل التعليم من خزينة
الدولة ووقف المدارس
واموال المجالس البلدية
بحساب الدولار الذي هو
عبارة عن ٥ فرنكات و ٣
سنتيماً

* النفقات *

١٥ ٤٥٩٠٨	للارضين الموقوفة والابنية والاثاث
٩٢٤٧٧٣	رواتب المفتشين
٤٦٧٠٢٢٩٥	رواتب المدرسين
١١٧٠٣٠٩٥	نفقات شتى
<u>٧٤٣٧٦٠٧١</u>	المجموع

مجملة ما ينفق على التعليم الابتدائي في اميركا اربعة وسبعون مليوناً وثلاثمائة الف دولار وكسور اي نحو ثلاثمائة مليون وثلاثة وتسعين مليون فرنك فلو بذلت فرنسا فيه ما تطلبه الدولة مضعفاً عشرين مثلاً لما فضلت به ولايات العالم الجديد

ولا نجد بنا بعد هذا البيان من حاجة الى الاستدلال على رفعة شان المعارف العمومية في الولايات المتحدة وسائر الاقطار المتمدنه وان الدول والامم البصيرة بعواقب الامور لا تبالي بالالوف المولفة تبذلها في سبيل اضاءة البصائر بانوار العلوم على اننا نورد الجلاء الآتي قطعاً للحجة وحسباً لاسباب المغالطه فهو بيان واضح يتضمن المقابلة بين نفقات المعارف وسائر المصارف العمومية في سبع من الولايات المتحدة انموذجاً وناخذه عن تقرير الفاظر الرئيس (جرت ليتون) على عام ١٨٧٠ هو :

الولاية	نفقة المدرس	النفقات العمومية
مين	٨ ٥٣٦٩	٠٤٠٣٦٠١
بنسلفانيا	٥١٦٠٧٥٠	٣٨٥٣٣٣٦
اهيو	٤٨١٦٤٩٥	٢٩٧٨٩٩٥
كليفورنيا	١١٧٨٣٤٨	٠٤٧٥٩٧٨
نيوجرسي	١٣١٣٢٥٨	٠٤٧٢٨١٥
وسكافسين	١٧٧٤٤٧٣	٠٩٤٦٥١٩
النوا	٦٤٣٠٨٨١	١٠٦٢٥٢٥

ثم ان ولاية نيويورك التي كان سكانها عامئذ ٦٤٨٢٧٥٩ عدداً كانت نفقة المعارف الاولية فيها ١٠٨٧٤٩١٠ من الدولار اي ثلاثة اضعاف ما تحتاج اليه الدولة الفرنسيه لتقرير المجانيه المطلقة في التعليم الابتدائي

٥٨ (عن الاصلاح الاقتصادي **RÉFORME ÉCONOMIQUE** المجلد ٨ الصحيفة ٢٥٦)

وصلنا موقع دندنة اللفظ الذي يصيب الآذان ولا يمس القلوب ووطنظة الكلام الذي يخرج من الشفاه ولا اثر له في النفوس . وصلنا موضع ذكر الاباحيه ونفي الملكيه وشيوع الاموال دليلاً على فساد المجانيه بقوم ولكن عند الذين يبيحون ارتكاب الخطاء على قصد صواب يتوهمون ويصح ولكن عند الذين ينفون العدل فيما يثبتون فما مجانيه التعليم الابتدائي في شيء من الاباحيه الا ان تعد وزائع انارة المدن وضرائب طرق العربات ومغارم توزيع المياه وعوائد انشاء المراقي وجبايات سائر

المنافع العمومية من هذا القبيل . ليس ان بعض الناس يستفيدون من
 المصايح أكثر من بعض او ليس ان العربات لبعضهم دون بعض وهل
 تتساوى حاجة الناس الى الماء أم يستوي صاحب السنينه ومن لا
 يملك رأس ساربه فيما يحصل من نفع المرافق، فما بال النفقه تكون
 واجبه مشروعه ممدوحه الموضوع مشكوره المحمول في كل ذلك وتعد
 اباحيه متكره ذميه الوضع والحمل فيما هو اعم من ذلك نفعاً وواجب
 عرفاً وشرعاً . في استنقاذ الابواب من محابس الجهالة . في اخراجها
 من ظلمات الضلال . في اعلاء شان الاوطان . في احياء قلوب السكان
 في التعليم الابتدائي العمومي . ارأيت لو قال احد من الناس لا
 ادفع مغرم الاناره فاني ابيت مع الدجاج وامري مع النعام فمالي باضاعة
 الشوارع من حاجه الا يحسب ذلك القول مرساماً او لا يقال لصاحبه
 ان لم يكن بك حاجه للنور تأمن به عثرة المدلج فهو بيقك شر السارق
 ياخذ ما تضمن به على منفعة العموم فان اصر على جهله أما يقال له اعتزل
 الناس ان رمت مخالفه جميع الناس

يقول المخالفون ان الغني وان حصلت له المجانيه فلا يعلم ولده
 الا بدinar يجذب اليهم بمغناطيسه عنايه الاستاذ فالمجانيه لا تفيده خيراً
 ولا تكفيه نفقه فان ضربت عليه وزيعتها فذلك ظلم من وجه انه يلزمه
 النفقه فيما لا عوض فيه . وابعاده من حيث انه يشرك سائر الناس
 فيما ملك . ونقول لا يحظر على الغني تعليم ولده في المدارس المجانيه
 ابتداءً فان اباه صلفاً وتكبراً فليكن ما يتفق من المال مزيداً ثم
 الكبرياء وليس في ذلك شيء من الاباحه فان الذي تستفيد عامه
 الناس من المجانيه يعود على سائر الامه بالنفع العظيم بما ينشاء عنه من
 حصول المصلحه الكليه وزوال المفساد واستقرار الراحه والامن ونماء
 اثره العموميه فالامه كالأشرفه الواحده يسعى كل نسمة منها وسعه ويكون
 مرجع الكل اليها . بل الغني احوج الناس الى انتشار المعارف واضمحلال

الجهل فلك تلبين القلوب وتطهر النفوس وتدمث الاخلاق وتوسع موارد الرزق فيقل معها الطامعون في اموال الاغنياء ويندر المعتدون على ابناء العرض فتصان بذلك الحقوق وتحفظ الملكيات وتطمئن نفوس المتولين وهذا يجعل القلوب فظة والنفوس دنيئة والاخلاق جافية والارزاق ناضبة الموارد فتكثر به الاطماع وتحمل الفاقة على الكبائر فلا يأمن المالك على الملك اغتصاباً ولا المتمول على المال استلاباً وانتهاباً. وكما ان الغني يبذل المال لنفقة الشرطة والبدل العسكري للجنود او يتجنده بنفسه حيث لا يقبل منه البدل لوقاية ما يملك من العدو الخارجي كذلك يلزمه من وجهه مصلحة الذاتية فضلاً عن الواجب المدني ان يبذل ما يفرض عليه من نفقة التعلم الابتدائي لصيانة ذاته وما يملكه من العدو الداخلي المسمي جهلاً بل هذه النفقة اوجب عليه وانفع له من وزيرة الشرطة وضرية الجندبة فان قوة الحامية لا تزيد على ان تدرأ الشر عنه

« تنبيه »

الى هنا انتهى قلم الفقيه في تحرير هذا السفر الناطق

بصحة مذهبه وانه لو لم يقض عليه في

ذلك العهد بما كان يحول دون

مشاغله من موانع الاعتلال

لما ترك هذا المقال

خلوا من البقية

❖ منتخبات جريدة التقدم ❖

(للمرة الثانية التي تولى فيها الفقيه تحريرها)

لم يسعدنا الحظ بالحصول على مجموعة هذه الجريدة لأول مرة خطاً فيها بنان الفقيه سطوره الاولى بعد ان ترعرع وشب على حب الآداب وتحصيل المعارف فقد التمسنا غير مرّة من حضرة صاحب امتيازها فضنّ بها علينا لما لا نعلم فاضطررنا على اسفٍ منا الى ان نكون في غنى عنها بما اجتمع لدينا من آثار الفقيه التي لو شئنا استيعابها جميعاً لما صبر علينا طلابها الى ان نفرغ من جمعها على ما نروم فيه من زيادة الانتظام في الترتيب والتبويب (تقلاع الطبعة الاولى)

قال في مقدمة العدو الاول

تعدّد مظاهر الوجود في الكائن الموجود فيتدرّج في مراتب الكمال بما له من معدّات الكون والبقاء والحركة والنماء
فلا تأسف على الحبة مدفونة في الارض شتاءً انها ستنبث في الصيف ناميةً تنوجاً ولا تباكر الشجرة مجردة في الخريف انها ستبدو في الربيع خضراء ناضرة تسر الناظرين
ولقد اتى على هذه الصحيفة حين من الدهر دفنت حبة قصدها وجرّد غصن نفعها بما طرأ عليها من حوادث الايام وعاديات الحدثان ثم انجالت بهذا المظهر لم تنشأ من العدم البحت ولم تبدُ بعد المحو المطلق ولكن اقمصت من الحياة ثوباً جديداً

فهي الآن رسول رجائنا الى الذين عرفنا والذين عرفنا من احبنا
الادب تصدر اليهم يوم الاثنين ويوم الخميس من كل اسبوع مشتملة على
المهم من اخبار السياسة والراجح من آراء ذوي النقد والنافع من شذور
الآداب والمأثور من خطرات الالباب

نجمع فيها السياسيات تحصيلاً ونبسط الادييات تفصيلاً لا نسود
منها بالرياء وجهياً ولا نملأ لها بسفاسف القول وطاباً ان سطرأ مما
يؤلف بين القلوب لخير من فصل مما تختلف عليه الآراء وان كلمة مما
ندعو اليه الحكمة لا تقع من كتاب مما تبث عليه الاهواء

وقد اخترنا ما يرسى لها في هذ المثال من الترتيب والتبويب
معتادين فيه على عذوبة المورد وسهولة المقصد وجودة الايضاح لا تتكلف
لجميع ذلك الا الافهام ولا نعتمد غير تقرير المعاني في الافهام من
اقرب وجوه الكلام

وما ندعي في هذا الاسلوب كلاً ولا احساناً ان هو الا جهد
مقل ينطق عن غيرة وان فانه العلم - ولو فعل كل امرء ما يستطيع من منفعة
لما رابنا على سطح الارض شقياً

فاذا بلغنا المأمول من القبول فتلك يد عندنا لذوي النضل والحلم
من اهل العدل والعلم والا فحسبنا من العذر بذل الجهد ومن التأساء
حسن القصد - نرحم مقضياً علينا بالعجز ولا نرجم محكوماً علينا بسوء النية
نعرف بالضعف في جملة كثير من الانام ولا نرمي بنقص القادرين
على التمام

على اننا في ايام ليست كالايام وهو قف ضحك المقام . نعم ان
دولتنا العلية حقق الله بها آمالنا، واصلح بنايتها احوالنا قد وضعت
للمطبوعات قانوناً لينا في غير ضعف ووازعاً في عنف بنود من المستعصم
بعروة الحق والصدق ولكننا بين امور عظام ومشاكل جسام لا يفني في
مباحثها حسن النية ولا تكفي سلامة القصد فربما انجس عنا القول من

حيث لا نعدم مقالاً وربما ضاق علينا المجال من حيث نرى مجالاً
 بل لا يتجسس القول ولا يضيق المجال ان للتقدم انصاراً من اهل
 الفيرة العلمية واولياء من اهل النجدة الادبية لا بضنون عليه بما يجدون
 من فرائد فوائدهم وفواضل افضالهم وليس ما يجدون من ذلك قليلاً

❖ وله مطلب في ❖

المحقق والواجبات

(تمهيد)

اقدمت على البحث في هذا المطلب والساذج الفطري مقدم
 اعلم من نفسي العجز ومن ذهني الضعف ولا اجهل صعوبة البحث
 واختلاف الطرق وتنوع المذاهب فيه الا انني اجد من النفس ارتياحاً
 اليه ومن الفكر انبعاثاً عليه واخال " ولعاني من المصيبين " ان على كل
 من الناس واجباً من النظر والبحث في كل ما يتعلق بذانية الانسان
 والهيئة الاجتماعية بما يأمل منه حصول النفع لها جميعاً وان وجوب هذا
 الامر مستلزم لحق القيام به

فانا فيما احاول اخطاء في او كنت مصيباً ذو واجب ينهض بما وجب
 عليه وذو حق ياخذ بما حق له

ولا التمس لنفسي عذراً فيما عساه ان يوهخذ علي من ضعف حجة
 او فساد بيان او ضيق معرفة او التواء معنى اني اعرض لاختواني في
 الانسانية ما علمت وما علمت وليس الذي علمت وعلمت كثيراً فان اصابوا
 بين السقط الذي يلفظ شيئاً يحفظ فلا اسف على الجهد والا فلست
 اول مخطيء في الناس ان اولهم اول ناس

﴿ المبحث الأول ﴾

(في تلازم الحقوق والواجبات)

البقاء من لوازم الوجود . فالانسان من حيث انه موجود مكلف بحفظ ذاته ترشده البداهة الى معرفة نواميس الطبيعة الضامنة لذلك الحفظ .

والحيوان الناطق داجن مؤالف بالطبع فالانسان من وجه انه مدني مكلف بحفظ نوعه تهديه القوة العاقلة الى الاحكام الادييه الكافلة لذلك الحفظ

فذلك هو الواجب الذي وهذا هو الواجب النوعي وهما طبيعيات لازم وجودها في الناس لزوم العلة البقية للعللة الموجودة فاذا تبين ذلك علم انه لا بد للانسان من الحرية الطبيعية في القيام بذينك الواجبين فثبت له بذلك حق واضح وهو حق اجراء ما وجب عليه

فالحق والواجب من حيث الطبيعة متلازمان لا يقوم ولا يكون احدهما بدون الآخر فمن استلب ذلك الحق نريد الحرية الطبيعية فقد منع الانسان من قضاء الواجبات واهان النوع البشري وخالف ارادة الخالق الحافظ سبحانه وتعالى اذ كيف يستطاع المرء حفظ ذاته اذا منع مما لا بد منه للبقاء وكيف يحفظ نوعه اذا قطع عما لا ندحة عنه في الاستبقاء .

وهذا الحكم وان كان ظاهره مقصوراً على الواجب والحق الطبيعيين في حفظ الوجود الانساني ذاتاً ونوعاً الا انه يتناول لا ربب الواجبات والحقوق في الحالة المدنية فان احتياج الانسان الى هاته الحالة في حفظ

الذات والنوع قد اوجب عليه صيانتها بقانون ادبي على مثال الاناموس الطبيعي فكانت احكام ذلك القانون كما قال منسكيو حكيم الترنيس بياناً للصلات الضرورية الناتجة من طبائع الاشياء فلزم من ذلك ان يكون نلى المرء في مدنيته واجب يقضيه بحق يعينه على القضاء فانضع من هذا الذي بسطناه ان الواجب غاية واسطتها الحق فمن اوجب الاول لزمه اعطاء . ان الله تبارك وتعالى لم يمنح الانسان حقاً الا من حيث انه فرض عليه واجباً
فالحق ملزم للواجب والواجب مستلزم للحق

✽ المبحث الثاني ✽

(في اقسام الواجب والحق)

تبين مما سلف ان الحق والواجب متلازمان لا يكون احدهما بدون الآخر في حال من الاحوال فكل ما نعينه من واجب يتناول حقاً وكل ما نعينه من حق يحتمل واجباً

ومعلوم ان كل موجود عاقل كلف بذاته حريص على حفظها فان اول ما يظهر من عواطف النفس الشاعرة بالوجود انما هو حب الذات ومن احب شيئاً حرص عليه

وان حفظ النوع من احكام الطبيعة فطر الانسان على الرغبة فيه كما هدت البداهة سائر الحيوان اليه . فهذا الحكم الطبيعي منتج بالضرورة للحالة الزوجية التي ينقاد الانسان اليها بالفطرة الحيوانية ثم يراها من حيث انه عاقل فرضاً واجب القضاء فثبت في قلبه ميلاً جديداً يتحدد بحب الذات فينشأ عنه في النفس لذة لا تنال ولا تدرك في العزلة نريد الحب الجامع بين الجنسين الواصل بين الزوجين الذي تنوعت مظاهره في

عالم الوجود والم على اختلاف تجلياته بكل موجود فهو في الزوج عشق وفي الوالد حنو وفي الولد بر وفي الاخ وداد وهو هو في كل حال يفعل في النفس الظاهرة ويؤثر في القلب السليم الى حد ان يلبس امره على الانسان فلا يدري اكان قائماً بواجب من الطبيعة ومتولياً من ذلك الواجب حقاً ام كان مائلاً مع الشهوة ساكناً الى اللذة آخذاً بما يجلب له الرضى والسعادة

فهذا الحفظ النوعي وذلك الحفظ الذاتي يتعلقان بالانسان من حيث هو اي من حيث انه من النوع البشري . فهما منشأ الحق والواجب الطبيعيين وهذا هو القسم الاول من الحقوق والواجبات وظهر ان للانسان في الحالة الاجتماعية شأنًا جديدًا ينتقل فيه من الزواج الى الاسرة وهي العائلة ومن الاسرة الى الامة ومن الامة الى الانسانية فله من هذه الوجوه حقوق معينة وعليه منها واجبات معلومة . فما يختص بالعائلة من هذه الحقوق والواجبات من وجه المعاملة الشخصية والحدود الملكية وما يمس الامة من اقامة الامور وصيانة الاستقلال ووجود المساواة وما يتعلق منها بالانسانية من حيث تقرب الصلات وتأمين الوفود وتيسير التجارات وتمكين السلم وحفظ المصالح العمومية . كل ذلك يعرف بالواجبات والحقوق السياسية

ومن كان من هذه الحقوق والواجبات متعلقاً بالمعاملة بين الافراد من وجه كنف الظلم ومنع الاعتداء وحفظ وصيانة الضعيف من القوي ووقاية الفقير من الغني ورد المالك المسلوب ومعاينة الظالم وارضاء المظلوم واجراء سائر انواع المعاملة على محور الاستقامة والعدل . وكل هذا يسمى بالحقوق والواجبات المدنية

ولهذه الاقسام الكلية فروع كثيرة نذكرها في عرض ما يجيء تفصيلاً او تحصيلاً

* المبحث الثالث *

(في الحقوق والواجبات الطبيعية)

وهي احكام الشرائع الطبيعية النافذة في النوع الانساني مسئلة ومنفصلة
عن كل شريعة دينية وسياسة مدنية

وقد وجد لهذه الاحكام في كل زمان ومكان اعداء الداء من
اهل القوة الحسية والقوة المعنوية ممن يتسلطون بايديهم على الابدان
ومن يتسلطون بالسنتهم على الاذهان . اولئك لم يعترفوا بغير الاحكام
التي هم اربابها وهؤلاء لم يأخذوا بغير القوانين التي هم اصحابها . وما بين
الفريقين معظم النوع الانساني حاشية يتبعون او عبيد يطيعون حتى
استنارت الافهام ونشطت من ربق الاوهام فصار او كاذ يصير لكل من
الناس حد لا يتعداه وخط لا يتخطاه

ومن المعلوم ان الخالق الحكيم القادر العليم منزه عما يخالف الحكمة
ويغاير القدره ويناقض العلم الحق . فالاحكام الطبيعية الناشئة عن
عنايته الازلية ان هي الا كلمته الحق المعروفة من ازل الباقية الى ما لا
يزال الكفالة لحفظ الوجود بوقاية كل موجود ولذلك عرفت في كل
زمان ومكان وما اختلف فيها اثنان . فقد بدت لارسطو كما ظهرت لبسكال
ورآها افلاطون كما شهدها نيوتن وتبينت لشيرون كما علمها فولني وانجلت
لسائر المتبصرين فائقة على القدره الانسانية غير متغيرة في حال من
الاحوال حية في قلب كل انسان منقوشة على الواح الصدور واحده
في كل الازمنة والامكنه والاشخاص بقدره الذي اوجد الازمنة والامكنه
والاشخاص

فهذه الاحكام الطبيعية المقدسة تصل الانسان بذاته صلة قوية

ينشأ عنها واجب الحفظ الذاتي فتصدر عنه العاطفة المسماة بحب الذات وتصل بين جنسيه فينشأ عن هذه الصلة واجب حفظ الجنس فتصدر منه العاطفة التي اذا كان موضوعها الزوجين سميت حباً وان كان موضوعها المولود سميت حنواً او حباً والدياً وان كان موضوعها الوالدين سميت برّاً او حباً ولدياً وتصل بينه وبين ابناء نوعه فينشأ عن هذه العلة واجب حفظ النوع فتحصل منه العاطفة المسماة بحب الانسانية

فما اعظم حكم خالقه وما اعم العناية الرحمانية ان الله سبحانه وتعالى ما فرض علينا الواجب الا من حيث تميل النفس وتنعطف الارادة ويسكن الطبع فقد كانت شرائعه الطبيعية عواطف تنوس وشهوات قلوب قبل ان تكون احكام فكر وعقل فهي الخب الجاذب الواصل الحافظ الذي ذكره الشارع الثاني في (وليجب بعضكم بعضاً فهذه هي الشريعة وهذه هي النبوات) ولا ريب انه جدّد النواميس القديمة جملة بهذه الكلمات وايضاً فقد وصلت الاحكام الطبيعية بين الانسان والاشياء فكان المرء حراً في استعمال ما يحتاج اليه في واجبات الحفظ فهو في حالة الطبيعة مالك للعالم بامرءه الا ان هذا الحق غير مخصوص بواحد من النوع وانما الناس فيه سواء لكل منهم ما للآخر بلا فرق ولا استثناء فالعالم من حيث انه للكل لا يكون لواحد منهم بالذات وانما يتمتعون به على حد سوى . ولكن لما كان موضوع هذا التمتع الحفظ كان من حق الانسان استعمال كل شيء فيه ولم يكن من حقه الافراط في شيء هذه اصول الاحكام الطبيعية متضمنة لما يخص بها من الحقوق والواجبات اوردنا جملة كما رأيت وسنصلها في المباحث الآتية كما ستري



* المبحث الرابع *

(في الحقوق والواجبات الذاتية)

* فصل * ~~~~~

تبين في المبحث السابق ان حفظ الذات رأس الحقوق والواجبات الطبيعية فثبت بذلك ان الانتحار اي قتل المرء لنفسه مخالف للحكم الاول من القانون الطبيعي الا ان هذه القضية وان كانت مسلمة لانطباق نيتها الصريحة على المقدمة الصحيحة فلم تسلم من اعتراض الفلاسفة المغالطين فقد رأينا جماعة منهم يجيزون الانتحار ويرثون مركبيه بادلته مما يلائم ضعف الفطرة البشرية فتألف الاذهان ما يقولون وان كان مخالفاً للحق . فلو ان تكون هذه المباحث مقصورة على المبادئ الاولية والاصول الكلية من الحقوق والواجبات لاوردنا الكثير من ادلتهم مشفوعة بما يظهر ضعفها من اقوال الناقدين . على اننا نذكر من ذلك ما لا يخرج بنا عن حد الاجمال والاختصار مستوعبين فيه اهم ما استدل به على جواز الانتحار .

يقول نصراء هذه الجريمة ان الحق الطبيعي قائم بالتام الخير ودفع الشر فيها لا يضر باحد من الناس فاذا صار الانسان الى الحال التي تكون فيها الحياة شرّاً عليه ولا تكون خيراً لسواه حق له الانتحار بل كان واجباً عليه

ونقول ان في هذا الدليل فرض محال لامتناع تجريد الانسان من خيرية الوجود في حال من الاحوال على ان هذا المستحيل بتقدير امكانه لا يجيز الانتحار للواقع فيما يحسبه شرّاً مطلقاً بما كان فيه من ضعف النفس وما طرأ عليه من اليأس فان الشقاء حادث عارض على المرء

على المرء بما كسبت يده لا جناح ولا تبعه فيه على الوجود الطبيعي
فليس من الحق ان يوه خذ ذلك الوجود بما لم يصدر عنه وان تكون
الطبيعة مسؤولة عما ليست منه في شيء

فان قيل كيف لا يجوز الانتحار للمرأة على خطر العار والرجل على
خوف الاهانة والوطني على اليأس من سلامة الوطن وكيف يخفي من
مات جليلاً كراهة ان يعيش ذليلاً او ليس ان كاتون الروماني العظيم
الشأن قد انتحر فراراً من الذل وحرصاً على الشرف الذاتي فهل منع ذلك
من ان يعد من عطاء الرجال

قلنا ليس الشرف الطبيعي الا كرامة الذات فهو من هذا الوجه فرع
من الحفظ الذاتي لا يمس شيء من العوارض المعنوية ولا يحق التصرف
فيه لغیر الارادة الطبيعية فاذا نصبت للمرء حبال من الحوادث او طرأت
عليه عاديات من الظلم او المات به عوارض من الفساد المدني فانتحر بسبب
من هاته الاسباب فاما ان يكون ذلك منه عن خوف من المصاب والضعف
عن احتمال الالم فهو جبان يخرج من ساحة الحرب قبل انقسام القتال .
واما ان يكون عن قوة الفساد الحادث فيه فهو فحمة للشرف المدني والرأي
العمومي فما نحب كاتون وان كان رفيع الشأن علي المكان الا مجرمًا
مذكورًا ومخطئًا مشهورًا ولا نراه وان عد شديد الوطنية عظيم الهمة الا
محبًا للسطوة حريصًا على السادة لم يمت كراهة للحياة بعد حرية رومه
وانما مات اسفًا على زوال السطوة عن مجلس الشيوخ

وجملة القول ان استتابة الذات من الواجبات الطبيعية ترشد اليه
البدهة وتبعث عليه العواطف النفسية مما يخالفه الانسان الا اذا طراه
عليه من الفساد ما ينسيه كل حق ويشغله عن كل واجب
وكا ان وقاية الذات من الهلاك واجبة على كل موجود من الانسان
كذلك يجب عليه صيانة تلك الذات عن كل ما يجلب لها الالم او
الضعف او النقص او الشوه كائنًا ما كان وفي اي سبيل كان مما

يخرج عن حد افتداء الكل بالجزء كما سنبينه في الفصل الآتي

✽ فصله ✽

نقرر فيما سلف وجوب حفظ الذات وحرمة قتل النفس ومن المعلوم ان ذلك الوجوب قاضي بصيانة الذات عن كل ما يجلب اليها الضعف والحطه والفساد وان هاته الحرمة ملزمة بوقاية النفس من كل ما يعود عليها الضرر والهلاك فان حفظ الوجود يتناول لا شك معنى استبقائه صحيحاً كاملاً سليماً كما وجد وحرمة القتل تشمل لا ريب حرمان الافراط والتفريط في حاجات الوجود من وجه انهما متافتان للموجود فكل ما يوهلم البدن او يضعفه او ينقص منه شيئاً لازماً فهو مخالف لحكم الطبيعة مابين لحكمة الخالقي لان الهيكل الجسماني الناهض بالواجبات الطبيعية اما ان يكون (على رأي اهل المادة) قائماً بذاته حياً بتركيبه غنياً عن كل مدد روحاني فضعافه او ايلامه او اذلاله مغاير لمبداء الحفظ الواجب طبعاً واما ان يكون (على رأي الروحانيين) بمنزلة الآلة لقوة روحانية تحار فيها الافكار ولا تدركها الابصار فافساده على هذا الوجه مضر بالنفس مناقض لحالتها الكمالية مابين لمبداء الحفظ المفروض شرعاً وهذا الهيكل الحيوي على الوجهين سواء كان قائماً بذاته او بما فيه لا يكون انساناً ما لم يقم بالواجبات الطبيعية الانسانية ولا يستطيع ذلك ما لم تحصل له الحرية فكل ما يذهب بالحرية الطبيعية تقييداً او اضعافاً او محواً فهو اختلاس او جهل بماهية الوجود لان العبودية اما ان تكون اجبارية فهي من جانب المستعبد سرقة واتلاف لاقدس حقوق الوجود واما ان تكون اختيارية فهي من جانب العبد جهل وعمى قلب يخرج بهما عن ان يكون انساناً

فمن عرض نفسه لعاديات الطبيعة من الحر والبرد والجوع بما يوصوس فيه الجهل مختاراً في ذلك غير مضطر له ولا ملتصق منه نفعاً قريباً

معلوماً . ومن عدا عن البدن بما يؤلمه من ضرب وجلد وتمزيق واهمال
 بما يزين له الوهم راضياً في ذلك غير مكره عليه ولا مستفيد منه له
 شيئاً . ومن شوّه الجسم او اسقط منه عضواً لازماً سعيداً كأننا ما
 كان ذلك العضو بما يؤمه له الطمع او الخيال الفاسد عامداً في ذلك
 غير مجبر ولا مفتدر سائر البدن بذلك الجزء كمن يقطع اليد المتفتحة
 وقاية لبقية الجسم . ومن انتزاعاً على حريته الذاتية بالحو او الانقاص او
 الاضفاف بما يبعث عليه الكمال او الغباوة او دناءة النفس راغباً في
 ذلك غير مقسور عليه . كل هؤلاء مخالفون لاحكام الطبيعة مناقضون
 للحكمة الالهية الازلية التي هي عين الجمال ومظهر الكمال ومصدر الوجود
 وعلة البقاء

فبجنانك اللهم ما خلقت فينا شيئاً عيباً ولكن نحن بانفسنا عابثون .
 ولا رضيت لنا شوهاً ولا عذاباً ولا امساکاً عما لا يضر ولا قيداً ولا
 ذلاً ولا عنتاً ولكن اكثرنا لا يعلمون
 عود على بدء * اما الافراط الذي هو استعمال الشيء من وجه
 الزيادة فيه والتفریط الذي هو استعماله من جانب الانقاص منه فهما
 تابعان لحرمة قتل النفس بما يجلبان عليها من اسباب التلف فكل
 ما يضر بالوجود الانساني من الاطلاق والامساک والبسط والقبض والاباحة
 والمنع والانعام والافراغ مماثل لقتل الذات حرمة ونكراً فمن ترك الوسط
 العدل فيما يحتاج اليه للبقاء والنماء واخذ منه بجانب الزيادة والنقص فلا
 فرق بينه وبين المنتحر الا ان هذا يهلك النفس دفعةً وذاك يقتلها
 تدرّجاً .

✽ المبحث الخامس ✽

(في الحقوق والواجبات النوعية)

« فصل »

تبين في المبحث الثالث من هذه المطالب وجوب حفظ النوع الانساني من وجه ملازمته لبقاء الذات . فهذا الواجب ملزم بالتثام الجنسيتين على صورة يحصل منها البيت او العائلة . وله في ذلك مظهران اثنان مظهر الزواج وفيه الواجبات والحقوق الزوجية ومظهر النتائج وله حالتان الحالة الوالدية والحالة الولدية وفي كل منهما حقوق وواجبات فالعائلة والمراد بها في هذا المقام جماعة الزوجين وما يلدان هي الاساس الاول والركن الفرد في بقاء النوع ونماء الانسان وهنأ الحياة وكال الوجود بل هي في العالم البشري بمنزلة مركز نور تنبعث منه اشعة الحياة فتثير القلوب وتسرع النفوس ونحيي الابدان وترشد المرء الى المقام الرفيع المعد له في عالم الحيوان

فهي من هذا الوجه جرثومة الكمالات الطبيعية وارومة المحاسن المدنية ومعدن الفضائل الاهلية لا تحصل بدونها في النفس عزة ولا تنشأ غيرة ولا توجد رحمة ولا يكون اجتهاد ولا يكمل شيء من السجايا الانسانية والمزايا الاجتماعية . بل لا يكاد الانسان يلتبس من خبايا الارض وكنوز الطبيعة وثمرات العمل ما يفضل عن حاجته الذاتية الا ان يكون ذا عيال من ضعيفات محبات صابرات وصيبة صغار عاجزين آملين جميعاً فيه متوكبين عليه يخاف عليهم ان يمسهم ضيم ويسره ان يراهم راضين عنه معجبين به داعين له بالبركات

نعم ان حب الانسانيه على وجه الاطلاق او المجد الخيالي على حكم
 التصور قد يكون هو الباعث الاول لبعض الانفس الزكية والعقول
 السمية على اتقحام المصاعب واحتمال المتاعب في القيام بما يترتب عليه الاثر
 النافع العميم . الا ان ذلك فضلاً عن كونه حادثاً طارئاً على الجمعية
 الانسانية غير اصيل في الخلق الطبيعي فهو مقصور على دون القليل من
 الناس . اما السرد الاعظم فلا يعانون متاعب المعاش ولا يصبرون
 على شقاء الحياة الا يباعث ادنى الى الحس و اقرب من الطبيعة واطهر
 لعين الفطرة الساذجة . وبعبارة اوضح لا بد للانسان في الحالة المعاشية
 من عيال يشعر بحبه لهم وحاجتهم اليه واعتمادهم عليه من دون سائر
 الناس فيخرج باجتهاده في تحصيل المنفعة ودرء المضره عن حد ما يحتاج
 اليه عن ذلك الاجتهاد منحصراً على نوع ما في الحاجة الذاتية من وجه
 ان الولد قطعة من ذات الوالد بل هو عين تلك الذات تقمصت رونق
 الشباب واعيدت خلقاً جديداً فهي تقوى به ما دام لها البقاء وتحيا فيه بعد
 اذ يدركها الفناء

فانضح مما تقدم ان الزواج واجب طبيعي لازم في بقاء النوع ملازم
 لحفظ الوجود ولعل هذا هو الاصل في جميع الاحكام القديمة المانعة من
 التبثل وطول العزوبة من وجه ان الذين هم على من تينك الحالين
 يكونون في مثل العزلة عن سائر النوع فنتمو فيهم العواطف الانوية التي
 لا تخرج عن حد قولنا « انا » فينشأ فيهم عن ذلك خلق الاثره الموجب
 للوحشية المعروف يجب الذات

فاذا نقرر ذلك لزمنا بيان حد الزواج وماهية ما يجب فيه وما يحق
 للزوجين وايضاح ما يترتب عليه من الحالة الوالدية والولدية وما يلزم في
 هاتين الحاليتين من الواجبات والحقوق

* فصل *^{هـ}

ظهر مما سبق ان حفظ النوع ملزم بالنتام الحسنين على الصورة المسماة زواجاً فذلك الانتام لا يكون الا بالارادة ولا يتم الا بالاتحاد فاذا حصل كاملاً تعين فيه على الزوجين ان يسعى فيما يعود بالفائدة عليهما جميعاً فان اتحادهما بالارادة يشبه ان يكون ميثاقاً على الاشتراك في اللذة والالم والصفو والكدر والسراء والضراء

غير ان حفظ النوع وان كان من الواجبات الطبيعية فلا يلزم الا حيثما لا يضر بالذوات شيئاً ولذلك وضعت للزواج حدود مبينة واوقات معينة في بعض القوانين وكان في الحالم الصغير والعاجز الكبير مكروهاً على الاطلاق

ولما كان حفظ النوع هو الغاية الطبيعية في التنام الجنس لزم ان يكون هو المقصود بالذات فيه فاذا جرد القران عنه عمداً كان بمقتضى الذموس الطبيعي جرماً ولذلك جاءت الشرائع الدينية بالنهي عن الزنا واقامت على مرتكبيه حداً من عقاب هذه الحياة علاوة على ما نعدم من عقاب الآخرة . اما القوانين المدنية فقد اتت بمثل ذلك على حين كانت قريبة العهد من الطبيعة فلما ان تقدم الناس فيما نسميه الفساة وتمددت رجع ذلك الحد من قوانينهم فناب الادب عنه في ذري النفوس الزكية والاخلاق الكريمة والعلم الصادق

واتضح من هذا الذي قدمناه ان الزواج ميثاق اشتراك واتحاد يبرم بين الجنسين قضاء لواجب حفظ النوع فهو من هذا الوجه وعلى هذه الصورة واجب لازم بالذات كما يوءخذ من مآل الحديث الشريف « زوجوم فان لا تفعلوا تكن فتنه في الارض وفساد عريض »

فاذا نقرر ان الزواج ميثاق مبرم بالارادة لزم من ذلك ان تعد مخالفة شرطه من قبيل الخيانة . فهذه الخيانة تكون في جانب المرأة افطع منها في جانب الرجل من حيث انها (١) تقضي عليه بان يعول الولد (٢) في حالة كونه ليس منهم في شيء فهي لذلك من موجبات نقض الميثاق في كل شريعة مأثورة الا ان ذلك النقض يكون في بعض الشرائع طلاقاً وفي البعض فصلاً وابعاداً ليس غير

فالطلاق حكم بعيد لكل من الزوجين حرته الذاتية بحيث يحق له موافقة من شاء بمثل الميثاق الاول والفصل قضاء يفرق بين الزوجين حساً مع بقاء الصلة المعنوية بحيث يكون الزواج محظوراً عليهما جميعاً وليس من شأننا بيان حدود الطلاق وشروط الفصل على ما وضعت في الشرائع والقوانين المرعية فذلك يخرج بنا عما التزمناه من الايجاز في هاته المباحث ولكننا ننظر الى ميثاق الزواج من وجه الحقوق والواجبات الطبيعية مجرداً عن كل عقيدة دينية تحيزاً في موضوع البحث وحدود المطلب .

فالزواج من هذه الحيثية عقد معلوم الشرط والعقد المشروط فيه لا يلزم الا ما دام شرطه محفوظاً فان ضيعه احد المتعاقدين او ابطله او امله عمداً كان الآخر في حل من العقد وهو الطلاق على اختلاف انواعه تجيزه بعض القوانين المدنية بعد ظهور موجه ووضوح وجه الضرورة فيه وتأمين الولد من سوء عقباه . وتحمله بعض الشرائع المطهرة صادراً من جانب الرجل ليعيب معين ومصالحة ظاهرة بعد وفاء النقد على انه

(١) اي المرأة

(٢) غير الشرعيين

ابغض الحلال الى الله . وتقف به بعض سائر الشرائع والقوانين عند حد الفصل على ما ذكرناه اعتقاد انه مما عقد الله على لسان رجال الله ولن يحل لانسان حل ما عقد الله او مخافة ان يقوَّض به ركن البيت وبفسد الولد بافراق الوالدين ولكل ادلة من النقل والعقل فيما يختلفون عليه

✽ فصل ٦ ✽

بالزواج يحصل النتاج فتشأ عنه السلطة والواجبات الوالدية وهي وسيلة استمرار النوع . فالنتاج موءدى الطبيعة البشرية واستبقاء المولود متعين على الولادة فهو واجب تفرضه طبيعة الاشياء فلا مفر للوالد منه ولا عذر له في القعود عنه

وقد وضع الحد في بعض القوانين على الذين يبنذون ولدهم ولا شك ان اهمال شأن الولد بعد الولادة يكون من ذلك القبيل فان دعوة الموجود في عالم القوة الى الوجود في عالم الفعل لهي الميثاق على حفظه بتيسير ما يحتاج اليه وانماء قواه البدنية والعقلية الى ان يشتد ساعده فيصير كفوا لذاته فمن اهمل ذلك بلا موجب من الطبيعة ومن اقدم على تلك الدعوة مع تحقق العجز عن المترتب عليها فقد ارتكب ذنباً يشبه في بعض احواله القتل

فاذا تبين استبقاء الولد من احكام الضرورة الطبيعية ثبت انه لا يوجب السلطة في جانب الولد الا بمقدار وجود تلك الضرورة ولذلك فالواجبات الوالدية تنتهي من الوجه الطبيعي ببلوغ الولد سن القوة والرشد فلا يبقى بينهما من بعد ذلك الا رباط الهيئة الاجتماعية والالفة البيتية كما سنينه في مكانه

وما يُقدم يعلم ان استبقاء الولد بانماء قواه البدنية والعقلية من الاحكام اللازمة في حفظه فالولد كائناً من يكون وفي اية حالة يكون

ما هو من قبل طبيعة الوجود يحفظ مولوده وتوجيه العناية اليه وسد حاجته الطبيعية بالغذاء والوقاء وانماء قوته العقلية بما يلزم من العلم والجاهة الى قبول ذلك منه ان اباه ولذلك وضع الحد على مسقط الجنين عمداً وفرض العقاب على قاتل مولود وحكم بالقصاص على النابذ وتقررت في الكثير من هيئات الاجتماع الزامية التعليم

على ان هاته الواجبات وان كانت كثيرة الفروع ثقيلة المحمل عظيمة التبعة فلا ينبغي ان تعدل بغير اهل الثروة عن الزواج والنتاج فانه لم يفرض على كل والد ان يجعل مولوده من ذوي المقامات السامية وارباب الثروة الوافرة واهل العلم الواسع وانما يلزمه القيام بالضروري من حاجاته الحيوية واصلاح شأنه واعداد حسن المال له بما تصل اليه يد الامكان قال منتسكيو حكيم الفرنسيس : على الوالد ان يطعم الولد ويحميه ويحسن تربيته وليس عليه ان يجعله ذا ميراث . اهـ

ولرب ما هن فقير وفاعل لا يملك نزوى فقير بث في قلب ولده روح الشهامة والاسنقامة ويعنى به ما استطاع انماء واصلاحاً فيكون في ذلك افضل واحسن سعياً من غني يهتم بالميراث ولا يهتم بالوارث

هقد مر بنا ان الواجبات الوالدية لا تقف عند حد الغذاء وسد الحاجة البدنية ولكنها شاملة لتهديب الفكر وانماء العقل - وبعبارة اوضح - ان للانسان من حيث انه حيوان وجوداً بدنياً ومن حيث انه ناطق وجوداً عقلياً فمن دعاه الى حيز الوجود بالفعل فقد وجب عليه حفظه في الحالتين وبناء على ذلك فالتعليم فرض واجب على الوالدين بلا استثناء الى حد ما يستطيعون . ومن المعلوم ان الحالة المدنية قد وسعت النطاق الضروري من العلم بما نشأ عنها من تفرع الحاجات وتنوع الحالات حتى عز على كثير من الناس ان يبلغوا بولدهم حد اللازم من المعرفة والضروري من العلم فصار من الواجب على هيئة الاجتماع ان تعينهم على ذلك بانشاء المدارس المجانية فقامت الدول المتقدمة بهذا الواجب فلم يبق

فيها للوالدين من عذر في التناقل عن تهذيب اولادهم فان فعلوا عنادا
 او عمى قلب تعين على الهيئة الخائكة المختارة ارشادهم الى الواجبات
 الطبيعية بالدعوة والحث والاعزاء والالزام يجب عليها ذلك من وجه ان
 المولود ليس ملكاً للوالد يتصرف فيه كيف شاء وانما هو لله علة الوجود
 ثم لنفسه ثم لهيئة الاجتماع وهذا هو الاصل في قوانين التعليم
 الالزامي .

ومن الناس من لا يجد للسلطة الوالدية حداً فيحسب الوالد حراً
 فيما يجب عليه للمولود يفعل من ذلك ما يشاء ويهمل ما يشاء ولا
 يسأل عما يفعل . ومنهم من يقول ان الولد ثمرة الولادة فمن ملك الشجره
 فقد ملك الثمر يريد تقرير استعباد المرأة واستبداد الوالد
 ومنهم من يعد سلطة الولد قبلاً من استبقائه للمولود

فهؤلاء جميعاً يرومون تأخير هيئة الاجتماع

وارجاعها الى ما وراء قرون الظلمات

الى العصر الذي كان فيه الولد

ملك الوالديه ويتصرف

في وجوده استعباداً

وقتلًا وكيف شاء

الى عصر الخشونة

والجهل الى زمن

الاستبداد والظلم

الى عهد الحيف

والفساد فقل

يا اهل الظلمات

حذار فقد جاء

ملك الانوار

وكتب في رثاء المغفور له الحاج حسين افندي بهيم احد عيون
 الاعيان المسلمين في ثغر بيروت وقد توفي ثالث وعشرين
 صفر سنة ١٢٩٨ و٢٤ كانون الثاني سنة
 ١٨٨١ فقال بعنوان

خطب عميم

لمثل هذا الخطب بعد التأبين والرثاء ولمثله يدخر النوح والبكاء
 فنج بما يثير الحزن ويعث الوجد ويترك في القلوب صدعاً وابكراً ما
 استطعت بكاء وما وجدت في العين دمعاً فقد رزى الفضل بمن كان
 من اعظم اهله غناء واحسنهم وفاء واكرمهم خلقاً وسمتاً واطيبهم حياً
 وميتاً.

مات الحسين فيا لها من نكبةٍ اضحى بها الاحسان منهدم الذرى
 مات الحسين فتقوض ركن الفضل وانثل عرش الادب وافل نجم
 المجد وانكسف بدر الجمال فناحت ارض بيوت باصوات الانام وبكت
 مساوفاً بمقل الغمام

ولئن بكيناه وحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر
 فليثله جرت الدموع دماً ولمثله نفدت فلم تجر
 وقد استاثر الله به كريماً محموداً طيب الآثار فانتشر نعيه في
 المدينة فارتجت له دهشة واضطراباً واقبل الناس على داره مسرعين
 مسترجعين لم يبق الحزن في وجوههم ماء ولم يترك البكاء في اعينهم

دمعاً فودعوا منه فقيداً عضداً لقوم ونصيراً لآخرين وحبيباً محبباً اليهم
كلهم اجمعين

وسارت المدينة في جنازته ظهر الثلاثاء يتبع الغني فيها فقير والكبير
صغيراً والرئيس مرءوساً والشريف مشروقاً والغريب بعيداً والنسيب غريباً
حتى تساوى به ساكن هذه الارض على كونهم درجات بعضهم فوق
بعض كأنما فسخ الملك بصور وكأنما يومه يوم الشور حتى وصلوا به الجامع
الكبير محمولاً على اكف الوجهاء من اهل الاسلام والنصرانية ممن الف
بينهم الخطب وجمعتهم المصيبة فيه يخترقون الالوف ويمرون بين الصفوف
تقدمهم تلامذة المدرسة الخيرية بالبسة خصوصية منهم حملة القرآن
الشريف ومنهم المعددون النائحون ومن ورائهم تلامذة المكاتب الرشدية
ومائتان وفوق ذلك من العساكر النظامية ثم رجال الشرطة جميعاً ثم
مشايخ الطرق واهل القراءات يذكرون بالله ويكررون لاحول ولا قوة الا
بالله ومن ورائهم النعش يسمعون له صريفاً

وليس صريف النعش ما يسمعونه

وايكنها اصلا ب قوم تقصّف

ثم تلقاه على باب الجامع افاضل اهل العلم فحمله الى داخل المقام
اجلالاً ولم يتفق ذلك لاحد من قبله ثم تلي بعد الصلاة عليه ما نظم
الشعراء في ليلتهم من الرثاء له فحصل من ذلك ديوان لا يجمع لغيره
في شهور واعوام ثم خرجوا به الى المدفن فبكت السماء عليه نازعاً اليها
ثم ابتسمت له وافدا عليها وواروا منه في التراب بحرا واسكنوا منه في
الارض بدرا والناس من حول الضريح صفوف كبيرة من كل وجيه
ونبيه من اهل الاسلام وسائر الملل منهم امراء العسكرية وروءساء الملكية
وقناصل الدول وكبار التجار وجماعة من وجهاء الغرباء عن البلد
اتوه لقضاء هذا الواجب

وجملة الامر ان مشهد الفقيد المشار اليه يشهد بمقدار اسف الناس

عليه الهمة الله في مصيبتيه صبراً وكتب لنا بذلك اجراً فانه
عمت مصيبتيه وعم حداده فالناس فيهم كلهم مأجور

✽ اجمع من ترجمة حاله ✽

ولد رحمه الله عام ١٣٤٩ للهجرة وقراء العالم العقلية والنقلية على
العالمين الفاضلين الشهيرين الشيخ محمد الحرت والشيخ عبدالله خالد واتجر
من بعد ذلك مدة يسيرة ثم هجر التجارة في الخامسة والعشرين من
سنه الى مقامات المجد والفضل فصار عضواً في مجلس ايالة صيدا الكبير
وتوجهت عليه من لدن الدولة العلية رتبة عليية ثم كانت حادثة عام
١٨٦٠ فصار عضواً في ديوان « فوق العادة » علاوة على عضوية المجلس
الكبير وانتخب بعد التشكيلات عضواً فخرياً لمحكمة التجارة فوفى هذا
المنصب حقه من العدل والنزاهة ولين الاخلاق وسافر في خلال ذلك
الى الاستانة اول مرة ولما ان عاد منها توجهت عليه رتبة مولوية ازمير
ثم صار عضواً في مجلس ادارة اللواء ولما وضع الدستور الاسامي وفتح
مجلس النواب انتخب عن سوربه فتوجه الى الاستانة على ما فيه من
نخافة البدن ثم لم ياخذ الراتب المعين للنيابة وانما تركه للاعانة الحربية
وبعد ان عاد من العاصمة بقليل تشكل مجلس البلدية فكان رحمه الله
من اعضائه ثم انتخب ثانية للنيابة عن سوريا فنعه من قبول ذلك
موانع خصوصية لا ترد. ثم عرض عليه مقام الافتاء في بيروت وغيره من
المناصب السامية فتباعد عنها جميعاً

وكان عفا عنه الله عظيم العناية بالادب شديد الغيرة على وطنه
مقدماً عالي الهمة في كل مهمة وملمة جريئاً في الحق لا يرهب فيه
وعيد ظالم ولا تاخذ له لومة لائم لين الجانب كريم الاخلاق مقصوداً في
كل مآثره مذكوراً في كل محمده انتخب مميزاً للجمعية العلمية السورية
ثم ولي رئاستها بعد وفاة رئيسها الاول الامير محمد ارسلان وكان له

نظم رشيق مطبوع ينزع فيه الى النكتة وحسن التضمين وجزالة اللفظ
 وله رواية غراء وارجوزة وطنية ادبية تليت في الجمعية العلمية
 وكانت وفاته طيب الله ثراه واكرم في جواره مشواه في السنة
 السابعة والنصف من يوم الاثنين ثالث وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٨
 بعد ان اوصى بان يطلب السماح عنه من الناس عموماً ولا سيما الذين
 لم يقابلهم من العائدين فتودى بذلك في الجامع وكانت جنازته على ما
 ذكرناه في خبر الوفاة والمشهد
 وصار محموداً الى ربه رحمنا الله واباه

وله في غيبته فقيد البلاد الفرنسية من كلام له على خطاب
 القاه ذاك الرجل الشهير عام ١٨٨٠ وكان رئيس
 نواب الفرنسيين اذذاك

قال

نفس عصام سوّدت عصام وعلمته السكر والاقداما
 صار هذا الرجل واسطة العقد ومركز الدائرة في امته لم يرفعه
 الى ذلك المقام عهد سابق ولا عصبة غالبية ولا نصير ولا اتفاق عارض
 وانما اعلاء لسان ناطق بمجيز البيان واقدام شاهد بثبات الجنان ودرية
 يستميل بها الالباب وحكمة تجتمع عليها الآراء ويقول اعداؤه من
 الاحزاب الملكية وغلاة اهل الحرية بلغ هذا الدخيل مقاماً لا ينبغي
 لاحد في هاته الدولة فانتهى اليه النهي والامر وقصر عليه النقض

والابرام وصار الملك الحاكم وان كانت الدولة جمهورية والرئيس المطاع وان كانت العصابة ديموقراطية . وما يطعنون عليه في ذلك شيئاً ولكنهم يشتون له الفضل ولا يشعرون فانه لا يوءخذ على الوجه النبيه ان يكون في القوم صدرًا ولا يلام على الراشد الخبير ان يكون في الراكب دليلًا ولا يستدرك على مثل غمبتا ان يحصل في امته رئيسًا الا اذا عدت النباهة ذنبًا وحسب الرشد جرماً وكان الفضل شيئاً اداً . وكيف لا تجتمع كلمة الاحرار على رجل يكشف عنهم انعمة في كل ملة وينهض بجمل الخدمة في كل مهمة . على القائل للامبراطور انت العدو اللدود ولم يخش نسرہ منشبًا اظفاره في القلوب حاجبًا بجناحيه اشعة الانوار عن البصائر والابصار . الراتي ببركة الهوا رسولاً الى حاية القلاع لم يرهب قنابل العدو موجهة اليه مطلقة عليه . الصائح بالمارشال مكاهون وقد اراد بالجمهورية شرًا لا بد من الامثال او الاعتزال . الصادع بما تأمر الوطنية ابان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الحربه على اختلاف الشيع والاحزاب القائل غير تارك لاحد مقالاً . الفاعل غير مبقٍ لناقدٍ مجالاً . الخطيب يهتز له المنبرُ وتقاد اليه كلمات السحر متداركة متسابقة آخذًا بعضها برقاب بعض يقف وقد احدثت به الابعار وحوّمت عليه طائرة الانكار تلمس منه مطعناً ومحل اعتراض فيجبل عينه « الكريمة » فيهم ويلقي على المنبر يسراه ويرفع اليهم يميناه وقد سكن التمركون وانصت المتغمضون فيتدفق بالكلام تدفق السيل من بين الجبلين وقد صار المعترض مريدًا والناظر اليقاً والعدو صديقاً فما نتمنا من قبله الرعد ناطقاً ولا راينسا الليث متكلاً ولا شهدنا الجبل متحركاً ولا انحصر البحر في منبر نسمع حركة هياجه ونبصر فيه تلاطم امواجه

ولقد اطلنا في وصف هذه الاعجوبة الانسانية وما ندرك فيها الغاية

ولا يبلغ منتصف النهاية والقصد ان يظهر شأن غمبتا في امة الفرنسيين
 وانه هو الاول فيها^١ والآخر والمطاع في الباطن والظاهر فاذا قال فالقمة
 الغالبة منهم هي الناطقة بلسانه المعربة عن قصدها ببيانه

✽ وقال في ✽

حقوق المرأة

« لجريه مقدم لا يخاف السيوف وان كن عيوننا ولا يخشى »

« النبال وان كن جفوننا »

مهلاً ياسيدي الشيخ . لا تنظرنّ اليّ شزراً فلست زير نساء يروم
 المطارحة او المفاكحة او الاغراء او الاطراء التماس الزلفي اليهنّ بما يرضيهن
 ولا يرضيك . ويا صديقي خدن الغايات لا يبرقنّ بصرك ارتياعاً فاني
 وان لم اكن منقطعاً مبتتلاً فلا اريد المزاحمة ولا المداحمة ولا المحاشرة
 ولا المناظرة . ويا مولاتي العجوز المبعجلة . نسيت فيما اقول جمال ماضيك
 ولا ذهلت عن جلال حالك . ويا اميرتي الفتاة الزهراء ما اهملت موجود
 حاضرک ولا اغفلت موعود ما لك

ويا ايها الاحزاب جميعاً اني غير هازل وان هزل الزمان وغير هاذر
 وان افاد فيه الهديان

وبعد فلا يحسبني الفاضلان اللذان تناظرا في النساء « بالكلام مجرد
 الكلام » في منتدى المدرسة الكلية متعرضاً لشيء مما ذكره ولكن لا
 يداخلنهما الظن باني اتقبضت عن ذلك بما اصاب بقرير النبيه البر

افندي المدور على تلك المناظرة فاني معترف لها بالمزية من قبل ذلك التقرير ومن بعد عالم علم اليقين ان كاتبه اراد خيراً وانه بريء مما اخذ عليه وامت في ذلك راجحاً بالغيب ولا مستخرجاً من القول ما لم يرد قائله ولكن صاحب التقرير كتب الى هاته الصحيفة يقول " نشرت في لسان الحال تقريراً وجيزاً نلى المباحثة التي جرت بين الاديبين الفاضلين يعقوب افندي صروف و ابراهيم افندي الكفروني في الرجل والمرأة ثم رأيت في تلك الصحيفة ردّاً اتى فيه صاحبه من الثريب عليّ" ما لم استوجب منه شيئاً وما لم اكن اتوقع من اتبه ومهما يكن من الامر فليس من قصدي المناقشة وتحمير الوجوه ولكن اقول ان صاحب هذا الرد قد اخطأ مرادي فيما قررت فاني لم اقصد الوضع من شأن احد المتباحثين كما ظن ولا التعرض لتفضيل احدهما على الآخر وانما اوردت حكمي في نفس البحث الذي كان كلام السالب فيه اقوى وبرهانه اوجه لما ان الوجه نفسه اقوى واصح ولذلك جاءت براهين الموجب ضعيفة في الغالب من جانب ضعف الوجه لا من حيث انه قصير الحجة او قاصر المعرفة . واما قوله ان لا بد في الترجيح بين الطرفين من كون الزاجح اعلم منهما جميعاً فمع اقراره فيه باني لست من اقراءهما ولا ادعي في العلم مبلغ صاحب الرد اذكره ان المسألة التي كان فيها البحث ليست من المسائل العلمية التعميية وانما هي من المطالب الادبية العمومية التي يتأتى الحكم فيها لكل احد بعد سماع براهينها من الطرفين . واقتصر من البيان على هذا القدر امثالاً لما نصيحي الاستاذ في آخر الرد ووقوفاً عند الحد الذي رسم متبرئاً مما نسب اليّ من سوء القصد "

رحماني فقد خرجت عن موضوعك الرفيع الى غير المقصود منه ولكن لا جناح عليّ ولا تثرير فانه لا بد لمن يتجرأ على مس الكاغد لتزيينة باسمك الشريف ان يظهر قبل ذلك من كل شبهة وريبة فان لم تقبلن هذا القول عنرا قلت موضوعك شامل عميم اراه

في كل شيء وارى كل شيء فيه فالخروج عنه من جانب دخول اليه
من الف جانب والشغل عنه من جهة شغل به من سائر الجهات

فاذا تمهد بذلك سبيل المغفرة قلت اروم بيان حقوق المرأة ايماً
وزوجاً واما لم يدعني الى ذلك داع من جانب القلب ولم يهدني سبيله
دليل من قبل الفكر ولكن رأيت فيه فصلاً شافياً جديد الوضع ظاهر
النتع للفاضل (ليكوفه) الفرنسي فعبته ما استطعت وما شاء المقام
خدمة للاباء ونصيحة للازواج وهدية لسيداتى النساء جميعاً

قال الفاضل المشار اليه : ان مسألة النساء موضوعة في هذه الايام
موضع البحث في التياتر والكتب والجرائد والمنابر وان كثيراً من اهل
النظر والنقد في كل مكان يطلبون او يعرضون اسباباً لاصلاح شأن
النساء حتى ان جمعية العلماء وضت خمسة آلاف فرنك جائزة لمن
تحصل له الاجادة في هذا البحث ولذلك رأيت ان اجرد المساله عن
الابحاث المتنوعة ملتصاً وجه الحق والامكان في موضوعها الاصلي وهو
المساواة فاقول :

اول ما يعرض في هذا البحث تعريف « ما هي المرأة » وهو سوء ل
مهم دقيق من حيث ان بقيت المسألة متعلقة به مترتبة عليه . فلنعد الى
الماضي عساه ان يعيننا على هذا التعريف

كان في معلوم قديم ان المرأة « ملحق » لرجل « حاوي خبر » ونراها
عند القبائل المتوحشة تحمل الاشقال وتعقل السلاح وتنهض بفادح
الاعمال فهي فيهم بمنزلة « خادم الرجل » وقد سئل سائل في مجمع من
الروساء في القرون المتوسطة « هل للمرأة من نفس » واذا رجعنا الى
الفلاسفة والشعراء الاقدمين راينا بعضهم يتولون المرأة ملك كريم
وبعضاً شيطانات رجيم ولعلمهم جميعاً مصيبون ولكن ذلك لا يحصل به
الحد المطلوب

وقال منتسكيو في القرن الثامن عشر ان الطبيعة ميزت الرجل بالقوة

والعقل فليس اسطوته من حد سوى تلك القوة وذلك العقل وخصت المرأة بالبهجة فسطوتها تزول بزوالها وهو راي عجيب صدوره عن مثل هذا الحكيم فان المرأة بقضي ثلاثة ارباع الحياة قبل حصول تلك البهجة او بعد فقدانها فكانت هي موجودة " لانتظار موعود. وبكاء منقود " ليس غير

وزاد في ذلك روسو على كونه من القائلين بالنفس المجردة فقال المرأة وجدت لترضي الرجل فاذا لزمه ارضاءها فهذا دون ذاك وجوباً ان الرجل يرضي بمجرد كونه قوياً . واقول ما الذي بفعل الضعفا ثم بدت الثورة الفرنسية فانتصر للنساء رجلان من كبرائها فعارضهما في ذلك خطيب رهيب . عارضهما (روبيسيار) رسول المساواة الكبير الذي لم ينس من رسالته غير نصف النوع الانساني ثم جاء حكمهم الرجعة الملكية فقال حكيمها (بونال) الرجل والمرأة غير متساويين ولن يتساويا ابدا

وعلاصة هذه الافوال ان في السماء كواكب ثانوية توابع ليس لها من شان سوى الدوران حول الكواكب السامية على سبيل الخفارة كما هو شان القمر حول الارض فالمرأة على راي القدماء قمر الرجل ولقد يكون للكواكب الواحد من مثل المشتري بضعة اقمار وبعبارة اوضح ان القدماء يعرفون المرأة انها كائن عاقل منخفض الرتبة موجود بالنسبة ولكن هذا التعريف لا يليق بالقرن التاسع عشر . بل تقول جهارا ولا نخاف انكارا ان المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل فرفعها الى المقام الذي تستحقه لا يكون بمثلتها للرجل فان ذلك مفسد لطبيعتها مغاير لخلقها وانما يحصل بانائمها ونفديها استمرارا من جهة انها امراء بحيث توجد المساواة مع الفارق

هذا مذهبنا في المسألة وسنبعث عن وجه الحق والاكثاف فيه ناظرين الى الانثى من وجه كونهها فتاه اياك ثم زوجة ثم اما ثم امرأ

على وجه الاطلاق . اهـ

(وقيامًا بالوعد اعقب هذ الفصل بفصل آخر فإنا)

البنات

اما ترى في الحجرة مقعدا خشنًا عاربًا وقابلة او طيبيا متاملا مراقبا
ورجلا مغبر الوجه يدعو الله فشم امراه على وشك الولاده او ما تسمع من
نلك الحجرة صوتا غريبا يليه من جانب الحضور اهتمام وارتيك فهناك
مولود جديد يتسألون عنه فيقول قائلهم بنت ولطالما اسودت الوجوه
بمثل هذا القول في العصور الخالية بل سل اليوم عنه فلاحا ما يجيبك بما
جانبى مزارع بري توفى سالتة كم ولدك فقال " آه ياسيدي لا ولد لي وليس
عندي غير بنات "

وما احسب هاته العاطفة ناشئة مجرد احتقار واستخفاف ولكن الابن
في بيت الشرف والاماره هو الذي يصل النسب ويبقى الاسم بل نحن
الاواسط على اختلاف الدرجات لا نكاد نرى من سد حاجة الحب
الوالدي الا في مولد الابن فان كنا من اهل الصناعات رجونا ان
يكون متما لنا شرعا فيه او كنا من اهل التجاره راينا بعين الامل
متجرنا ناميا متسع النطاق باسم فلان وابنه او كنا من الفعلة علمنا
الابن مهنتنا واحيننا به الاسم . ولا يحسن الحرص على الاسم مقصورا
على الشرفاء فان للاواسط ايضا نسبا عاليا من الاستقامة اما مولد البنات
فلا يوجد شيئا من هذه الاماني بل الخاوف كثيرة فيه فان كل اب
بعيد النظر يتسأل يومئذ ما مصير هاته المولوده فان كان فقيرا خاف
عليها الشقاء وان كان غنيا خشى الالم المعنوي وان لم يكن لها من
باب رزق سوى الشغل الذاتي فكيف نصيب الكفاف في هيئة اجتماع
لا تكاد النساء يترزقن فيها ما يقين الموت جوعا وان لم يكن عندها
نقد (معكوس الوضع) فكيف بتيسر لها الزواج في هيئة قضت على النساء

بشراء الأزواج وان لم تزوج فكيف توفى العثار فان عثرت فكيف تنعش في مجتمع تمد فيه سقطاتها وتسجل واذا شاخت ايماً بتولاً فذلك موضع الوحدة والخمران والشقاء من جانبها ومحل الاستهزاء والانكار وسوء الظن من جانب سائر الناس فانهم يلتزمون لعذبتها على الغالب سبباً غير الفقر فيرمونها بالنزق وينسون موجه ويرشقونها بتكف العفة ويذهلون عن انهم بطارتها عابثون على انها تكفر هاته السيئات الناشئة عن طبيعة حالتها بالف مظهر من الاخصاص والشفقة فان وجدت في اهلها كانت بمنزلة الجدّة والخادمة المدبرة وان كانت مقطوعة الرحم اتممكت على فقرها بانحاء الزهور وتربية الداجن من الحيوان ومساعدة صغار الفقراء تعلمهم والايتماء تلبسهم وتكون بمنزلة الام لهم جميعاً

وانا لرى في حياة البنت ثلاث مسائل اولية الشأن « الميراث » و « التربية » و « التصبي » واما الميراث فلم يبق فيه محل للخلاف عندنا (الافرنج) بما حصل من السواء بين اثنا والذكور فيما يروثون

واما التربية فالعلم موضع الخلاف عايبها. ولقد كانت حجة الاثويين تكون هي الغالبة فيها عند الغربيين على اننا لا نزال نتمس للنساء نقدياً ولا نعدم من انفسنا جماعة من المعارضين يقولون اذا علمت الاثني زال عنها رونق الهجة فانها لا تأخذ بمجامع القلب الا لكونها لا تحتاج ولانها طائر يفرود وطفل يعبت وقلب يجب فكيف يحصل فيها الحب اذا هلت عنه بشواغل العلم . فنذكر لهم مدام دي سوينيه الكاتبة المشهورة مثلاً في اجتماع الامرين فيقولون دعوها وشانها فذهبكم ان لم يكن مفسداً خلق الاثني فهو ناقض للهيئة العائلية لا محاله فانه كيف يصاح شان الصغار ومن يعتني بامورهم اذا كانت الام ترصد الكواكب فالبنات على رايكم قد يكنّ عالمات ولكنهن لن يصرن ازواجاً ولا امهات . فكنا هم يحسبون شان الزوجة والام مقصوراً على الطباخة او نظارة الطاهي والخدمة

او مراقبة الخادمين واهتمام بالمصاحبة الحسية وامزجة اهل البيت بل لا
 يلغون هذا الحد فيما يرون وانما يصح بون ذلك الشان معموراً في الحب
 والضراعة والتعزية وما يعلمون ان للزوجة والام فوق ذلك شأناً اعظم من
 ذلك الا وهو الارشاد والتربية المستلزمان للمعرفة ولانه لام الاحيث
 يكون علم ولا زوجة الا حيث يكون عرفان . على انه ليس المراد من
 كشف امرار الطبيعة لافهام النساء ان تكون بناتنا جميعاً من علماء
 الفلك والطبيعة ولكن المقصود به اضاءة الباهن بانوار العلم اعداداً لمن
 للمشاركة في آراء الرجال وتعليم الاولاد ويذكر هؤلاء المعارضون
 مناسد تعليم النساء وينسون مخاطر الجهل وما تبتئس المرأة ضجراً الا
 انها جاهلة ولا تنفق لزوجها رزق شهر في شراء حلي ولا تقوده عند
 المساء الى الملعب مريضاً او مجبوراً الا بذلك السبب اي لانه حجب
 عنها العلم واغلق دونها باب النباهة فلم يبق لها الا سبيل البهرج والزيف
 فرب رجل هزأ بالعلم على كونه لو حصل لزوجته لكان منجاة له من
 العار .

وزاد الكاتب الفرنسي على ذلك ان لو فرض ان العلم لا يفيدنا
 من النساء شيئاً فهو من حقوقهن الواجبة علينا . اوليست الانثى من
 الخلق من عباد الله من ذوي النفس الباقية وان الحالة الزوجية والحالة
 الوالدية حادثتان طارئتان عليها يبطلهما الموت وتقطعهما الغيبة وتكونان
 في بعض النساء دون بعض وان لما فوق هاتين الحالتين صفة مقدمة
 عليهما جميعاً وهي الانسانية في هذه الصفة ومن هذا الوجه يحق لها لا
 محالة تهذيب فكرها وفوقها فان حال بينها وبين ذلك عارض من احكامنا
 اليومية فهي تطالبنا بتور العلم باسم الابدية

واما تعبي البنات فلا نرى من حاجة لتعريب ما قال فيه ذلك
 الناضل للفرق الذي بين حالتنا وحالة قومه في هذا الامر الخطير فهو
 عند الفرنسيين موضع نظر واهتمام من وجه ان قانونهم لا يوجب على

مرتبه حدًا ولا يلزمه احصان البكر التي جرّها الى الفاحشة وان تصابها بوعد
 الزواج خلافاً لما نص عليه عندنا في الشرع والقانون ولذلك نرى الفحشاء
 في بناتهم أكثر منها في بنات اوطاننا بل هي فوق الكثير عندهم ودون
 القليل في هذه الديار

الزوجة

قال الفاضل (ليكوفه) نقول ان الزوجة ونريد الزواج فهي اياه
 وهذا الموضوع اوسع من ان نحيط به في مثل هذا المقام فلا نغس منه الا
 ما يتعلق بسلطة الزوج

ونعلم ان الباحث في اصلاح شأن البنات يستميل اليه الاباء جميعاً
 فذاً حاول الزيادة في حقوق النساء فقد استغفر منه جميع الازواج ومع
 ذلك فاني اسوق الحديث الى هؤلاء راجياً هدايتهم الى اصلاح قانون
 الزواج بما فيهم من العدل والامان

ان سلطة الزوج تكون على الذات وعلى المال . فاما سلطته على الذات
 فقد كان موضوعها التأديب . ذكر لنا " بومنوار " قانوناً من العصور
 المتوسطة من حكمه " يحق للرجل ان يضرب زوجته على شرط الرنق " .
 وقد ابطلت آداب الاخلاق هذا الحكم في الدرجات العاليه من الناس
 الا انه لا يزال مرعياً نافذاً في العامة باخذون به وقد لا يحفظون
 الشرط ولكن لحسن البخت صار الرجل اذا ضرب زوجته فهي ترد اليه
 واحدة بواحدة جزاء وهذا من علامت النجاح ومع ذلك برحت اذكر
 اني سمعت سائق عربية يقول مشيراً الى السوط " هذا كفيل السلم في
 اهل بيتي فقلت له اتضرب زوجتك قال لا شك ولا ريب قلت وفيم
 قال هذا فرمي اسوطه اذا لم يجر قلت ان زوجتك لا تقاس بالفرس

قال وذمتي صدقت فانها اشد عبداً منه قلت ذر العناد اليس من النذالة ان ثور غضباً على امرأة قال تمهل يا سيدي اني اضربها ولا يسمي غضب .

فمن ذا يصدق ان الفيلسوف « سنيك » اجاب بمثل ذلك صدقاً كان يأخذ عليه شدة غيظه من العبيد بل لا غرابة في ذلك فان الاستبداد يرمي بسهمين فيصيب العبد بالظلم والمالك بالفساد

ثم ابان فاضلنا المشار اليه وجه سلطة الزوج على المال فلم ينكر ان لا بد لادارة البيت من رئيس فرد يكون فيه بمنزلة الملك في الامة ولا ينزع هاتاه الرئاسة عن الرجل ولكنه اوجب فيها التقييد وانكر الاطلاق فاعترض على قانونهم الناطق بان للرجل حق التصرف في مال زوجته ادارة وبيماً وهبة بلا اجازة ولا استئذان وان المرأة لا تستطيع ادخاراً ولا قرضاً كائناً ما كان ذلك القرض ولا هبة ولا قبول هبة ولا رخصة سابقة من الزوج في حالة كونه يأخذ ما شاء ويعطي ما شاء بلا حساب - قلت اعترض على هذه الاحكام - بما ينشأ عنها من المضار والمفاسد من حيث ان الرجل قد يكون دنيء النفس ضعيف الهمة ذا ملكة مفسدة من مثل القمار والسكر والفحشاء فيبيد متاع البيت ويضيع مال الزوجة ويحملها والولد في اسوء حال وما ذلك نادر الوجود في الرجال - ثم تصور لهذا الداء دواء يحسبه شافياً فقال اذا رأت المرأة من زوجها مثل ذلك الفساد فليكن لها حق رفعه الى مجلس من اهل البيت يكون نافذ الحكم وتتمكن ادارة البيت على مثل ما قال بلوترخوض لصديقه بوليتيانوس اذ التمس بعيد زواجه رايه في معاملة العروس فقال يا صاح ان اخترت الحكمة فاجعل حجرة الزواج مكان رياضة وشرف وعرفان فزين عقلك بكل نوع من المعارف الضرورية لزوجتك من كل جانب كما تفعل النحل واجاب اليها كل ما تحسبه مفيداً فانك الآن بمنزلة اميها وامها وما قول المرأة الفتاة لزوجها انت ناظري واستاذي في كل شيء

حسن باقل نبالة من قولها له انت الحبيب الاول . وقد يوجد من جهلة
الفرسان من اذا ملك جواداً كريماً راضه بداءة بدء على الركوع وهذا
مثل الأزواج الذين يقتنون بنساء كرائم من بيوت نبالة فلا يعنون
بجعلهن أكثر احتشاماً وافر علماء من ذي قبل بل يؤثرون على ذلك
تذليلهن من حيث يجب اهلاء المهمة ورفع النفس كما يرتفع راس الجواد
الكريم .

قال فاضلنا . واني اعرض هاته الحكمة لجميع الرجال فانها منضمة
لكل ما يجب عليهم فاذا تزوجت بنتاً فتاة فاعلم انك زوجها واستادها
معاً ومهد لها سبيل الادارة والحكم في الامور العمومية فانه من مستشع
الامور ان المرأة قاصرة في الرابعة عشرة من السنين وتكون كذلك
في الثامنة عشره فعلى زوجها ان يبلغ بها حد البلوغ بما يعلمها من
القوانين والاحكام ولا يخافن من ذلك ضعف الميل والحنو فان الحب
يوجب التساهل حتى في القانون

وبعد فلا بد للرجل من تصور زوجته ايما ارملة فانه قد يفاجئه الموت
فتصير اليها ادارة الامور فان لم تكن معدة لذلك بعلم سابق واخبار
سالف فلا تستطيع النهوض بهذه المهمة بخلاف ما لو كانت من
العارفات الخبيرات ولنا في ذلك مثال لا نساء ان وطنينا الخالد الذكر
المنقذ الوطن - يريد تيارس - قدمات بلا عقب يحفظ له اسمه ويحيى مجده
ولكن مات عن زوجة كريمة فكان بها الغناء فانها قوت ادارة ثروته
الوافره وحفظ مجده العظيم فنظمت بنفسها مشهداً وطنياً لميت لا يموت
له ذكر ثم رفع تمثاله في نسي فراست في الحفلة بمهابة الملكات واقيم له
تمثال آخر في سين جرمين فسارت اليه فالم بها ثم داؤها القائل ثم
جمعت اشقات رسائله وخواطره فالفت منها سفرًا جليلاً حتى ادا فرغت
منه واحلقت الصفحة الاخيريه ماتت مبقية عندنا ذكراً وعبره لا تموت وراينا
منها عظمة الارملة فعلمنا كيف ينبغي ان تكون النساء

ووقع في بيروت نزاع بين فئتين متضابقتين يعرف « بمحادثة الميدان »
 فقتل وجرح به نفر من الفريقين فقبض على المتنازعين
 واخذ في استجوابهم واستنطاق الشهود ثم شاع ان
 في اعمال الاستجواب والتحقيق ما يدعو
 الى الظن بانحصار القضاء في جانب
 التعصب وتناقلت الالسنه اقوالاً
 كثيرة في شان ذلك وكان
 خبر الحادثة مما لهجت
 به صحف الغرب بما
 جسسته لها الشركات
 التلغرافية فكتب
 ادبنا في هذه
 الحال ما
 يأتي

محل تأمل واعتبار

اثنان اهل البصيرة والبصر رجلٌ يعتبر بما يراه في ابناه جنسه وآخر
 لا يعتبر حتى يرى العبرة في نفسه فلا تكونن صاح ثالث الرجلين

ولقد رأينا الذين تولاهم التعصب والجهل والذين القيت بينهم الاحن والعداوات كيف طمع فيهم الانداء وتجاوى عنهم الاحياء حتى المنحنى الزمان عليهم وتوجه الحيف اليهم وانقلب عزم خسفاً وعاد حولهم ضعفاً وحفت بهم النوائب من حيث يعلمون ولا يعلمون

ولم نجعل ان العدو لنا بالمرصاد ينتظرنا الى فرصة ينتهزها وريسة يظهرها وعثرة بذكرها وثغرة يدخاها وعيب يجعل حرفه سرفاً وخطاه يمثل قطرته بجرماً فما بالنا نهمد سبيله ونرشد دليله ونمكّن له في ارضنا مقاماً .

ويقول بعض الوجهاء منا لا جناح علينا فيما تفعل السوقة وما يقترف الجاهلون . بل عليهم واجب الردع بالقول وبالفعل ما استطاعوا اليه سبيلاً فان ثاقبوا عنه فلا اقل من منع النفس ورد الهوى وكف اليد عن مساعدة الجاهلين . ان الباعث والفاعل والناصر شركاء متكافلون . لا نقول ذلك اطلاقاً ولا نخص به احداً من الناس فمن ظن نفسه معنياً به فهو اياه ان المرئيب كثير الظنون وان عينه لشكاة نقول خذون

وما يعشنا على هذا التعريض الموءلم واللوم العنيف الا ما نعلم من دخيلة الامر وما نخاف من سوء العاقبة فقد تجسم حادثنا الاخير في البلاد الاوروبية حتى عد من عظام الامور فهبط به سعر قرايطسنا المالية هبوطاً فجائياً على كون سائر القرايطس في مدارج الصعود ووردت الينا رسائل التفهرافات تباعاً دراكاً الى وكلاء الدول وكبار التجار واصحاب المقامات يسأل فيها عن كنهه الحادث وتفصيل الامر وهل هم من بعده سالمون كما نأهوه فتننة عامة وبلية طامة

ولا شك ان لم يكن موجب القلق والاضطراب من هذا الحادث في البلاد البعيدة قتل ثلاثة وجرح نفر من الناس وانما اوجبه ما اتصل بها من خبر الفتننة وهلة الخلاف وانه ناشيء عن تغاير المشارب وتعصب القلوب .

وانا وان لم نستطع دفع هذه التهمة عن كثير منا فانا نبرى منها
كثير من الراشدين ولكن لا بد لذوي الحل والعقد من الناظرين في
المهمة من تأييد ذلك برعاية العدل ومقاومة هوى النفس فيما يبحثون
وما يحكون

نأمل ذلك فيهم ولا نعتقد بهم ما يخالفه الا ان الذي نشناقله
اللسن من خبر الاستنطاق بضعف ذلك الامل فلولا العلم بعناية والينا
المعظم وحسن الظن بفضيلة مفش الاحكام خلفنا ضياع الحق وانتصار
الباطل وبقاء الخلاف على قدمه ودوام القديم على قدمه

✽ وكتب في ✽

القضاء والبراءة

« وكان قد حل زمن الانتخاب لمجالس بيروت فقال »

ان انفصال القوة الحاكمة عن القوة الفاعلة واستقلال الذين يتولون
الاحكام فيما يرون وفيما يحكمون وحصولهم في مأمن من كل ما يفعل
في النفوس ترغيباً او تهيباً كل ذلك ليس من مستحدثات الامور في
البلاد الغربية ولكنه قد وجد من قبل في كل زمان اضاء العدل
وكل مكان افاره العلم والحريه فاستقامت به الامور وتأييد الحق وضعف
الاستبداد وظهرت قيم النفوس وعلمت اقدار الافكار

وقد كان اهل القضاء في بلادنا على خلاف ما تقدم بيانه من
الاستقلال والانفراد واسباب النزاهة يعقدون الاحكام كما يرونم لا كما
يعلم وكما يجيء لا كما يجب ويدورون على محور الرهبة والرغبة كما تدور

الآلة الصماء غير المباليين بضياح الحقوق وفساد الامور وانعكاس الاحكام حتى ضعفت منهم النفوس وفسدت القلوب وسامت الاخلاق فصار الرباء من شروط وجودهم والدهان من لوازم بقائهم والنفاق من اسباب تقدمهم فرامت الدولة العلية استنقاذنا من هذه المفسدة رحمة بنا وحناناً فرسيت باستقلال المحاكم والمجالس على امل ان تعالو مهمم اعضائها بما يحصل لهم من حرية الرأي فلا تاخذهم في الحق رهبة ولا تسميهم عنه شهوة دنيئة فصارت محاكمنا على ما نرى من الاستقلال

ولكن لا بد في اهل القضاء من ثلاثة امور متلازمة لا يفني بعضها عن بعض علم يعصم عن الخطاء « ما امكنت العصمة لانسان » وادب يرد النفس عن الهوى وكفاف يوجب النزاهة فان حصلت في الحاكم هذه الخصال كان استقلاله قواماً لكل ميل وقصدًا لكل جور وصلاحاً لكل فساد ونعفة لكل ظلم وقوة لكل ضعف وهدى لكل استبداد والا فهو عين الفساد والجور والضعف والظلم والاستبداد والميل

ففي اي الخالين يرى البصير اعضاء المحاكم والمجالس في هذه الديار .

انا لا نلم بهم ولا نطعن فيهم ولا نزيط بانفسهم سواء فقيهم لاشك اهل علم وفضل وارباب ادب ونزاهة يعتقدون بما يحكمون ويحكمون بما يعلمون ويعلمون الحق ولا يغالطون

ولكنهم لا يعدمون من يكون على ضد هذه الاحوال ومن يحكم بما لا يعلم ومن يعلم بما لا يحكم فهو لاه وان اساءوا الى انفسهم بما وضعوا من اقدارها واخطاوا الى هيئة الاجتماع بما اضاءوا من حقوقها فلا توجه اللوم اليهم ولا نلقي التبعة عليهم وانما اللوم والتبعة على المتشخبين .

ان الدولة العلية قد ساوت بيننا وبين الامم المتقدمة فيما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات ولكنها لا تستطيع ان تعيدنا خلقاً جديداً

ان الله هو المبدى وهو المعيد . فمن اساء التصرف في تلك الحقوق فعلى نفسه
اساء ومن احسن فاليها

وقد حان وقت الانتخاب لبعض مجالس هذه المدينة فان كان
ثم موضع انتقاد ومحل اعتراض ومظنة فساد . فلينتبه المنتخبون ولتثنيه
الطوائف لجائناً من ذوي النقد والنزاهة يبحثون عن تلك الخصال الكريمة
ويعرضون من يجتمع فيه لارباب الانتخاب لا يراعون في ذلك غير
المصلحة العمومية ولا ياخذهم فيه غير الحق

ان انتخاب المعسر ليصيب الرزق مما يحكم بين الناس هو الخيف والظلم
واقماً على الوفاء من الخلق

ان انتخاب الجاهل ليكون كلالآلة السماء هو الوبال العظيم
والبلاء العميم

ان انتخاب الغني لمجرد كونه غنياً هو الاليم المصاب نازلاً بالاغنياء
والفقراء .

فلا يذهبن المنتخبون عن كل ذلك فان ذهلوا فلا عتب على
غيرهم ولا ملامة

وكتب في جمعية خيرية تألفت من بعض السيدات الميسنات

في بيروت فقال بعنوان

❀ احسان الحسان ❀

اعارك البدر مجياه وحياك الروض برباه . فست منك نسبات الربى .
سمرآ تجمل شيئاً وثاماً . وتمثت فيك ارواح الصبا . يتارجن بانناض الخزامى

ام انت مخبري بمكارم الكرائم ومبشري باحسان الحسان
اجل فصغ ما اقول لجيد الصحيفة عقداً ما تحلي بثله جيد حسنا
فاني منبتك وما ينبتك مثل خبير ان لمة من ذوات الايادي البيضاء
قد اجتمعن لمحمدة يذكرها الشاكرون وماثرة يشكرها الذاكرون فرأين
بنات جنسهن متخفضات عن المقام المعدلن في هيئة الاجتماع فتألفن
على السعي في رفعهن الى ذلك المقام فصرن جمعية لا يحيط بجبالها الوصف
ولا بقوى على وصف كمالها الاقلام

خطر ذلك بداية بدء للكريمة الخاشعة الزاهدة القائمة بامر الخير والعلم
والاحسان سائلة الوجهاء الراهبة ليبة جهشان فنقدمت فيه للنبيتين
الوجهيتين السيدة الخاتون زوج المغفور له لطف بك مرسق والسيدة اميلي
كريمة الوجيه خليل افندي مرسق فصادف ذلك عندهما قبولاً واقبالاً
ورغبة واشتالاً فاقبلت الثلاث عايه ودعون بعض الانراب الكرائم اليه
حتى تألف العقد من اربع وعشرين كريمة فريدة نزين باسمائهن هاتهن
الصحيفة

ثم اتى على ذكر الاسماء الى ان قال

وقد اكتبته الاعضاء العاملات براتب سنوي من الاحسان لذلك
القصد فكان مبالغ ما اجتمع منهن فوق عشرة الاف غرشاً وسيأخذن
في استدرار البر من ذوات النعمة وربات اليسار وصاحبات النفوس
الذكية فيحصل لا شك من ذلك ما يكفي للشروع في انشاء المدرسة
فيكون هذه الجمعية اثرًا حميداً نقر به كل عين وتنال منه الاناث حق
الذكور وان حصل للذكر حظ الانثيين

❖ وله في سباق الكلاب ببلاد الانكليز فقال ❖

سباق غريب

جرى في هذه الايام في بلاد الانكليز سباق صيادة الارانب وهو
عندهم بمثابة سباق الخيل والقوارب يخفون له في كل سنة . فقبل في
الغلبة اربعة وستون كلباً كما جرت به العادة يطلقونها زوجين زوجين
وراء ارنب يرسلونه امامهما والغلبة لمن امسكه . وعلى نحو ذلك يتسابق
الاثنان والثلاثون ثلاثة ايام متوالية ثم الستة عشر فالثمانية فاربعة حتى لا
يبقى في المجال سوى الاثنين الاخيرين . اما جائزة السبق فهي اثنا عشر
الف فرنك والربطة الزرقاء وهي وسام لهذه الكلاب لا نظنه اقل قدراً
في اهله من وسام ربطة الساق ولعل له من مثله نظاماً لا يتقلده بموجبه
غير عدد معين من الاحياء ولا ينقل في الاعقاب

وقد كانت هذه الجائزة للكلية « الاميرة دغار » ولا شك انها اهديت
من بعد السبق الى جلالة ملكة الانكليز وامبراطورة الهند . ان ملوك
الكلاب جديرة بان تكون كلاب الملوك

فالكل همهم السباق بارضهم حتى انكلاب لها هناك جوائز
وهنا الشقاق وذكر ايام مضت وعزائم مثل المشيب عواجز
ان قال ناصحنا الامين تجددوا حتى م انتم في الشؤون عجائز
صرنا النسر وما اختلفنا غير في قتل النصح اواجب ام جائز

❖ صدى آراء مصرية ❖

الدرهم الزيف

شادوا المنازل على آثار ثروتنا قصوراً واطلعوا في مساكنها من المصابيح
انجماً وبدوراً . نقبس من قلوبنا ناراً وتبشهم نوراً . فما فرى الشهر
الأسراراً . وما يرون فيه الا سروراً . مهلاً بني الشر لقد ملأتم القطار
جوراً وبجوراً . عرفناكم والعهد بيننا من الصدق ما لا تعرفون . انضاء
فاقة تتمسون كسرة ولا تصادفون . حتى مستختم دوداً علقاً تمصون دم الجهلاء
من حيث لا يشعرون . فعدتم من بعد فيلة تحتملون ما كانوا من قبل
يملكون . ثم اقامت في ظلال الامن تقولون لن ينبيه الراقدون

استغفر الله من قصد الربيعة في الابرار تعريضاً . واعوذ به ان
اريد اغراء او تحريضاً فما هو الا النذر اخلصه لابناء جلدتي تمحيضاً
ثم افوض امرنا الى الله والى اولى الامر فيما اصابنا من وبال التزييف
خصوصاً في بلاد الريف . فهي اموال معدودة . ودرهم منقودة . لا هي
معدومة فتتسى ولا هي في الواقع ونفس الامر موجودة بعدها المرء منا
كما بعدها المشعوذ في يديه فيراها الحاضر بعيني رأسه ثم تتعجب عن
عينيه . فكانها منصرفه عنه وهي لديه . فهي منه ولكن لا مرد
لها اليه

كما قبض الدينار في الليل حالمً واصبح لم يبق الذي كان قابضاً
فمن هو السارق ليحذو بقطع . ومن هو ذلك المشعوذ ليرد ويردع
ومن هو ذلك المحتال ليصد ويدفع . لا تنظر الى الفقير شرراً ولا تظن
بالخامل شرراً . ولا تكشف عن السوقي سترراً . بل قف الخليل العتاق

جارية بالعربات خبيبا . وعج بالقصور المشيدة عاقدة باطراف السعي
 سيبا . واهتك الستور الكثيفة منقوشة بموهة ذهبيا . وناك على تلك
 الاندية واحرباه . فهناك يجزّ رماح الشر . وثم يمرى سوابق النكر . وقل
 اعوذ برب الفلق . من شر ما خلق

ولقد خاف الناس على الحق ان تخفيه اموال المزيين فلا يسهم
 سوه بما كانوا مقترفين فسكن رعاك الله جاش الخائفين انا نامل في
 الحكومة املا اكيدا ونعلم ان للرأي العمومي تاثيرا شديدا وان في
 سويدانا رجالا لا يفرم وعد ولا يخشون وعيدا وبشر الظالمين بعذاب
 يوم العرض العتيد ان ذلك اليوم ليوم شديد

ضيف قليل الحياء

اذا انت اكرمت الكرم مملكة
 وان انت اكرمت اللثيم بمردا

موسيو شارم غبريال او موسيو غبريال شارم كما شئت وكما بقاياك
 الهوى اليك . اليك يساق هذا الحديث . جننتنا العام السائف زائرا او
 مستشفيا . واستنحنا من جبالنا بعد ما اصبحت في وادي النيل فلقيت منا
 وجوها صباحا تعد البشاشة للضيف فرضا ونفوسا كبارا تحسب الكرامة
 للغريب ديننا وقوما يبدون الفضل ويعيدون اكارم تحسد بهم الارض
 السماء وما تفصيل صفاتهم للناس الا كما مثل النجوم الماء فحسبت البشاشة
 صغارا وعددت الكرامة استعطافا ورأيت الفضل بمرآة ما فيك من
 النقص فالتوى معناه عليك فعدت يا مؤاجر القلم ترمينا بدائك وتنسل

تقابل صفو ما وردت من مائنا بكدورة اغتياك وسلامة ما تنسنت
 من هوائنا باعتلال — رويتك نقول وانت اكذب القائلين ان السوريين
 ارباب كذب وتفاق ودناة اخلاق لا مروءة لهم ولا حياء ولا هممة
 فيهم ولا خلاق تولاهم الخمول والكسل فمن استطاع منهم للسؤال سبيلا
 لم يلو على عمل . . كذبت ورب المروءة . وما هي ال فربة منك
 فقد رميت من قبل نزلة اليونان في مصر بمثل هذا القول فجاءك النذر
 من الصديق "جوسيو" ردًا ما كذبت او تكون من الخاسرين فاييت
 فدعاك للنزال يحسب ان في عروقك دم الرجال فتسترت باذبال فواجر
 العذر فلم ان مثاك لا يعامل معاملة الشرفاء فمضعتك باضوطار السياسة كما
 يصنع الانذال

ونقول ما رأيت اشد من السوريين تعلقًا بالخرافات والباطيل فتد
 شهدت منهم في القدس حلقة رجال من حول بائع صير وتمائيل يسومونه
 احدى الصور فلما اعيام الثمن المطلوب قطع الصورة اجزاء وباعها منهم
 باثمان مختلفة فأب هذا برأس وذاك بساعد وذاك بيد وذاك برجل
 مسرورين جميعًا متبركين . . . فهل استهزأ بك الترجمان يا موسيو شارم
 ام استهزأت انت بقومك ام رمت توفير الصنيعة فضربت بهذا الطبل
 علمًا منك بتهاوت ذوبك على الغريب

وتزعم ان رؤساء الدين منا اطمع الناس في الاموال واشدهم حرصًا
 عليها وافسدهم اخلاقًا واميلهم الى الشهوات واكثرهم تهتكًا في المحارم
 على خلاف ما يرعى في روم ساء قومك . فهل بعينيك عمى ام تحسب
 الناس عميانًا ام لم يخبرك من صحبت من ساقه الحمير وادلاء الموا . .
 انه ما وجد فينا من يظن باهل الرئاسة شرًا ومن يميل الى رأي اهل
 الشكوك الا بعد اذ وبثت بلادنا بياسد الاجنبي وبعد ان رأينا من
 الذين تمدح وسمعتنا من اخبارهم ما يعمي ويصم حتى خيل لنا ان الفساد
 فيهم عميم على كوننا اشد الخلق استمساكًا بما يدعون اليه

وتذكر بعض مخدراتنا بالسوء ابتهاجا وتورد في ذلك حكاية حال من
سفر بحر وصحبة فتى وتزلف والدٍ وغناء ولهان وضرب الحان وسائر ما
يهذو به اصحاب الحكايات وتعين بعد ذلك وتسمي اعتلائًا بقلة الحياء
فهللاً ذكرت يا ابن الطاهرة مكارم الكرائم حيث ديت وحيث شببت
وحيث نادبت .. فلا تخرجنا فتخرجنا من الذود الى الاقدام ومن
الجواب الى الخطاب انا نعرف منك ما لا تنكرون ونعلم ما لا
تجهلون

ثم طبعت كل هذا القول الهراء ياسقيم الطبع فاين تركت ماء الحياء
ومن اين جلبت لوجهك جلد خنزير

عفوا سادتي عما ترون بي من سورة الغضب ولكن هو الوطن والعرض
والقوم ومن ذا الذي لا يغضب لوطنه ان يهان ولعرضه ان ينهتك ولقومه
ان ينالهم لسان مبتذل ساقط لثيم . فقد عرفت هذا الرجل الذي
جاءكم ضيفاً نزيلاً واكرمتموه فجعل اعراضكم متاديل عرفته متلمساً على
ضفاف النيل ورايت من واجب الذمة والوطنية ان اعرفكم ما عرفت لكيلا
تضيعوا الفضل في غير ذويه .

فوضع الندى في موضع السيف في الوعى

مصر كوضع السيف في موضع الندى

وان اخذتني الحدة فيما ابنت من لومه ودناءة نفسه وسقم طباعه
فهي نار الغضب للوطن تثير بخارا يدبر القلم على هذا القرطاس . فقد
رايت ذلك المطبوع المعكوس في صحيفة (ريفودي دومند) وصحيفة
(لجبت) المطبوعة في مصر نتفاً من كتاب سيرد الي فاذا ذكر لكم
لكم فخواه

ويا موسيو غير يال شارم هذه اول رسائلي اليك تنوب عن يد
يقصرها بعد المسافة عنك فطلب نفساً انك التمت الشهره بين قومك بما
اقربت على السوربين والمصريين من قبلهم وان لاجعل لك بين قومي

* الاصلاح *

قال رحمه الله في هذا الموضوع

(١)

تبلغ الحاجة من المرء حد التعامي عن سائر الموجود فلا يلتبس الاها
ولا يرى الاقضاها فهي مدار مقاله ومجمر افعاله وغاية تما منه جانب
التصور وتغشى دائرة الخيال كما ملات شهوة الراح مجلبة الشارب التمل
فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه قال دا الساقى
ولا خفاء في حاجتنا الى الاصلاح وانه حديث نهارنا وسمير ليلنا
ودليل سير الاماني ونجم سرى الآمال فلا غرو ان نعيد ذكره اعادة
المحب لذكر الحبيب ولا بد ان نلتبس قربه التماس المريض لقرب
الطيب

ان اصلاح الاحوال واقامة الامور وازالة المفاسد واستجلاب المنافع
في البلاد المحروسة وان كان مما اوجبه عهد مؤتمر برلين فاننا نعود بالله
ان نلتبس من عناية دولتنا المؤهده العلية من هذا الوجه وبهذا
الايجاب انا رعية صادقون لا بداخلنا الريب في حسن مقاصد الدولة
ولا يخامرنا الشك في ارتياح نفسها الى الاصلاح اختيارا فاذا التمسناه
فما نطلب الا ما نوت ولا نطمع الا فيما ارادت ولا نذكر الا ما وعدت
وما نعلم انه من لوازم البقاء واسباب النماء

والاصلاح فيما نحن بصدده لا يكاد يقف عند حد ولا ينتهي الي

تعريف فما نخص به الاداره لاحتياج المالية اليه ولا نحصره في المالية لعدم استغناء القضاء عنه ولا نجسه على هذه الاركان الثلاثة لظهور لزومه في سائر ما تقوم به الحركة الحيوية في هيئتنا المدنية والسياسية فهو كلي عميم بقدر كلية الخلل وعموم الحاجة فحيث تري نقصاً او ضعفاً او اختلالاً او اعتلالاً او اعوجاجاً او موضعاً للكمال فهناك محل اصلاح .

ولا بد في الاصلاح من شروط تكون فيه بمنزلة القوه المبقية للموجودات وهي اخذ من الاصل وتمكين وتدرج وآفة الشرط الاول الرضى بالظاهر الموه في الباطن المشوه . وبلاء الشرط الثاني انصاف الوسائل . وداء الشرط الثالث التهور فيما لا تلائمه احوال المصكان ولا يناسبه استعداد السكان فاذا حصل موفرة هذه الشروط فهو المورد الضائع والفضل السابع والنعمة الكاملة والمنفعة الشاملة والا فهو مجلبة للبلاء ودعاء للشقاء

وما نجهد ان الدولة العلية ايدها الله لم ترجى الاصلاح المتوسر اختياراً ولم توجهل الاخذ فيه استنفاراً منه او رغبة في العدول عنه فانها تعلم علم اليقين انه اذا حصل لها موفور الاسباب مستكمل الشروط فلا يمتنع ان يعود بنا الى المجد الذي اضمناه والسودد الذي فقدناه والقوة التي استبدلناها بالضعف والعز الذي رضينا من بعدها بالخسف وانما صبرت عنه اضطراراً الى ان يخلو لها الجو من الموانع فقد كانت ولا خفاء في ذلك بين امور عظام ومشاكل جسام في موقف ضنك المقام تدافع الاعداء وتجارى الاحباء وترعى للضروره احكامها متقلبة بين اليمين والشدة والبسط والقبض والجود والامسك على حسب ما تقتضيه الاحوال لتنجو من العوادي وتخلو من العوارض فتتعكف على شأنها الداخلي انعكاف المتفرغ الخلي حكمة لا تخفى على ذوي الالباب وقد نجت من تلك العاديات وازالة تلك العوارض الا قليلا لا

يمعجز ولا يرد ارادة فقضت مسألة الجبل الاسود وحسنت نازلة اليونان بعد اذ فضت مسألة المرسك وبثناق وقررت امر البلغار والروملي وازالت خلاف خوتور فصار امر الاصلاح في جانب الامكان فجاز لنا النظر فيه بما توجهه الوطنية وحب الدولة العلية وما جادت به علينا اعزها الله من حرية الرأي فيما لا يخرج عن حد القانون . على اننا لا نطابق النظر فيه من الوجه العمومي الا لمحة تكون بمقام التمهيد لما سنحاول من بيان طرق الاصلاح فينا اختصاصاً فان لذلك التعميم رجالاً ظهرت لهم منه الخفائق ولم تحف عنهم الدقائق . وبعد فالذي يقال في جزء من البلاد المحروسة يصبح في الكل الا في فروع وتفاصيل لا تتمع من هذا الاطلاق

(٢)

ينظر الى الاصلاح المطلق من ثلاثة اوجه السياسة والمدنية والاقتصاد الاجتماعي وفي الاول مالية وادارة وقضاء وفي الثاني معارف ومساواة وحرية وفي الثالث امن ووقاية اعمال وتوزيع اشغال وتحت هذه الابواب فصول تحيي في عرض الكلام عليها

فللمالية وهي قوام الملك وايد الدولة ومفتاح الاصلاح وعماد الاعمال منوطة باطراف جميع ما يتبعها من مواضع الاصلاح فما تنتظم امورها ولا تنسج مواردها ولا يزال اختلالها الا بحسن الادارة واستقامة القضاء وعموم المعارف ومحصيل المساواة وظهور الحرية وثبوت الامن وتفرق الاشغال بالعدل فالنظر في هذه الابواب عائد اليها لزوماً

اما القضاء فاول الحاجة فيه اتساق القوانين وكفاء الحكام . فاما القوانين فهي عندنا وافرة كثيرة الفروع تكاد لا تحصى ولا تحصر فمنها

القديم ومنها الجديد ومنها الموقت ومنها المشروع ومنها الموضوع ومنها الاوامر
 والمهمات وهي بالجملة مبنية على العدل والحكمة مأخوذة عن احكام السابقين
 الى غايات الكمال السيامي فيما لا ينقض النص الشرعي فما يلزم فيها غير
 الجمع والحصر لدفع اللبس ومنع الاحتيال وتنسيق ما بيني عليها من
 الاحكام فان ذلك التعدد فيما لا بد من الوحدة فيه موجب للخلل وضياح
 الحقوق والجهل بمواضع الحكم واذا لم يعلم المحظور فكل منقول جائز واذا
 لم يعرف الجائز فكل مفعول محظور . واما كفا الحكم فهو لا شك اعسر
 من ذلك مثلاً فان الكفا فيهم يقضي بالعلم بالاحكام واستقلال
 الخاطر وعفة النفس وهي شروط قلما تجتمع في عدد كثير ممن لم يدخلوا
 باب مدرسة قانونية ولم يألفوا مظاهر الحرية ولم يروا للعفة من مزية
 والعلم لا يحصل الا بتعليم والاستقلال لا يكمل الا بعبادة والنزاهة لا
 تسهم الا بمكافأة فلا بد لحصول الكفا في حكامنا من انشاء المدارس
 لعلم القوانين وتعويد الحكم حرية الرأي وتقديم ذوي العفة والنزاهة
 منهم ثم لا غنى مع ذلك عن تأييد تلك الحرية بصيانة اربابها عن
 الحيف وتمكين هذه العفة بوقاية اصحابها من الفاقة بمعنى ان يوه من القضاة
 الاحرار من النكبة ويضمن للنزاهة مداد من الرزق

واما الادارة فلا شك في صعوبة اصلاحها لتعسر الوقوف على موجب
 الخلل وعلّة الفساد في كل فرع من فروعها الكثيرة ولان العمال والحكام
 والامرين والمامورين على اختلاف درجاتهم لا يتبعون في اعمالهم قانوناً
 مخصوصاً بها مرعياً فلم يعلم مقدار حقهم ولا يعرف حد واجبهم ولا تلزمهم
 تبعه الا فيما يروم الرئيس . وذلك موجب لتاخر الاعمال وضياح الحقوق
 وتبدد اموال الدولة واخترال السلسلة الادارية وضعف سطوة الرؤساء
 من كبار المامورين الى الوزراء وما يفيد فيه تغيير العمال وتبديل المامورين
 فطالما جرى ذلك فما ازال خلاً ولا اظهر نفعاً وانما يجب تبديل الهيئات
 مع تغيير الذوات وتعيين المسئولية وتحديد الواجبات في الفروع والاصل

والاطراف والمركز بحيث يكون كل عامل مسؤولاً عما يعمل من طرف
السلسلة الاخيرة الى طرفها الاول فتحصل بذلك وحدة الحكم مع حسن
التوزيع وهي الغاية التي ينتهي اليها انتظام الادارات . ثم لا بد مع ذلك
ما اشترطناه في كفاءة القضاة من التأمين وكفاءة الحاجة فيما يجري على
المامورين من الارزاق فقد افادنا الاختبار ان تقليل راتب المامور الى
حد ان لا يفي بالضرورة من حاجاته ليس في شيء من الاقتصاد انما
هو داعية الفساد وموجب الدناءة والخيانة . او ما نرى راي العين احوال
ذوي الرواتب القليلة وان الرجل منهم ينفق على الخادم والفرس اضعاف
ما يجري عليه من ظاهر الرزق فضلاً على ما ينفق في داره وعلى حظية
جاره وفي مجلس قماره مما يعجز عنه ذو الالوف المولفة والقناطير المنقطرة
فهل ينزل عليه هذا المال من السماء كما انزل المن على آل اسرائيل
ام تنبته له السجادة كما تنبته لذوي الكرامات . كلا وانما هو مال
الدولة يؤخذ جزافاً وينفق بلا كيل

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر
ان الاصلاح المدني القائم بعموم المعارف وحصول المساواة والحرية
من وجه العدل والاعتدال وان لزم في بعض احواله الاصلاح السيامي
بما تمس بها الحاجة الى المال وما توهثر فيها احوال الادارة والقضاء الا
انه في الواقع ونسب الامر علة هذا الاصلاح من وجه ترتب الثروة
على المعارف وتعين انتظام الادارة واستقامة الاحكام على الحرية والمساواة
فهو اجدر من الاصلاح السيامي بالتقديم فان قضت الحوادث بمثل ما
نراه في دولتنا العلية في وجوب الابتداء السيامي فلا اقل من جعل
الاصلاحين على وتيرة واحدة بمعنى ان يشرع فيها معاً فانه اذا لم يصلح

الباطن فلا بقاء لصلاح الظاهر واداً لم يكن للنفس زاجر منها فلا
يُفيد زاجر

والمعارف جمع يراد به مجمل ما تمس الحاجة الى معرفته وما تقتضيه
احوال العصر مما يهتدى به المرء سبيل السابقين الى غايات الهدى
والكمال فهي وان امكن تقييدها بهذا الحد فلا حد لها ولا قيد لوجوب
انصافها بمحركة العلم التي ليس لها نهاية ولزوم التحاقها بمجالات الايام التي
لا تقف عند غاية فما يفيد فيها الالتزام حال لا تنفع رماية ماض بل
الحرص على الاثر المهجور مما كان في المعارف المذكوراً ظاهراً للضرر بما
فيه من التأخر في مجال التقدم . فقد كانت غاية الزارع والصانع والكاتب
والعالم فيما سلف ان يعرف الاول اوقات الفراغ والامتلاء في القمر ويحسن
الثاني تقليد استاذه في ادارة الآلة ويحفظ الثالث ما تيسر من منظوم
الشعراء ومنشور البغاة ويعلم الاخير من المنقول ما لا يحقل ومن المعقول
ما يعقل . ولو اقتصر الزارع الآن على معرفة امتلاء القمر لما برح فراغ
الدار والجيب ولو رضي الصانع بتقليد الاستاذ في تدوير الآلة لما دارت
الدوائر الا عليه ولو اجتزاء الكاتب بحفظ ما سمته الطباع وملته الاسماع
من آيات خاويات واسجاع لما وجد قراء الا بين القهور ولو اكتفى العالم
بمضغ ما تلمظ به الناس من عهد آدم الى ما قبل ايامه باعوام لما استفاد
من نخالة علمه الدقيق رغباً . . وما نمجز عن بلوغ القصد من المعارف
ولا نزالنا الخيرة في طريقة الوصول اليه ففي السبيل ادلاء راشدون
وفيه الف ركب سابقون فما علينا الا اتباع اولئك فيما يدلون عليه
وتأثر هؤلاء لما انتهوا اليه سالكين فيه مسلكهم راغبين في الاسلوب
الذي عولوا عليه من تقسيم الدروس وتنظيم المدارس مجردة جميعاً مما يقيد
الاذهان ويؤيد سلطة الاوهام بالتقليد في هذا المقام عين الاجتهاد
اما المساواة فليس المراد بها ما يروم الغلاة من محو الطبقات وازالة
الدرجات المترتبة على السعي والجد لزوماً فذلك امنية لا تنال الا ان

يكون الناس جميعاً اخواناً فلا تحصل ما دام الانسان انساناً . وليس المفهود منها ما يقالنا به اولياء الامتياز من كوننا شرعاً فيما تجرئ به الاحكام فذلك لا يمنع من وجود التفريق ووقوع التمييز في تنس تلك الاحكام وانما حقيقة المساواة ان تكون الاحكام سواء على من هم بالنظر اليها سواء بمعنى ان تجرد النصوص الحكيمية عن كل ما يعمل بعض الناس فوق بعض وتنزه عن كل ما يفتح باب النجاح لبعضهم دون الآخرين وتظهر من كل ما يشف عن شيء من ذلك ان يودي اليه فتكون امن الخائف وملاذ التازع ونصفه المظلوم وسداً سدبداً في وجه الجريء . واحكام دولتنا العلية ايدها الله مبنية على هذه المساواة الحققة فما يلزم فيها غير اصلاح الحاكمين ثم لا بد من النظر في امتياز الاجنبي والتعويض منه بما يكفل استمرار العدل ويضمن دوام المساواة .

وقد وصلنا موضع تنازع الاهواء وتدافع الاغراض فمهلاً سيدي القوي انا لا نخرج فيه عن حد الحق ولا نجاوز ما رسم به قانون دولتنا الموهبه وانت وان كنت تعادي من لا ذنب له غير مخالفة رايك وتناوي من لم يمين الاثم غير اعتقاد ما لا تذهب اليه وتناصب الشر من لم يرتكب من النكر غير الذهاب الى ما لت تعتقد فانك لا تستطيع انكار حرية الانسان ولكنك تحسبها قائمة فيما تريد مبنية على تخيل منوطه بما بلائم اغراضك الذاتية فانت في ما لا تنكره صادق وفيما توهمه عن الهوى ناطق فخرية المرء لا تنحصر في كونه يحرك اعضاءه كيف شاء فانه موجود ناطق والناطق ذو فكر يعقل والفكر هو الانسان بالذات فخرية النكر ثابتة للمرء لازمة فيه لزوم حربه في تحريك الاعضاء فان منع من اظهار ما يراه فهي العبودية وان اكره على القول بخلاف ما يعتقد فهو قتل الحقيقة

الا ان للحرية عندنا معاشر المعتدلين شروطاً واحكاماً تخرج بها عن

حد التفریط ولا تبلغ جانب الافراط فحنن من الطالبين لحرية المعابع
 الراغبين في حرية الجماع لما يترتب عليهما من تنبيه النفوس وارتفاع
 المهتم على شرط ان لا يراد بهما الضرر ولا ينشاء عنهما الخلل ولا
 ينتج منهما فساد الاخلاق . وهو الحد الذي لا شك في مروره بخاطر
 المصلحين من رجال دولتنا العلية ايدها الله ولا ريب في تشرفه بالقبول
 من لدن مولانا المعظم جعل الله النصر رفيق لواه

❀ عيشة الخلاء ❀

وفي صيف عام ١٨٨١ تردد الى بعض قرى لبنان طلب
 التنزه وتبديل الهواء ورغبة في الاستشفاء مما كان ملماً به
 من الاعتلال فكان - وآسفاه عليه - يكتب
 فصول الجريدة ومطالباها واخبارها في ربي لبنان
 ويرسلها الى الاداره فكتب اثنا عشر تلك
 الفتره القطعة الآتية قال

لقد سكن الهواء وفتر الماء ووقعت سهام الشمس على الراس ونقلت
 وطاة الليل على النفس فما لطلاب الهناء سوى الخلاء وما لاخوان
 العنفا غير الفضا . فاهجر هواجر الحواضر وذر مفاصد الحاشد ومر بي
 بسرب الآداب وصحب اولي الالباب نلتس في الجبال نسيماً بليلاً
 وفي الاودية ظلاً ظليلاً ولا تتبع بنا العربية على عجل بين السهل
 والجبل فانك ان ادركت آثارها لم تاهن غبارها ولا تجر ورا الفرس

يركضه القبعي خيباً فيسحب قوائمه تعباً . فانك لم تجد ثم رقيقاً يكون
بنفسك رقيقاً بل انفرد بالخطاير تظاقه اطلاق الجواد بين الربي والوهاد

واغتمت شق نسيات السحر قبل ان تمى بانقاس البشر
وقابل الفجر قبل انفجار بركان النهار وقبل طلوع الغزاة على هودج
النار وتعطر بما يمر بالخزام والشبح من خطرات الريح وسرح طرف عينيك
بجمال ما بين يديك فقد نسقت صفوف الاشجار على ضفاف الانهار
وتكلمات هام الاغسان من لألي، النداء بتيجان وغرد الغندليب على العود
فاذكر بانغام اسحق على العود والهواء يملأ القلوب حياة وهناء والماء يسيل في
الابدان صحة وشفاء

ولافق بسهم والطيور صواحٍ والنهر يرقص والغصون تصفق
ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزي، بماديات الزمان لزم رؤوسها
الشبب فازدادت به جمالاً فنادى لسان حالها رب زدني كلاً . فكان
في هامها الشتاء وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها
الصيف والبحر من وراء ذلك يمدجها بعينيه الزرقاء قرد صخورها الصماء
فيعود راغياً وجداً مزبداً حقدماً يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً كما انهمزم
الجيش فارتدت طلائعه الساقفة فراراً

فتلك هي الحياة لا ما انفقت في الطلب وما صرفت في التعب بين
مداج تدينه وتمشاه ومفاج نخاف غضبه ولا تأمن رضاه والف رأي اللوم
راعه وسكن اذا اودعته القلب اضاعه وبين ذلك تمالك وانقباض وصد
واعراض ودلال وهجر وملال وغدر وصحة بالمواذعة ووفاء بالمدافعة
وشفاة لا صلة بينها وبين الضائر والسنة لا علاقة لها مع السرار وعيون
لا تشف عن القلوب واخوان فيما لا يس الجيوب ودهان واجلال واعظام
ورياه واكرام واحتشام

ولقاءه الانام عذب ولكن

كدورته مؤونة الاحتشام

فاغتنم هذه الاويقات قبل انهزام اللذات فالزمان يومان ماض لا
يرد وحاضر لا يعلم له غد فاذا ذكر امك الذي فات ووات يومك قبل
الفوات .

وكتب في

✻ مصر ✻

ما نكرر ذكر بلد من الشرق في مجالس نواب الغرب وما كثر
تحدث الجرائد الاوروبية في امره الا داخلي من الخوف عليه ما لا
اعلم له سرًا ولا استطيع فيه بيانًا كأنما انا آخذ في ذلك بقول
القائل .

وخمول ذكرك في الحياة سلامة ودهاك من امسى لذكرك فاشترًا
بل سر هذا الخوف اتي ما سمعت رجال سياسة الغرب بلهجون
بذكر مملكة شرقية سؤالا عن احوالها وبيانًا لشؤونها او اهتمامًا بامورها
الا رابت فيها نلو كلامهم نوازل تخرج الصدور ومشاكل تذهل الافكار
وامورًا لا اكاد احصرها اولها مزعج وآخرها

ولقد رأيت مصر في هذه الايام موضوع نظر في مجلس نواب
الانكليز يسألون عن احوال عسكرها موجسين خيفة من قصد الزيادة
فيه وتجييبهم الدولة بما تعود اهل السياسة من الابهام والايهام ثم رابتها
مكان بحث وموضوع اهتمام في جرائدهم تروى حكاية ما وقع من
جندها مما اوجب ابدال ناظر الجهادية وتشفع بما بلائم المشارب على
اختلافها من الشرح والتاويل . ومصر . ولا حياء في الحب . بلد تركت
فيه زهرة ايام الشباب وخلفت باكورة غرس الآداب وهزرت غصن

الاماني رطيباً ولبست ثوب الامال قشيباً فما عدت بي عن حبها النكبة
ولا انتني عهدها الغربية ولست اول محب زاده البعد وجداً ولم ينكث
على الصد عهداً فيا
رعى الله مصرًا والسلام على مصرِ ويا حبذا مصرٌ على الصد والمهجر
فخذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد وانكم لمحفوظون بالعيون
والارصاد .

❖ وله مقالة في ❖

(النشبه)

قال

من تردى برداء ما وآه لانيه
وابتغى ماقد تعالى عنه مما يشتهيه
سوف بأنيه زمان يتمنى الموت فيه

وقد ابت لي نفسي ومشرب يعرفه الناس منها ان اكون من القائلين
بالامتياز من غير مزية . اني اوأمن بالله واقر له سبحانه وتعالى بالعدل
الذي هو عين المساواة . واظن ببني نوعي خيراً معترفاً لكل سوي منهم
بقابلية الفلاح والارتقاء فما اردت بما تمثلت به من ذلك الشعر ايجاب
تشبه الانسان باييه وقوفاً عند حد التقليد ورضاه بما وجدت يداه فعل
الوكيل البليد وانما قصدت الاشارة الي من يتمثل بمن لا يصل اليه فيما

يعز ادراكه عليه فيكلف نفسه ما لا تسع وبلقي على عائقه ما لا يطبق
 فيفيه بالخبيبة والذل صاغر النفس قبل الوصول الى منتصف الطريق وفي
 مثل الضفدع اذا انتفخ تمثلاً بالجماموس فانثقت مرارته عبرة لاولي
 الالباب .

ولقد سرت هذه العلة في ديارنا بين الاكابر والاصاغر والاواسط
 فضاعت بها الاموال وساءت الاحوال وفسدت الاخلاق وضاعت الارزاق
 وصار اكثرنا كالقبور المكساة يفضاه الظاهر وليس في باطنها غير
 الدود .

فيا قريني الوسط المستور بالبركة على م تعهدى الغني فيما لا نخدع
 به انفسنا من الزخارف والاباطيل ارايت لو رفلت زوجاتنا بالحرير
 الاطلس يكنسن باطرافه قمامة الشوارع فيغتنين البلدية عن الكفاسين
 ولو تحتم اولادنا بالجواهر مستعاراً وتقلدوا سلاسل الذهب مباعه بالدين
 تشبهاً باولاد الاغنياء ولو سكننا القصور مفروشة بالديباج يضالينا الغرماء
 بثمنه قبل اقتضاء العام او نبدل فيه جل راس المال انسدل على حقيقة
 امرنا حجاباً ونلتي في اعين الناس تراباً فلا يظهر من حالنا الا ما
 نريد ولا يرى منا الا ما نظهر بل نحن نسعي الى دمارنا بارجلنا
 مخر بين بيوتنا بايدينا

وانت يا خليلي التاعل الآكل الخبز بعرق الجبين فيم تشبهه بالاواسط
 وماء فوقهم من الدرجات ارايت لو خرجت زوجتك من بيتها الحقير بزوي
 امرأة جارك صاحب القصر الكبير على راسها نقاب ثمين وفي يدها عالة
 او مظلة من الحرير ولو رضيت بالفول غداء وباذناب الفجل عشاء لتلبس
 زوجتك واولادك ما يلبس الاغنياء وانتم في مبيت لا يرصونه مربطاً
 لخليلهم ايضاً ذلك شانك ويرفع بين الناس مكانك فلا تحسب معه حملاً
 او حماراً ولا تعد ماهناً او اكاراً بل انت معرض نفسك للسخرية تحرمها
 مما تحتاج اليه لتظهر بما يضحك الناس منه

سأني اخبرك باحوال امثالك في بلاد المساواة المطلقة والاجتهاد المستمر
 فاولئك لا يتحلون بالذهب ولا يلبسون الجوخ الناعم من فوق معد
 فارغة تطلب المدد ولا تنزبانسائهم بازياه نسائهم بازياه نساء المتمولين
 وانما لباسهم الكتان صيفاً والصوف شتاءً ولنسائهم واولادهم ملابس تليق
 بشانهم وتلائم احوالهم يخرجون بها في اوقات الفراغ راضين بما وصلوا
 اليه فرحين بما هم عليه لا يس قلوبهم الحسد ولا تعرف انفسهم الذل
 فاذا انقضى زمن العطلة او يوم العيد عادوا الى شانهم يسعون فيه
 تشتغل نساؤهم كما يشتغل الرجال ولا يركس اولادهم في الازقة متمرغين
 في الاحوال واذا مر بهم سادة القوم من الوجهاء والاغنياء لم يخفضوا
 بين ايديهم راساً ولم يخافوا قوة وباساً وانت مع ترديك بالجوخ ولبس
 زوجتك الحرير تفت على ابوابهم موقف الذليل الحقير فما ضرك لو تركت
 ذلك الزين ولم ترض هذا الشين وانت في غنى عن الخالين

ألا ساءت عاقبة من جهل حده فتعداه ونظر الى من فوقه فتعداه
 فزات به القدم فندم حين لا ينفع الندم. اطمع نفسه فيما تقصر يده عنه
 وعود اهله ما لا يستطيع الاستمرار عليه فطالبوه به فلم يصبه حلالاً فاحتال
 فلم تكن عنه الحيلة فسرق فامتنعت عليه السرقة فاغتال فان عز عليه
 بعد ذلك فحياته في اهله عناء دائم و بلاء مستمر

ونعم الرجل من تشبه بدوي الفضل واهل الاجتهاد فيما ادركوا به
 الامنية وبلغوا المراد فطلب فحصل وسمى فادرك وجد فنال وتعب
 فاستراح لم يقنع قناعة الوكل ولم يطمع طمع المغرور فذلك هو المعنى
 المراد من قول من قال فاجاد

وتشبهوا ان لم تكونوا مثاهم

ان التشبه بالكرم فلاح

وكتب في وفاة السيد الشهيد الامير عبد القادر الجزائري بعنوان

❀ داهية دهما ❀

ما خلت ان عماد الدهر ينهدمُ حتى قضى السيد العالمي الذرى العلم
 القاصد المجد ما زلت به قدمُ الصاعد العزم ما انحطت له همم
 الباذل الخير ما غاضت مكارمه الحافظ العهد ما ضاعت له ذم
 الموقد النار يوم الروع يضرهما حينما وبطفتها والنار تضطرم
 فالخيل والليل والبيداء تنسده والسيف والرمح والقرطاس والقلم
 والحزم والعزم والمجد الذي بدقت فروعه والعلو والفضل والكرم
 كيف لا وهو السيد السند الامير الكبير الحبيب النسيب العالم العامل
 الخبر البحر النقي النقي الهام المقدم العربي الابي سيدي عبد القادر ابن
 سيدي محيي الدين الحسيني الجزائري سقى الله بغيث الرحمة ثراه ورضي
 عنه وارضاه

مفرد مجد ما لنا بعده وللعلى غير الاس والمويل
 والصبر ان امكن في خطبه والمستعان الله صبر جميل

وقد توفاه مولاه غلس يوم السبت الماضي في قصره بدمر من
 ارباض دمشق بعد تجلده لداء بياض فبنت فيه حيلة الاطباء شهراً
 ونصف شهر فكان الرزء فيه جميعاً والمصاب اليماً والخطب عظيماً والحزن
 عجباً .

فيالك وقعة جلالاً اعارت امي وصباية جلد الجليد
 ويالك ساعة اهدت غليلاً الى اكبادنا ابد الايد

وسرى نعيه في المدينة صباحاً فملاً القوم نواحياً نواحاً وطاروا الى القصر
 هائمين حيارى تحسبهم سكارى وما هم بسكارى فداروا به صغرفاً واجتمعوا

من حوله الوفاً نادبين مسترسلين للبكاء ناحبين متجافين عن العزاء
 وكلهم اعد اليأس وقتاً عليه ونصاً راحلة القعود
 ثم ساروا بنعشه الى منزله في المدينة حيث اقيمت مناخته في الساعة
 الثالثة من النهار وكانت الطرق من ابواب المنزل الى الجامع الاموي
 غاصة بالناس على اختلاف مذاهبهم ومراتبهم حتى لو القي عليها التراب
 لما مس الارض ثم خرجوا به الى الجامع يتقدمه مئات من المشايخ والقراء
 واصحاب الطرق والاشائر مهالين مكبرين ورجال الشرطة وعدد كبير
 من العساكر النظامية وبليه جمع لا يحصي من العلماء الاعلام والامراء العظام
 والوجهاء الكرام فصلى عليه رحمه الله وكانت الراء مجتمعمة على دفنه بجوار
 القطب الرباني الشيخ الاكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه فاجتمع
 بماس ادارة الولاية للمذاكرة في هذا الامر فقر عليه فساروا في الجنازة
 على طريق الصاحية حتى بلغوا دار الحكومة فاستقبل المش هناك قناصل
 الدول جميعاً بالابسة الرسمية وفريق آخر من العساكر السلطانية وجميع
 امراء العسكرية والملكية وشاروا به اجمعين لا يلوي سابقهم على لاحقهم
 ولا يبصر اولهم آخرهم . فقد انبأنا المكاتبون اللغات انهم كانوا زهاء ثلاثين
 الفاً عدداً غير الواقفين بالطرق وعلى الابواب والنوافذ عجزاً عن اختراق
 الصفوف

وما نحاول استيعاب مناقب هذا الامير العلي المكنان ولا نزول استيفاء
 مآثره التي سارت بذكرها الركبان فذلك مما تضيق دونه الاسفار فضلاً
 عن صحف الاخبار وانما نقول فيما نحدث عنه ولا حرج انا رأيتاه بجزراً
 ينظم لفظه درراً وعرفه الناس برأ نثر كفه تبراً وكان في السلم غيثاً
 وفي الحرب ليثاً وفي المهام مناراً وفي الملمات ناراً وللعافين ملاذاً
 وللعائفين معاذاً ولطلاب العلوم استاذاً وجملة القول انه بضعة الشرف العربي
 وبقية الجمد الشرقي وصورة من من صور السوءد والفضل ومظاهر من
 مظاهر الاقدام والنبل وتجل من تجليات الكرم في النرع والاصل وهذا

طرف من ترجمة حاله نؤثره من معجم فرساوي في تراجم العظماء
 هو السيد الحاج الامير سيدي عبد القادر بن محيي الدين احد
 حماة الامة العربية ولد نحو عام ١٨٠٧ (لليلاذ) في ضواحي مسقرا
 وكان سيده محيي الدين مرابطاً رفيع القدر في عمالة اوران متصل
 النسب بال البيت النبوي الكريم فربي صاحب الترجمة في حجره واخذ
 العلم سنة واقتدى بالادب فيه وكان متوقفاً الذكاء يفسر على صغره آي
 القرآن العظيم ثم اشتهر بالفصاحة وسعة العلم بتاريخ قومه وبالتقوى والصلاح
 ولم يكن غافلاً عن واجب الرياضة للبدن بل فاق عشرينه في الفروسة
 وضرب السيف حتى خافه عامل الجزائر يومئذ فاضمر له سرّاً فسار الامير
 الى مصر بصحبة والده ثم ادس فريضة الحج فزاده ذلك رفعة عند
 ذويه ولما آب من سفره كانت مدينة الجزائر بيد الفرنسيس وعرب اوران
 على قدم الحرب فولوا سيدي محيي الدين زعامتهم فاغار بهم على مسقرا
 ودخلها عنوة ثم تنازل عن الامارة لابنه صاحب الترجمة ومنذ حينئذ
 دخل تاريخ الامير عيد القادر في تاريخ حملة الفرنسيس على الجزائر بل
 صار هو اياه. فانه لما اشتد ازره ببوادر النصر نادى في قومه بالجهاد واغار
 في عشرة آلاف فارس منهم على مدينة اوران عام ١٨٣٢ وكانت بيد
 الفرنسيس وقائد حاميتهم فيها الجنرال بوير فخرجوا لقتاله فثبت لهم وابلى
 بلاء حسناً ثلاثة ايام متوالية ثم عاد الى المدينة وفي السنة التالية ولي
 الجنرال ديمشيل قيادة الفرنسيس في الجزائر وظهر على الامير في بعض
 المناوشات واقام رابطين من الجند في موقعين من الساحل ومع ذلك
 لم تقترهمة صاحب الترجمة ولم ينخفص مكانه بين قومه بل صار رئيسهم
 الفرد المشار اليه وتيسر له الهجوم على تلمسان ثم توفي والده عام ١٨٣٤
 فهادن الجنرال ديمشيل عن ان يكون الشليف هو الحد الفاصل بينه وبين
 الفرنسيس فصار له بذلك امارة واسعة بين مراكش واوران وتيترس
 والجزائر وصرف المهمة الى اقامة الامور وترتيب الشؤون واصلاح الاحوال

وتنظيم الجند في تلك الاارة استعداداً لمعاودة القتال عند الحاجة وفي خلال ذلك تنافر الجنرال فورال والجنرال ديمشيل وولي الجنرال تريزل قيادة الفرنسيين عام ١٨٣٥ وكان الامير قد اجتاز الشليف واستولى على بلد مديه فخرج اليه القائد المذكور في جيش كثيف ونازله على ضفاف مقطا فلقاه الامير بعشرين الفا من الخيل فتجلبد الفرنسيين لثقلهم ما استطاعوا واطهروا فيه عجائب من البأس والاقدام ولكن ظهر العرب عليهم فارتدوا مدافعين عن انفسهم تاركين لفرسان الامير متاعهم وذخائرهم ومستشفياتهم مغنا فاشتدت بهذا النصر عزائم العربان وضعفت همم الفرنسيين ثم عين المارشال كلازيل عاملاً على الجزائر فدأب في الفاء الفتنة بين مشايخ العرب حيناً من الدهر ثم حمل على مسقرا بثانية الآف من الجند فراها خالية من الحامية فامر بهدمها ثم حل بتلمسان وكانت بينه وبين الامير وقائع ايست بذات بل

وما ظهر الفرنسيين على صاحب الترجمة ظهوراً حقيقياً الا على عهد الجنرال بوجو الذي ازال العربان عن حصار القائد ارلنج على انه جنح الى موادة الامير تمهدا لسبيل الغاره على قسطنطينية وواقفه على ذلك في الثالث من شهر ايار عام ١٨٣٧ فصرف الامير ايام الهدنة في لم الشعب وجمع كلمة العربان واقامة الارصاد في البلاد التي بيد الفرنسيين وتوفير الذخيرة واستكمال آلات القتال ثم وقع الخلاف بينه وبين القائد الفرنسي على بنود غامضة من ميثاق الهدنة فعاد الى الحرب عام ١٨٣٩ وحينئذ خرج الدوق دورليان والمارشال فاله لقتال العربان وابتدأت الحملة المعروفة بجملة عام ١٨٤٠ وحصول الظهور للفرنسيين واستولوا على مديه وميليانه وانتصروا على جند الامير في موازيا ثم نواتل الوقائع تباعاً واتصل مدد كثير بعسكر الفرنسيين وغير قادتهم طريقة الحرب فاستولوا على مسقرا عام ١٨٤١ ودانت لهم بعض القبائل فماخام ضاحب الترجمة ولا وهن بل زاد تجلبدا وعزماً وجمع الامناء واهل النجدة

من عشيرته واقام يدافع بهم الفرنسيين حتى استولى الدوك دومال على
سخالا عام ١٨٤٢ فلاذ الامير بيلاذ مراکش واستنجد سلطانها عبد
الرحمن فانجده بعض الجند ولكن ظهر الفرنسيين عليهم واطلقوا مدافعهم
على موغادور وطنجر فخاف سلطان مراکش وقعد عن نصره الامير فاستجاش
الامير اهل مراکش على الحرب فقبلوا على نصرته بالرجال والمال فعاد
الى القتال صابرا جليدا واوشك ان يترد البلاد عام ١٨٤٥ فجدد
الفرنسيين عزائمهم وقاتلوه قتالا مستمرا عامين آخرين وكان صاحب
مراكش قد اظهر النفرة منه فضلا عن الثاقل عن انجاده فاضطر الامير
لمقاتلته وظهر على جنده ظهورا مبيئا ثم احاطت به الاعداء من كل
جانب وحفت به الاخطار من كل ضوب فكره ان يعرض قومه للهلاك
بلا فائدة فرضي بالتسليم للقائد لاموريسيار على شرط ان يرسل للاسكندرية
او عكا فحمل اولا الى فرنسا واقيم حيناً في قلعة لاملغ ثم في
طولون ثم في قصر بو وفي عام ١٨٥٢ اطلق نابوليون الثالث حربته
وبالغ في اكرامة فسار الى بزوسة (بورسة) واقام بها الى ان زلزلت
عام ٥٥ فسار الى الاستانة ومن ثم الى دمشق وكان له في هذه المدينة
عام ١٨٦٩ اثر من الكرم والاقدام والتقوى وحماية الجار تشكره له
الانسانية ويذكره له التاريخ ابد الدهر وفي سنة ١٨٦٣ سار الى مصر
للتفرج على خليج السويس واتى فرنسا فتلقته دولتها باحتفاء لا يليق الا
بعضاء الامراء وكبار الملوك واهدت اليه نيشان اللجيون دونور الاكبر ثم
عاد الى دمشق فاقام بها كريماً عزيزاً رفيع المكان مقصوداً في الحاجات
محباً الى الناس آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يجتمع في مجلسه العلماء
والوجهاء والاشراف ويقصد باباه الفقراء والضعفاء وذوو الحاجات فلا يصد
ملتبس فائدة من العلم ولا يرد طالب عون من الجاه ولا يمنع سائل
صدقة من المال تشرفت بلقائه منذ ثلاثة اعوام فرايت مجلسه العالي
كما وصفت وبابه المقصود كما عرفت

وادهشي منه اتواضع والنقي قريبن للعلم الذي االه حد
وللامير الفقيده انجال نجباء اشراف امراء ساده كرماء قادة فضلاء
منهم السيد الامير محمد باشا والسيد الامير محبي الدين باشا وغيرها من
اشبال ذلك الاسد فهم يحفظون ان شاء الله اثره الكريم ويجرون على
سننه القويم

فانهم القوم الذين هم هم اذا غاب منهم سيد قام سيد

❖ منتخبات ❖

(العصر الجديد والمحروسة ومصر الاخيرة وغيرها)

كتب رحمه الله في مقاله نشرها في العصر الجديد موجهاً بها في
الخطاب الى مصر وذلك بعد عودته اليها من بيروت
اثر وسود منصب رئاسة النظاري في مصر الى
دولة شريف باشا فقال

❖ عند الصباح بحمد اقوم السرى ❖

غبنا وكانت اليك عودتنا يا سكننا لم يغب عن الفكر
خيرنا الدهر بين بعدك والا قدر فلم نرض خطة القدر
وزادنا البعد في رضاك جوى فاستجمت منه علة الصدر

وما برحنا في ليل حيرتنا حتى بدت منك آية الفجر
آية فجر الحزبية من مجلس نور الوطنية ناسخة احكام الجهالة مبددة
ظلمات الضلالة

فاحتملتنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدرية
اشق جوف العباب مسرعة وقلبيها مثلنا على حجر
حجر من الشوق اليك تضمره الغيرة عليك بين جنبي محب ولاك

اصفر به وجهك احده غايته فصرنا الى حماك واقلنا تحت مناك
وما بعد مصر للمني متطلب وان كان اسباب الهناء كثيرا

بل هناك امنية في القلب وحاجة في النفس لا ترى العين من دونها
شيئا الا وهي كالك نعمتك وتسام بعثتك وظهور آثارك وعلو منارك
ووصولك الغاية مما تزوم وحصولك في المأمن مما تخاف لتكون دليل
الشرف في سبيل النجاة وهادبه في مسلك النجاح

فقد رأيتك منبه طرف الفكرة من رفعة ذي القنلة تؤيد اميرك
الكريم وتوفيقك العزيز فيما يريد من جمع الكلمة وتوحيد الوجهة واعلاء
شأن الفضل ورفع مكان العدل وثبت للغرب انك لا تزال حيا تعرف
نفسك ما لها ولا تنكر ما عليها آخذا في ذلك بوسائل الحكمه واسباب
الدربة حتى كانت عرفت السياسة طفلا والفتها يافعا وكهلا . وجبتها
حزنا وسهلا ولس في شيء من ذلك وانما هي نبالة الطبع تؤدس الى
الامل واصالة الرأي تصون من الخطل فاستوقفت اهل الغرب حيرة
واستغربا واهل الشرق سرورا واعجابا هؤلاء ينظرون اليك نظر المحب
الامل فيك او الداعي لك او المحاذر عليك واولئك يمدجونك بعين الغريب
الطامع بك او الخائف منك او المرتاح اليك

ورأيت اميرك الهام العلي المقام راضيا عنك مستبشرا بك حريصا
على مجدك مبرما ميثاق عهدك يروم منك الثبات فيما شرعت والحكمة
فيما نزعت والاعتدال فيما سلكت والاحسار فيما ملكت وان تكون بده التي

يدراً بها عنك الشر ويحلب بها اليك الخير فتصلح بذلك حالك ويحسب
ان شاء الله ما لك

ورأيت وزيرك الشريف ذا المقام المنيف مؤيداً حجتك مهدداً
مجتك زائراً بنودك حافظاً عهدك ناهضاً بما انتدبته اليك قائماً بما
توكلت فيه عليه يصلح من شؤونك ما كان فاسداً و: وج من امورك
ما كان كاسداً يحلف لك قلوب المنصفين وبقطع عنك السنة الجائزين
صالحاً في ذلك مسلك الغيرة والاجتهاد والحكمة والتدريج شان الحكيم
الراشد ينظر الى ما وراء الامور ويستشف ما تحت الستور

ورأيت نبهاء قومك ووجهاء اهلك يجتمعهم الاتحاد بعد الانفراد ويضمهم
الاتلاف بعد الاختلاف فهم في المصلحة العمومية ساعون وعن اللغو
واللهو معرضون علموا مزية المجد فالتسوه ورأوا مقام الحمد فطلبوه وبدت
لهم الحرية منيرة الظلمة باسمه الثغر باهية الجمال باهرة الجلال فحثوا اليها
مطبي الهمة وجدداً وساقوا اليها جواهر الانفس فقدراً
وبين ذلك قلوب واجفة منك وانفس خائفة عليك وعيون محدقة
بك وافئدة داعية لك ومعبون امانة يخاطبون قومك بلسان الغيرة والاخلاص
ويان الحب والاختصاص فيقولون

يا قومنا فقد نلتم بالسلم والحكمة والرضى والقبول ما بذل غيركم من
اجله الاموال وارقوا في سبيله دم الرجال وما لا يزال كثير من الخلق
يطعمون فيه ولا يجدون اليه سبيلاً وهي نعمة الله واجبة الشكر وبد
للأمير لازمة الذكر ومزیه للشرق لا يطوي الزمان لها خيراً ومحمدة لمصر
لا ترى العين من مثلها اثرًا وما نزيدكم علماء بما لقي اهل الغرب في هذا
السييل فقد برت السنة خطبائهم واقلام علمائهم في الدعوة اليه اعصاراً
وجرت اموال اغنيائهم ودماء ابطالهم في الذود عنه انهياراً حتى رأوا
فيه كواكب الليل نهارة وانتم لا عدتم ادر كتمت الغاية منه او تكادون
لم تهرقوا فيه محجماً ولم تنفقوا ديناراً فخذار اخوان الاوطان ان تكونوا

مصداق قول القائل

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد
اعيدكم من ذلك بحكمة اميركم وثبات وزيركم وهمة نهبائكم
 واتحاد كلكم اجمعين كما اعيدكم بالله من غرة الامن وسكرة القاسم
 وغفلة القويمة وذلة العالم ومن حيلة المداجي وخدعة المفاجي ومكر
 العدو وجهل المحب فانكم بين الحساد والرقباء والمترددين منكم والذين
 يخافون اللور ان يظهر ما كانوا يسترون وعليكم الاجنبى حقوق واجبة
 الاداء وذمة لازمة الوفاء وفي الزمان احوال مفروضة الرعاية وضرورات
 نافذة الاحكام

فاخطوا مع الدهر اذا ما خطا

واجروا مع الدهر كما يجرم

وبعد فللحياة السياسية ادوار من مثل ادوار الحياة الطبيعية فهي
 تنتقل من الطفولية الى المراهقة الى الصبا الى الكهولة الى الهرم ملزمة
 في كل دور بمجال وفي كل حال بشأن لا نخطاه وحد لا نتعداه ولا
 بد للامم من المرور بهذه الادوار وان مر عليها الصبر والانتظار فغاية
 ما تستطيع ان تكون واسعة الخطا وان تجنب وقفات الخطا
 ومعاذ الله ان اريد انكم لا تصلحون لما تريدون بعد اذ نادبت
 لكم بهذا الحق مرًا وجهرًا شرقًا وغربًا في الباطن والظاهر والاول
 والاخر لم يأخذني فيه لوم ولا اخش وعيدا ولكني اصونكم وانزه
 نفسي عن الملق والتغريز . ولقد رأيت الذين حرصوا على الحياة السياسية
 من قبلكم باتمسونها باسبابها وبدخلونها من ابوابها متدبرين متدرجين
 يراعون جانب الامكان ولا يذهلون عن احكام الزمان والمكان علما منهم
 بما تقتضيه الاحوال وان الطفرة في عالم الوجود محال . هذا مع قرب
 الوسائل ووفرة الاسباب وسابقة العهد وعموم المعارف وكمال الذرية
 ووحدة القصد وعدم المعارض وتام الاستقلال

وما ينكر ذو عينين ان مصرا لا تعدم عددا غير قليل من العلماء
والفضلاء والنبهاء وذووى الغيرة الوطنية والمعارف السياسية يقيمون
امورها ويديرون شؤونها وينظمون احوالها فاذا حصلت لهم قوة الحرية
واستقلال الراي لم يعجزوا عما ينهض به نبهاء الناس في البلاد الحرة
فان لم يبلغوا باديء بدء درجة الكمال فالهلال اول البدر والغيث
اوله القطر ولكن سائر الامة في حاجة الى التاديب العلمي والتدريب
السياسي فلا بد للوجهاء والنبهاء من مرافقة ذلك فيما تنزع اليه نفوسهم
الذكية وان يجعلوا المطلوب بقدر الحاجة والمسئول بقدر القوة
فما تحمل نفس غير طاقتها

ولا تجود بدلا الا بما تجد

فاذا ارتقوا اول مراتب الكمال السياسي غير متزلزين كانت الغاية
اليهم ادنى والبقية لهم ايسر بما يحصل في الكفاية من عادة النهوض
بالاعمال والقيام بالامور والحرص على الحق والعلم بالواجب فهذه كلها
ملكات كسائر الملكات العلمية والصناعية والخلقية لا تستحكم ولا تحصل
الا بعادة واستمرار بخلاف ما لو ارادوا ادراك الغاية قبله قطع المسافة او
ارتقاء المخرج من غير سبيل التدرج فانهم في الاول يحاولون محالا وفي
الثاني لا يامنون القدم

على ان التدرج لا يفيد الوقوف كما ان الثاني لا يتناول الاهمال فلا بد
من الثبات والاستمرار مع الحكمة والاعتدال
وقل من جد في امره يحاوله

واستصعب الصبر الا فاز بالظفر

وما تضرب لثلكم الامثال ان المثل آفة الاعمال وبلية الآمال ومجلبة
الخرسان والوبال فلا تهونكم العقبات ولا ترهبنكم المصاعب ولا تروعنكم
الحادثات ولا تخيفنكم المتاعب واذكروا انكم ساعون فيما تبرد به في القبور
رمم الآباء وفي المهود قلوب الابناء

وكيف تهنون ولا تثبتون وقد اسعدكم الزمان وساعدكم التوفيق
فوائتكم اهل العصر على احياء الفضل واعلاء الحق ميثاقاً بيطالبكم به الاحياء
ويذكركم به التاريخ

والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تفقد
بل قد امنت عليكم الوهم يا نبهاء الوطن بما رايت في مجتمعاتكم وما
سمعت من سرانكم رايت آثار الغيرة وعلام الحمية وسات النخوة الوطنية
على وجوه مستبشرد من قلوب متوازرة على العزم متوائمة على الحزم متضافرة
على الاتحاد متوائمة على الاجتهاد . وسمعت بشائر النور ووعود الثبات
وعهود الوفاء بالسنة ما نطقت بغير الصدق من افواه ما عرفت
غير الحق

فادنوا لي ابشر الاحياء وانذر الاعداء وازيل مخاوف الصادقين
واقطع آمال المنافقين واعد مصر والناظرين الى مصر بعين الرجاء
والافتداء انكم تتخذون الحكمة شعارا والثبات سبيلا والحزم دليلاً
هذه امانتي محب ما ظهر فيكم بعلم ولا اشتهر بعرفان ولكن استوى
فيه اصغياه فما كان في قلبه فهو على اللسان

وقال بعنوان

❖ الواجبات بقدر الحقوق ❖

آية الحكمة في عالم الوجود وسنة العدل في هيئة الاجتماع ان
يكون الحق والواجب متعاقبين متلازمين يتبع احدهما الآخر وينشاء عنه
وجوباً فاننا نرى حقاً بلا واجب يعادله فلا ترج هناك عدلاً واما تجرد
اوجوباً بلا حق يماثله فلا تطلب ثم انصافاً

فواجبات الامم تختلف بحسب اختلاف احوالها ولا يكون على اي حال الا بمقدار ما لها من الحقوق . مثلها في هذا الشأن كمثل الفرد من الانسان له او عليه كمال الرجولة موفور قوة البدن والعقل ما ليس له ولا عليه بافعا او صيبا او طفلا لا يعي شيئا

فكلما نقصت حقوق الأمة بالحجر والقهر والاذلال رفعت كلفة الواجبات عنها بمقدار ذلك النقص وكلما وفرت حقوقها في الحرية والسواء من طريق العدل كثرت واجباتها فيما يحفظ تلك الحقوق وينبع من انقلاب نفعها ضرا وتحول خيرها شرا

فان كان القوم عبيدا ارقاء يصدعون بما يوءمرون وبكروهون على ما يكروهون ويمحون الارادة من مجموعهم باثباتها لواحد منهم اطلاقا .

وان كانوا عمى النواظر موتى البصائر لا يروون الا ما ينعكس عليهم بضياء نار الوهم يتعمقون الا ما كان منحصر في دائرة التقليد وان كانوا الات صماء يدارون فيما لا يعلمون لما لا يستفيدون منه نفعاً ولا يعلمون له قصدا

فهؤلاء ليس عليهم من حرج ولا ثريب فيما يبدوا من ضعف عزائمهم والتواء قلوبهم وقعودهم عن واجبات ذوى الحقوق الموفوره الا بقدر ما يوءمرون الطفل على كسر الاناء والصبي على ايثار اللهو فقد قيل ان ضعف المهمة والنفاق والاهمال صفات ملازمة للرق والخوف والنذل فان مرتت يقوم يظهرون غير ما يضمرون ويقولون غير ما يعتقدون ويتفاضون عما يجب عليهم فاعلم وقت السوء انهم في موضع استبداد ومكان استعباد وان رابتهم على خلاف ذلك ينطقون بالحق ويجهرون بالصدق ولا تبعد الحربة فيهم من رزق ولا تقرب اجلا فانت ولك الهناه في جنة عدو فردوس انصاف

وان كان القوم احرارا مختارين فيما يقولون ويفعلون مما يخالف حكم

العدل ولا يخرج عن حد السواء

وان كان الامر شورى بينهم ينفذ الحكم فيهم بهم ويكون الاثر منهم لهم فهم الامرون فيما يأتمرون وهم الحاكمون فيما يطيعون

وان كان اميرهم الذي عقدت عايه القلوب ورئيسهم الذي اجتمعت له الاراء ومراتهم الذين اعلام النضل

فهؤلاء لا تدر لهم في ضعف المهتم وفساد النفوس واهمال الفروض فان حق الخيرية ملازم بواجب العدل وحق الاختيار بواجب النزاهة وحق الامر والحكم بواجب التدقيق والانصاف وجملة هذه الحقوق المدنية والسياسية بواجب افتدائه المصلحة العمومية بالمصاحبة الذاتية

ولقد كنتم اهل مصر في الزمن السالف على عهد الجور والاستبداد عبيداً ارقاء مسضعفين تلب نعمتكم وتهتك حرمتكم ويستعمل فيكم سائر ما حرم الله فلا تعرفون لانفسكم حقاً ولا تجدون للنجاة من الضيم سيلاً فلم يكن نيلكم من حرج في اهل واجبات الوطن من دفع الاذي عنه لوجلب النفع اليه وبذل النفائس والنفوس فيه لان هذه الواجبات لا تازم الا عن حقوق معلومة من مثلها فاذا ملب الحق سقط الواجب اللازم عنه

اما وقد بدا لكم طالع التوفيق في المظهر الشريف فنجوتم من اسار العبودية وحصلت لكم البعث الوطنية فنلتم الحق الذي كان مسلوباً او مضيقاً من قبل فقد لزمكم الواجب المتعين على سائر ابناء الاوطان الحرة في العالم الانساني لا نذحة لكم عنه ولا بد لكم منه او يتعكس الامر ويتلوي القصد وتختل الاحوال ويسوه المنقلب والعياذ بالله

اجل . وليس الذي نلتم او كدتم تتالون من الحق يسيراً لتسامحوا في اغفال الواجب اللازم عنه فقد اهرق الانكليز من اجله دمًا عزيزاً واهلكوا مالا كريماً ولم ينالوه الا بمرور الابام وكرور الاعوام وتلام الفرنسيس في اواخر المئة الماضية فتهانكوا عليه واستاثتوا فيه وتبهم

سائر الاقوام من بعد الى هذا العهد فمنهم من فاز به جملة كالاميركان
 والمولنديين والبلجيكين وغيرهم ومنهم من اخذ منه بنصيب كالتمسوبيين
 والايطاليين والالمان والعثمانيين والاسبانيين ومنهم من لا يزاك في سبيل
 السعي اليه كالروص والكثير من الامم الشرقية الا وهو الحكومة العادلة
 الحققة الشوروية

نلت هذه الحكومة بلا قتال ولا جدال من مكارم امير صادق النية
 بناية وزير صحيح الوطنية بسعي رجال اصفياء الطيبة رأوا في قلوبكم
 جذوة غيرة فاضرموها وآسوا من انفسكم شعلة همة فاوقدوها اضرموا
 الغيرة بالاقدام واوقدوا الهمة بحسن الاهتمام فاهتديتم بمنارهم وصرتم على
 آثارهم فالفيتم لدس الامير جانب رضى واشتمال وعند الوزير مكان
 قبول واقبال فانقلتم بسرعة توشك ان تنني ان الطفرة بحال فانتم اليوم
 على مراحل مما كنتم فيه بالامس احيا الله ميت وطنيتكم من الرسم
 وصرتم في عداد السعداء تحت مطلع الشمس فاعيدكم بالفضل ان تذهلوا عن
 واجبات هاته السعادة وتلك الحياة

ان الوطني الحر - وقد صرتم وطنيين احراراً - مرعي الحق الذاتي والحق
 المدني والحق السياسي آمن على الروح والعرض والمال من السلب والتهك
 والاغتيال فلا بد له من حفظ الاحكام القاضية بتلك الرعاية والتزام
 الحدود المعينة في تلك الاحكام

والوطني الحر - متأهل بقدر المستطاع للخدم والمناصب العمومية على
 وجه الاطلاق جدير بحسب الاستحقاق للرب والكالات المدنية بلا استثناء
 فلا بد له من بذل الهمة وصره الاجتهاد فيما يجعله حرياً بالشرف قوياً
 على خدمة الوطن عارفاً بمجائز احواله واقفاً على آثار ماضيه ودلائل آتية
 مهذب الفكر مطهر القلب مثقف الطباع

والوطني الحر - مساوٍ لجميع اخوانه في الوطنية والحرية معادل لهم في الحقوق المدنية والسياسية فلا بد له من رتبة حق السواء الى حد الاخاء بحيث لا يتولاه العجب والته في الرفعة والنجاح ولا يناله الحسد والبغضاء في الحطة والافخاق بل يكون على حد ما قيل

وما انا فيما مررتي متناول ولا انا فيما ساء في متقامر

فيسعى ما وصل اليه امكانه في سبيل خدمة الوطن لعلمه بان الامة الحرة كآل البيت الواحد يسعون في طلب الرزق على اختلاف الطرق والمقادير وياوي كل احد منهم الى المنزل مساء بما رزقه الله فيكون سعي واحد لكل وكلهم للواحد

والوطني الحر - متأهل لانتخاب نواب الامة المنتدبين لتقرير الاحكام وجلب المنافع ودرء المفاسد وتنظيم الاحوال وصيانة الحقوق واعانة الحكومة على القيام بالامر العمومي فالواجب عليه ان يكون بصيراً خبيراً على بينة مما يترتب عليه النفع ومعرفة بمن يصلح لهذا الامر ونزاهة عن الغرض الغرض الذاتي وبعد من التقليد بلا رشد لا يقع اختياره الا على النجباء الزهراء ولا يصدر في رأيه الا عن الرشاد والسداد ليأمن على وطنه ان تكون النيابة فيه لفساد يسلك طريق الشر او جاهل لا يهتدي سبيل الخير

والوطني الحر - جدير بالنيابة على شروط لا تعدى كثيراً من القوم فلا بد له من استكمال صفاتها ونوال معداتها من العلم بشؤون الامة واحوال الوطن ومجاري الاعمال ومواقع الصلاح ومفظان المنفعة مع التنزه مع ميل النفس وشهوة القلب والتعفف عن غرض الذات وارب الاثرة والاخلاص في حب الامة والاختصاص بخدمة الوطن فان فانه ذلك او بعض ذلك فهو نائب نفسه على ضد ابناء جنسه

وجملة القول ان الوطني المرعي الحقوق الفائز بالسواء المؤهل للانتخاب صادراً منه وموسوداً اليه هو المأمور والامر والمحكوم والحاكم والمسوس

والسأس والمسود والسائد وهو القائم بنفسه على نفسه والعامل بذاته لذاته
فانكل بهر منه فيه اليه وهي اعلى مراتب الوجود الانساني وارفع درجات
الاجتماع المدني فلا بد للترقي اليها من اداء حقها واقامة واجبها سعياً
واجتهاداً وجوداً بالمال والروح وطلباً للمعارف والمعلوم والتنافساً للفضائل
والكلمات بحيث يصادف فيها محلاً ويكون لها اهلاً

وقد يسر الله للامة المصرية ارتقاء هذه الدرجة او قرب الوصول
اليها بما فيض لها من مكارم الامير ومظاهر الاجتهاد والغيره والوحدة
الوطنية فالزمها القيام بالواجبات المترتبة عليها والتأهل لها بما تقدم بيانه
من المزايا الوطنية والفضائل المدنية ولا شك ان ذلك لا يحصل الا بصحوم
المعرفة وانتشار العلم وهو ما نأمله في الحكومة السنية وما نرجوه من اهل الثروة
والوجاهة والحمية

نامل في الحكومة توسيع نطاق المعارف بتكثير عدد المدارس وتمهيد
سبل الطلاب واعلاء شأن العلم وانشاء المكاتب الابتدائية في المدن
والقرى وفتح باب المجانية في التحصيل وتمهيد سبيل الازام بالتعليم ولا
أسف على النفقة في هذا السبيل فانها كنفقة الزارع في شراء البذر يثمر
خييراً وتنبت الحبة منه مائة حبة

ونرجو من ذوي الوجاهة والحمية والاقبال على مغارس المعارف
بالنجدة المعنوية والمساعدة المالية تمثلاً بنظرائهم في الاقطار الغربية فهم
اولى الناس بهذه المعتمدة المشكورة يحيون بها آثار آبائهم ويسعدون
احوال ابنائهم فيثبت التاريخ ذكراً لا تمحوه الاعصار ما تعاقب
الليل والنهار

✽ خطرات اليباب ✽

دع الحريري بين حارثه وهامه والمتنبي لدى سيف دولته وحسامه وايا
نواض عند ظييه وجامه وقف بنا نندب وقتا اضاعوه وذكاه في غير
محل صرفوه

فالوقت هو التبر الثمين ونكنا نتاقاه غير مكترئين فنبدد الاعوام
واخذاً بعد واحد لا نستفيد منها نفعاً ولا نحسن فيها صنعاً
فقل لمن بصرف الايام بين الاوهام والاحلام ان كنت تجهل مقدار
ما نضيع فقف بالقبور ملتسماً من سكانها برهة من الوقت تعلم انه العزيز
الذي لا يملك من اضاعه واشترى به ثمناً قليلاً فاولئك هم
الخاسرون .

الا ان الطبيعة لحكيم يهذب الافكار بدروس الاعتبار وانا لنعموت
في كل حين ثم نحيا ثم نعود امواتاً فلنا في كل يوم عمر جديد ولكن
اكثرنا لا يشعرون

تمر بنا الاوقات سراعاً وتكر الايام تباءً فنذهل عن تعاقبها كالمخدق
بالكره الدائرة يحسبها ساكنة او كالمغتسل في النهر يمر به الماء جارياً
فلا يميز بين منصرفه واتيهِ

والحق انا لفي ضلال مبين لم يكفنا القعود عن شراء الوقت المنقود
حتى نشري بكل نفيس ما يضيع به الموجود

نبدد كنوز الايام غير شاكرين فاذا بدا الشاغل قلنا ما ابطاء
الزمان متحركاً وما اثقله نزيلاً والتمسنا الى الفرار منه سبيلاً ولا نفر الا من
انفسنا فالزمان عين الوجود

غل البقاء ونرجو الفناء فاذا جاء نذيره وددنا لو لم نكون من الخالدين

ويتمثل لنا الوقت شيئاً ثقيلاً الوطأة فإذا تولى رايته طائراً عظيم الخناحين
 فقمى في طلبه فلا ندرك له اثرًا فنعود عنه آسفين
 فلأسرُّ هذا التناقض وما بالناس نرى اليوم الحاضر بغيضاً فإذا انقضى
 بكيناه وقلنا ان الزمان بمثابة لضعين . ولا يرض الزمان بالايام وانما نحن
 بها مسرفون وما كان ندمنا الا عقاباً على الاسراف كذلك يجزى المفرطون
 تفيض علنا الاوقات فننفق منها بغير حساب ثم نخشها على المسير
 فاذا انصرفت ناديناها غير مسمعين فنحن نسعى الى الموت ثم نفر منه كهاشقة
 حرقاء تغاضب من تمواه سعيًا الى المهجر فاذا رآه انه مستغفرة انها من
 التائبين

ونل الاعمال ولا راحة الا بالاعمال فالهنا ثمرة لا تنبت الا سيف
 حقول الاشغال والحياة ان لم تكن مقرونة بالهنا فهي عين العناء
 فقل لمن يلتمس الملاهي لصراف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع اي
 هذا المسترجل طفلاً المسترجل كمالاً القاعد عن النعمة سهواً نراك تحسب
 اللهو حياة فهل تحسب الموت لهو
 تمام ملء عينيك على وساد الفساد تحت ظلال الوبال ولا تسمع
 حركة الوجود كأنك بمن اجروا فاكنتفتهم الانواء تجر سحاباً يطر عذاباً
 فخل دوها بأذانهم فهم لا يسمعون
 فنبه طرف الفكرة من رقدة الغفلة واحرص على يومك حرص البخيل
 على الدرهم فربما مرت النعمة تحت جناح ساعة منه واذت لا تعلم
 واعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسياً فالماثرة تعيد مائت
 الزمن حياً واعلم ان من اضاع شيئاً من الوقت فقد سرق التبر بل سلب
 العمر وكان من القتلة الظالمين

✽ الشرق والغرب ✽

وقال في فصل مطول عن احوال مصر

ان كثرة المخترعات وسعة المعاملات ووفرة حاجات المدينة وتماثل اغراض النفوس وانفراد كل امة بمزية وكل ارض بخاصة مع رغبة الانسان في استكمال تلك المزيا وافنقاره الى هاته الخواص جميعاً كل ذلك قد وجب استحكام العلاقات وتقارب الصلات بين الامم والدول ومنع من فارتزم وتقاطعهم وراه اسوار منيعة من مثل سور الصين . بل لو امكن هذا التقاطع وكانت هانك الاسوار جببالات نطح بارواقها النجوم لما وقفت بها حركة البخار ولا امتنع سير الكهرباء ولا تعذر اتصال انسان بانسان

ولهذا كان من شان الناقد البصير ان ينظر الى الاحوال المدنية والسياسية باعتبار واقع الامر فيقر هانك الصلات رضى بها واختياراً او يحتملها كرهاً واضطراباً ثم يلتبس منها وجه المنفعة وطريق المصلحة وباب السلامة لا قرب الناس اليه وادنى البلاد منه ثم للانسانية على الاطلاق.

والشرق ولا ازيدته تعربفاً مغرس الكلمة ومنبت الجامعة ومركز الوحدة لكل نابت في ارضه الذهبية تحت سائه الزمردية وهو شقيق الغرب الاكبر حنا عليه طفلاً وعاله يافعاً وايده فتي ثم احتاج اليه كهلا فيبينهما في الاصل علاقة الاخاء ثم نسبة الوفاء ثم صلة الاحتياج ومصر ولا احاول لها وصفاً شجرة الامال ودوحة الاماني لدس كل من قلته تربتها الفسجدية واظلته سماوها النقية وهي بمنزلة خط الرابطة وهمزة الوصل بين الغرب والشرق بين المجد القديم^١ والمجد الحديث بين الاثر

التاريخي والحادث الواقعي بين العظمة الراقدة تحت ظلال الكفاف
والهمة السائرة تحت لواء الطمع فللامم فيها مصالح وللدول علاقات والمدنية
مداخل لا يتيسر لاي كان من الناس نحو شيء منها الا في مستقبل
غير محدود فلم يبق الا حفظ هذه العلاقات وردها بالنهي في احسن الى
حيث لا تزيد من جانب التداخل ولا تكون مانعة من تابد استقلالنا
الاداري وان يحصل الانتفاع من نتائجها بكل ما يمكن استفادته من
التمدن الغربي

✽ وقال في مسهل فصل رائق في مجلس النواب ✽

هذه عروسنا في الحى تُعطي بحجر الحرية لا بدياج خوي خطبهاها
من الدهر فاعلى لها المهر ومانع ما استطاع ودافع ما امكن الدفاع
فبدلنا في سبيلها المهمة وجعلنا صداقها ارادة الامير والامه حتى زفت
الينا فانسيم الصبا في الصباح ولا الراحة بعد العناء ولا الورود بعد شدة
الظاء بارق منها على الروح وابهج منها في العين ووقع منها في النفس
واعذب منها على القلب

وقد مرت بنا ساعات الفرح بانجلائها واوبقات السرور بظهور بيئاتها
وقرانا التهاني بها مرارا وتلقينا التبريك تكراراً وانشرحت صدورنا
بابشامات المبهين واشتفت انفسنا بتلهفات الاعداء وحمدنا الله حمد المعترف
بالنعما الشاعر بالسراء

فهي الان في الحى يا حماها الله فتحت لها الصدور بدل الخدور واسكنت
العيون تحت حجاب الجفون ولا غرو ان ضربنا عليها الستور فهي فتانه
والمحب غير

وما حسنها حسن الدمى والتماثيل لترضي لها بالظهور شاناً ومجراًه

جمالاً وبالنظر امتاعاً

فالحسن في الوجه قريب الزوال فلتعلم الحسنة ذات الدلال
ولكنها ربة البيت الذي وفدت عليه وشريكة البعيد الذي زفت اليه
واسوف تتولى تدبيره وتقيم اموره وتصلح اختلاله وتداوي اعتلاله وتحفظ
مائه وتعيد بهاءه وتزيد ان شاء الله نماءه بولدين المنافع بررت صالحين اخيار
مصلحين يكونون لهذا الوطن الذي سميناها سعيدا اعواناً على الزمان ونصراء على الملدثان
ولكن كما ان البيت لا يصلح والاسره لا تفلح الا اذا توثق الحب واستحكمت
الود وصدت النيات وخلصت المقاصد وحسنت المساعي بين الزوجين لتصح تربية
الولد ويسلموا من اثار الحقد واللدد كذلك لا بد في صلاحنا ونجاحنا واستقامة
امورنا وانتظام احوالنا وزوال مشاكنا واندفاع نوازلنا من التلاؤم والتوافق على
المنافع الحققة الوطنية ومساعي الهيئة النيابية

وهذا التوافق وان ظهر باديء بدء عياناً بديهياً لا حاجة فيه للبحث ولا
مكان به الاختلاف الا انه اخفى مكاناً وادق ربما واصعب تحقيقاً مما يتوهم
الناظر المسرع قرب امر ظاهر^١ النفع بادي اللزوم واضح الوجوب لتبينه قريب
المنال سهل النوال فاذا دانته رابت غير ما ارتابت وعابت غير ما ظننت ورب
بعيد يقر به الامل ورب قريب يبعده الريب فما يجلو الامور الا اختبارها
وما تاتي الامور الا باوقاتها

وقد عرف سادتنا النواب هذه الحقيقة ولم تخف عنهم من تفصيلها دقيقة
فهم الان ينظرون في الامور نظير الناقد البصير العارف الخبير المنتبه للعواقب
المجانب للمصاعب الذي يخطو مع الدهر اذا ما خطا ولا يذهل عن تبطن
بعض الصواب خطأ يعلمون ان للوطن عليهم حقاً واجب الاداء ولا
يجهلون ان الاحوال احكاماً مرعية الاجراء ويميلون مع الغيره الوطنية ولا يتغافلون
عن الحكمة السياسية ففهم شدة غير عنف وثبات بغير عناد ولين بغير ضعف

❖ متخبات ❖

❖ الكاتب الناثر الشاعر الطائر الشهير والخطيب المفوه المرحوم ❖

اويب بك اسحق

(ضمن اربعة اجزاء)



الجزء الثالث

« يشتمل على رسائله البليغة »



« ثمن كل جزء على حده فرنكاً واحداً »
(و ثمن الاربعة اجزاء ثلاثة فرنكات)

رسائل وسذور

نص كتاب بعث به على لسان جمعية مصر الفتاه الى الامير

عبد القادر الجزائري عام ١٨٧٩

كتابنا ايد الله الامير الاعز ونحن عصبه تذكر ليس منا من لم يرحم
صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

رأينا ما ألم بهذه الاقطار من الاضرار ناشئة عن تحالف القلوب
وتنافر الافكار حتى صار الود مداجاة والحب عدواناً فقلنا يا قوم لا تنافسوا
ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ورأينا بوادر
البلاء وطلائع الشقاء نخفنا المصاب الاعظم ينقلب به الخير الى الضير
والمغرم الى المعرم ويزول بهاء الامة ثم تغضب الارض التي سقاها السلف
الكرام بالدم فنهضنا نروم حفظ الباقيات الصالحات بوسائل السلم والسلم اسلم
وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم

وربنا فقيرنا بعثر باذبال ناقته وعظيمنا لا يأمن على راحته او على
ما في راحته ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه او نزلنا
بساحته فنزعت انفسنا الى اعانتهم ومن كان في حاجة اخيه كان الله
في حاجته

ورأينا انوار فضل الامير على طور تجلي الحكمة وتوقظ الراقد وتنبه
الغافل من هاته الامة فتكشف عنها كل ملة فعملنا ان لا بد من التماس
مساعدته في هذه المهمة فرفعنا اليه الصحيفة التي هي لسان حالنا لتتوب

لديه عن لسان مقالنا امل الحصول على القبول شان الامير في معاملة من امه ورجاء ورود الجواب بما يراه في امر هذه الخدمة وله في تشریفنا بذلك رأيه العالي مسدداً وامره الكريم مؤيداً از شاء الله

✽ نص كتاب ✽

« بعث به الى المغفور له سلطان باشا بعد النفي من مصر وكان قد ارسل اليه «
رسولاً فاکرم مشواه ووعده خيراً»

سیدی و عمادی و سندی و عنادی

کتابی اطال الله بقاء سیدی الاوحد وانا اذرف دمع الامتنان والشکر علی ما اظهر لرسولي من الانعطف الیّ والشفقة علیّ والرغبة فی کشف ظلامتی والمیل الی اعاده کرامتی حتی لو بذلت بقية الشباب فی سبیل خدمته ووقفت سائر العمر علی شکر نعمته واونیت مع ذلك عزيمة الاقویاء ومنحت بلاغة الفصحاء لما سلت فی الواجب من التقصیر ولا ادركت منه غیر النزر اليسیر علی اننی القیت بیاب مولای القلب رهن اخلاص وولاء وقلیل تحت سمائنا قلوب الاصفیاء

ولقد بشر فی الرسول بکتاب من السید السند یجبر الخاطر وبقمر الناظر ویشرح الصدر فیصیح عن هفوات الدهر فاعقلت باسباب الامانی والآمال ورجوت لسوء الحال حسن المآل ثم رددت النفس عن هاویة الیأس فالحمد لله ما خات الارض من الفضل والحمد لله ما عفت بیف مصر آثار العدل ویمین الله ان غایة الامل رضی السید عن عبده ونهایة الرجاء حسن ظنه بحسن عهده فان رضی فلیغضب الانام وان احسن الظن فما علی الدنیا ملام

وعلمت من كتاب رسولي اسباب الابعاد وما تخلل الامر من
 دسيسة وفساد فما عجبت لتصديق ثمجة كما اني لم اندم على صدق الخدمة
 اولى ان السيد اعزه الله يذكر ذلك مني ولا ينساه وكفى بهذا جزء
 وشكورا وكفى به قبلاً موفورا ولا بد وان كان المجال قسيماً والحق ظاهراً
 صريحاً فالنتائج معقودة بمقدماتها والامور مرهونة باوقاتها وسوف ينكشف
 الغطاء ويبرح الخفاء ويعلم الشك من اليقين ويغلب امر الحق ولو بعد
 حين والله ولي الصادق الامين

هذا وقد بعثت الى مصر من يبيع اثاث المنزل بما تيسر واتاني ان
 السيد حفظ الله معاليه قد رشم بتأخير ذلك الى اجل غير معلوم ولكن
 الحاجة ملزمة والضرورة مبرمة وللخادم على ذلك البيع باعثن الاول سد
 الحاجه بما يحصل منه وان قل والثاني رفع اجرة المنزل عن كاهله المثقل
 ومع ذلك فالامر للسيد في كل حال وما على الخادم سوى الامتثال
 ثم اني مشتغل في هذه العطلة بتاريخ المسألة المصرية على ما راته
 العين ووعاه الذهن ومعمته الاذن وحققه الخبر وايده الاثر مبيناً احوالها
 مفصلاً اجمالها كاشفاً اسرارها واصفاً آثارها ذاكراً كل امره بما استحق
 منصرفاً في كل ذلك عما يخالف الحق ليعلم منه فضل ذويه الشهامة
 واهل الكرامة كما يعلم نقص ارباب السفالة واهل النذالة ممن غرهم الجهل
 فطغوا ودعاهم الجبن فاطاعوا ثم اضاعوا البلاد واي نفيس اضاعوا وساقدم
 لمولاي ما ابضن من هذا الكتاب ليرى فيه رأيه الموفق للصواب ان
 شاء الله حفظ الله السيد السند ورعاه وادام مجده وعلاه وابقى للخادم
 عنايته ورضاه

✽ وكتب اليه ايضاً يهنئه بعيد الاضحى وينشان ورد اليه من دولة الانكباب ✽

ما العيدُ الا ان تكون سعيدا فيعيد مجدك كل يوم عيدا
 لبيت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا استهل وعيدا
 فجعلت بعد منى السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا
 حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائفين شهودا
 اضحى على عرفات عرفك كل من ضحى لفضلك مبدياً ومعيدا
 التهنئة للاكفاء ولمن يدني من البعداء فغاية الخادم اخلاص الدعاء
 فخبذا العيد السعيد سلامة السيد وحبذا النيشان ذو الشان مجده
 الذي لا يخذ وماثره التي لا تعد وفضله الذي لا بدانيه احد . ولئن
 ابى الدهر اسعاف العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه فالحمد لله ثم
 الحمد لله

✽ وكتب اليه صديقه عزتو عبد السلام بك المويلحي بعد النفي من ✽

✽ مصر وقد انقطعت عنه رسائله عام ١٨٨٢ ✽

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء وهداية النفس الي بقاء الاخاء
 لغالبت الشوق في اشتطلاح اخبارك منك ووقفت القلم عن شكوى هجرك
 اليك مخافة املاكك بما انت غني عنه وكراهة اعنائك بما انت زاهد
 فيه ولكني عهدت بين جنبيك قلباً لا يحوله تغير الاحوال ولا يبدله
 كرور الايام والاحوال فانا مخاطبه بما يمليه الشوق علي رضيت ام غضبت
 وسكت ام اجبت

اي قلب من نحب ونكرم ونحبل ونعظم لقد اتصنا منك باسباب
مودة واعتلقنا فيك باهداب صداقه فهل انت ذاكر معاهدنا بذات الوفاء
ليالي هجرنا الرقاد اليك وقصرنا الوداد عليك ورضيناك من الدنيا نصيباً
واخترناك من العالمين حبيباً كيف لا وقد لازمك الصفاء وصافاك الوفاء
فصفوت على كدورات الايام ووفيت على خيانة الانام فان عدلت وما
عدلت فعلى الدنيا السلام . اهـ

« ولما الغيت جريدتنا مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وعد بنوال الرخصة «
« في انشاء جريدتين غيرها باسم العصر الجديد والمحروسة ثم «
« طال المطال في ذلك فكتب الى سعادة علي باشا مبارك «
« ناظر الاشغال يومئذ يتقاضاه وعد الحكومة «

وهذا نص الكتاب

اتجراً على فضل الوزير غير جاهل ان وقته اثن من ان يضاع في
مثل موضوعي الحقير ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل في
الدنيا بكثير فعساه ان يكون اضعفي نصيراً فاقول نعم المولى ونعم
النصير .

ولقد صار العصر الجديد قديماً بما مر عليه من مؤثرات الانتظار
واصبحت المحروسة على قدم اليأس تستجير بالاولياء والانصار وتلوهوي
في عالم القوة بين الخاوف والاضطراب اذا ما الفكر حار واذا ما الزمان جار
انتسى مصر مزية البر بالجار ام لا يسمع بين براياها صدس نداء
نداء المستجير

بل اعيد مصر ان تبغي بها الايام على البررة الصادقين وان لا يلي

موعودها تالياً اتنا بما تعدنا انك من الصادقين اقول هذا وما كنت
معرضاً بسوء وما كنت من المعترضين ولكنني اسأل النحلة احساناً ولا
سبيل علي المحسنين والله له ملك السموات والارض وهو علي كل
شيء قدير

فلا ينس مولاي امر الجريدة موعوداً فقد اجتاز الخادم في هذه
العطلة عتبة كودا وعالج الصبر جهده ثم عاد عنه مجهوداً افيلوذ بالياس
وقد ام قوماً جووداً ام ترد اليه اشارة الفوز وروداً عتيداً فتسر ولياً
حفيماً وتسوء عدواً لدوداً . اجل ترد فيشكر الخادم صدوراً كما شكر
وروداً ثم يحمد الله الي المولى الوزير

وكتب الي جمعية الخواتين البيروتيات المسماه بزهره
الاحسان جواباً على كتاب ذكر وشكر وتهنئة ورد منهن اليه

سيداتي . حمل النسيم الي تهنئة زهرتك الزهراء فكانت هي عين
الهناء فمن لي بنفحة من طيبها انشرها اليكن شكراً ومن لي لللحة من
حسنها اجلوها لديكن حمداً ولكن وسع النفس دون الامنية ومقدرة البيان
اقل مما في النية وسيداتي موضع العفو وسيداتي زهرة الاحسان فليقبلن
مشكورات غير مأمورات تمجيد خادماً لا يمنعه البعد من اداء الفرض والخدمة
وما كانت خدمته الا الدعاء وما كان فرضه الا الثناء

✽ وكتب توطئة رسالة في مدح احد الصادقين من عمال الدولة ✽
اذا انا لم امدح علي الخير اهله ولم اذم الوعد اللئيم المذموم

فقيم عرفت الخير والشر باسمه وثق لي الله المسامح والفا
اجل فما تحرك بنان ولا جرى قلم ولا نطق لسان باحسن من
البناء الحق على نصراء الحق فهو سبيل الوفاء ومنهج الاقنداء نجزي به
الانفس الطاهرة بما كسبت من الخير فيحسن اجتهادها ويدوم في الفضل
ارنيادها ثم تكون قدوة في الحسنات يسلك الناس مما تنهج صراطاً مستقيماً
فيحصل النفع كاملاً عمياً

وقد تأثرت المحسنين كشفاً واستعلاماً ومسا آيت المجتهدين عناية
بشانهم واهتماماً فلم ارَ فيمن رابت احق بالشكر واولى بالثناء واخلق بالحمد
واجدر بالاطراء من مصلح في زمان فساد ومسدد في مقام اختلال
ومقوم في حالة اعوجاج ومن تدوم عفته اليوسفية بين اسباب المفاصد
وثبت نزاهة نفسه الالية بين انواع المكائد تراوده الدنيا عن نفسه
فيدرا شيطانها ويقطع بسيف العفاف اشطانها ومن تعرض له الدنيا
فيرض عن بهارجها وينكب عن مناهجها فانه لافضل في العفة لمن
يعف اضطراراً وانما الفضل من استطاع الرغبة ثم عافها اختياراً

فكيف لا ينطق اللسان وكيف لا ينطلق البنان بمدح من استكمل
تلك الصفات واستجمع هاتيك الحسنات فاستحوذ على البابنا حباً وامتلكنا
قالباً وقلباً الا وهو الخير بشؤون السياسة البصير بامور الرئاسة النبيه
الذي عرف صاحب الامر قدره فاعزه واعلاه وتبين فضله فقر به وادناه
فلان ابده الله فقد ولي هذا الامر فاصلح وقام بالحكم فعدل وسار في
مسلك الحكمة فهدي حتى صار البلد به كمدنية الحكماء متالف السكان
على العلم والعدل والاخاء ثم صان فيه النعمة ودرء عنه النقمه
واجتلب اليه النافعات واجتنب فيه الشبهات وكان حكماً عدلاً لا بلين
حتى يطمع المسيء ولا يخشن حتى يجزع البريء فتالفت القلوب على ولائه
واجتمعت الالسنه على ثنائه والسنة الخلق اقلام الحق . اه

وكتب مقدمة لرسالة انشأها في رحلته الى اورو باعام ١٨٧٩ وكان

في العزم طبعها بعد ذلك

جرت عادة المؤلفين في كل عصر ومصر انهم اذا فرغوا من تأليف الكتاب وتحريره جعلوا في صدره مطلباً مؤخر الوضع يسمونه بالمقدمة وهذه مقدمتي لهذا الكتاب الا انها منسوجة على غير ذلك المنوال فقد انشأتها قبل تسويد شيء منه ونزعتها عن كلفة السجع وبرأتها من اعذار قد تكون اقبح من الذنوب

فاما تقديمي لانشائها خلافاً لما جرت به عادة المنصفين فلا في علمت من النفس انها لا تكون بعد الفراغ اعلم منها من قبل ولا في اصره دخول البيوت من غير ابوابها واما صيانتها عن السجع فبالباعث عليه فمه الخاطر وغشاء النفس من هذه الفقر التي مضغها الاقدمون وتلظ بها المولدون ولا تزاى تكررها الاقلام الى هذه الايام ثم العلم بعجزية عن الجيد الجديد واما تبرئتها من الاعذار فلا انها لا تغني عن المؤلف شيئاً فقد علمت من نفسي اني ما قرأت اعتذار مصنف بما شاء مما عساه ان يكون في سفره من الخطاء الا قلت اما ان يكون هذا الرجل معتقلاً بنفسه الاجادة ويقول ذلك تمدحاً فهو متكبر مغرور واما ان يكون مصدقاً ما يقوى في جانب ضعفه ثم الف واستهدف فهو احمق مذل الشعور .

فهذا الكتاب قد الفته في اعوام واصلحته في اعصار وضمنته كل ما علمت في بابيه وهو خلاصة اخبار وزبدة خواطر وحكاية احوال

تأريخ وابت وسمت في بلاد الافرنج فيه كلام في المدن وما هو في
 الجغرافية وعن الام وما هو في التاريخ وعن الدول وما هو في السياسة
 وعن الجماعات وما هو في الاقتصاد بل ما هو في كل ذلك وليس في
 شيء من ذلك فان احسنت فيه فالى الاحسان قصدت وان اسأت فذلك
 غير ما اردت والسلام

✽ وكتب الى احد امراء مصر ✽

جعلت وسيلتي الى اعتاب ولي النعمة وباب السيد السند كتاباً رفعته
 اثر الحادثة الى حضرة المولى فلان ثم جاءني ان المولى المشار اليه مخرف
 المزاح فخرت بنفسي على باب السيد الامير احمد الله اليه مؤدياً واجب
 الثناء عليه ثم استمعت نعمة الجواب عما اذا كنت اصلح لشيء من خدمة
 ولي النعمة في اوقات هذه النعمة فقد رأيت السنة الكاذبين طائلة بما
 يقصر همم الصادقين ولم اجد من مضاء في سيوف من رايت من المدافعين
 فبرزني واجب الخدمة لهز مصامة الذود عن الحق فطرفت باب المولى
 مستأذناً فيما دهاني الواجب اليه فان رأى له محلاً ورأني له اهلاً فله
 في الامر بذلك رايه العالي والا فحسبي منه انعطافه رضى والتفاتاه اهتمام
 وكلمة تنبيه بوصول هريضتي اليه وان تفضل سيدي اعزه الله بذكر
 الخادم في الحضرة العلية داعياً بتأييد الاربكة السنية كان ذلك تمام
 الفضل وله الامر وعلي الشكر في كل حال

وكتب في زواج احد نبلاء اليونان بالمشخصة الفرنسية المشهورة

ساره برنارد

خلّ المعارف فالمعازف سوّدت^١ بيض الثنايا الغانيات تغنيا
ودع العوالي فالمعالي وسدت للسائدات على الفصون ثنيا
الراقصات الواقصات القانصا ت قلوب ارباب الغرام تجنيا
او ما انبأك سمار الملاهي ورواة احاديث الصبايات ان الميلىع التياهة
المشخصة للابصار بما تشخص^٢ في الملاعب تمثيلاً بهجة التياتروالفرنسوي
وزينة مشخصات الغرب من لا يزال رأس ويكتور هيكو الايض
بطاطي^٣ لقبيلة كنفها كلما انشدت كلمة من شعره البديع الفتاة المدموازبل
عنواناً (ساره برنار)

من آل امرائيل فتانة قد عذبت اهل الهوى تياها
قد انزل السلوي على قلبها وانزل المن^٤ على فيها
اجل فقد انصل بها في هذه الايام فتى من نبلاء اليونان وذوي
الثروة الواسعة منهم فانضم الى فوج تشخيصها يطوف معها البلاد وبنقاد
لاحكامها ايما اتقياد معجماً بفنها أكثر من اعجابها بحسنتها فان ساره (وما
نريد^٥ بالهيف سوا نجيلة فحيفة بلمحة من الحسن لا تكاد تلج (ولكن
اول الحب الثنام وغايته التزام

والحب اول ما يكون مجانة^٦ فاذا تحمك صار شغلاً شاغلا
فصاحبنا ابتداءً باستحسان المشخصة فانتهى بمشق الذات والمنية واحدة
ولكن الوسائل مختلفات فابدى لها الغرام فسمحت فطلب الملازمة فما منعت
فوام الاتصال فامتنت الا ان يكون حليلاً ولا سكتناً ولا خليلاً فاجاب
وداعيات الوجد تحيفه من عادييات الصد
يا قريب الصدود والاعراض انا راض بما به انت راض

قال في كتاب ارسله من بيروت الى حضرة الصديق يوسف
افندي جباره بالاسكندرية

جاء في كتابك مذكراً منبهاً لحفظ ودك فما اذكر ناسياً ولا نسه
غافلاً ولا زادني شوقاً لامتناع المزيد ولكنه اتاني من انفاسك بما نفس
الكرية ومن آتارك ما تمتل به العين فله انت من صديق في القرب
والبعد والصفو والكدر والسراء والضراء
وبعد فان مرسل اليك رسمي تذكرة وداد وتقدمة فواد يمتني لو
كان حقيقة في ذلك الرميم على انه الديق من قبله ومن بعد
ثم اسالك يا خليل الوفاء ووفى الاخلاء تقدم شعائر سلامي وواجبات
اكرامي لآلك جميعاً صفوة الكرام وان تتقبل مني مثل ذلك جعلني الله
فداك ولا زات خادمك واخاك

وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب افندي نظمي بدمشق
بعد عودته من تلك المدينة

اشكو اليك سعة فضلك عن ان يحيط به يافيه وعظم منتك عن
ان يلم بشكرها قلبي او لساني فاجعل رقتك شفيعي لديقك وعفوك وكيلي في
التناء عليك

وبعد فقد وصلنا بيروت لاهجين بذكر محامدك هازجين بحديث
محاسنك فلم تنلنا مشقة ولم نشعر بطول الشقة ثم لقينا الاهل والاخوان
فكانت حفلتنا مجلس انس ندير فيه من احاديث فضلك مداوماً ونقصد من

معالي كمالك نداسي ثم لانهو بسكرها عن شكرها ولا نذهل بعدها عن حمدها
 فاجعل ايدك الله ضعف الشكر في جنب قوة العذر وتفضل بعرض
 هاته السطور في مجلس سادتي فلان وفلان تمسب صادرة اليهم بما
 تقصد به جنابك الكريم من الشكر والثناء فقد اتجدهم حبا وتالفتم قلوبا
 وقلوبا حتى امتنع الاختصاص فيما به تخاطبون لازلتم عصابة فضل تعقد
 علي مدحك الخناصر وتحنم علي حبكم السرائر
 * وارسل اليه جوابا على كتاب فقال *

يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجب عرفناه والسيادة حكم ما
 اعرفناه والادب رحم تقطعها الكلفة والكلفة لبسة تمنعها الالفة والالفة
 بيننا معقودة اسبابها بالصفاء عاقبة اهداها بالفاء
 فيا الف اخي خطابا لا امل لفظه ولا اهمل حفظه لقد سمعتي بكتابك
 ما لا اطيق واستعبدتني بجزء كلامك الرقيق فمن لي بالزفة التي حويت
 والمزية التي ملكت والفضل الذي اصبحت والكمال الذي ادركت لاخاطبك
 بلسانك واكتبتك بمثل بيانك . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله
 ولكل درجات مما عملوا

فما تجود يد الا بما وجدت ولا تكلف النفس غير ما وسعت
 ولست اعذر اليك فيما كان ظهوره منك ولكن الود يجلمك من
 حكم علمك واعوذ بفضلك من سهم عدلك
 اما الصديق فلان فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقا عاياه انه انخذ
 محبه صديقا ورضيا به خيلا لا يمله ولا يروم عنه عدولا ثم سبانه
 في محكمة الوفاء تسجيلا واشهدت عليه من اهل العهد شهودا عدولا (١)

(١) المكنى عنه بفلان في هذه الفقرة نسان افندي الشرايبي
 وسر الصحيفة البيضاء المشار اليه في الكلام عنه انه بعث الى دمشق
 بكتاب لا يتضمن سوسه اسمه في مكان التوقيع

واما الصديق فلان فقد عدت سكوته خطاباً يكون لكتابي السابق
جواباً لا يؤخذني فيه على وحدة^١ ثالثكم وما افردت لاقنومه كتاباً بل
بعد ما صدر عن واحد منبثقاً عن الكل بالاتفاق وان لم يكن من القائلين
بكايه الانبثاق (١)

فتفضلوا جميعاً بقبول سلام يمتزج به القلب وتتحد وتتحد به النفس
شوقاً اليكم يا احب الناس الينا ويا اكرم الخلق على الله

✽ وكتب من باريس الى يوسف افندي فارس بالاسكندرية ✽

الى الله اشكولظي في الفؤاد يسمى اصطلاحاً عذاب البعاد
وما للبلاد اشيتاق الفؤاد فعهد الوداد لاهل البلاد
اجل ولكن كيف انسى مراتع انسي ومراتع نفسي في مجالس
صفو وهناء بين معاشر فضل ووفاء ام كيف لا اذكر اياماً مررت بنا
كالاحلام فان لم تعد فلا كانت الايام وعلى الدنيا السلام
فيا رسالة الود ان وقت يباب الصديق مسلمة عليه مينة بعض شوقي
اليه فانشدي عني بين يديه

قالوا التباعد يوجب الهجرا كذبوا ومن ذاق النوي ادري
فالخب ذكر^٢ والمحجب اذا عز اللقا لم يعدم الذكرا

*

(١) المقصود بهذه الفقرة جبران افندي لويس والنكتة فيها ان الفقيه ارسل
له ولتعمان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك
هو عن الجواب

✽ وكتب من بيروت الى صديقه الياس افندي القديمي بدمشق ✽
 ما ترك القصور للعدو وجهاً ولا ابقى الذنب للمغفرة سيلاً
 فإلي حيلة الا رجائي وحلمك ان عفوت وحسن ظني
 ولست بزائد على هاته السطور حرفاً حتى يجيئني من لدنك ما يشعر
 بالرضى وبالغفوة عما مضى فان فعلت عدت ذلك فضلاً وان آيت كان
 أبوك عدلاً
 ولك الامر فاقض ما انت قاض فلي الغرام قد ولاكا

✽ وكتب من باريس الى الخواجا يهوذا كوهين بالاسكندرية ✽
 نعم النسب الادب ونعم اللقاء التذكار وان بيننا لذلك النسب لرحماً
 لا تقطع وان وان لنا من هذا اللقاء لشملاً لا يصدع فاذا استعنتك فقد
 استعنت نسبياً واذا ذكرتك فقد لقيت حبيباً وهذه صحيفتي ارساها اليك
 حاملاً نجات تسليمي عليك
 فهي الرسول الى الصديق ولبتي كنت اتخذت مع الرسول سيلاً
 تأتي فيقراوها الوفا ويحملها ال نعمي ويقطعها رضى وقبولاً

**

✽ وكتب من باريس الى حضرة الصديق الدكتور مملوك بالاسكندر ✽
 الالفة قد نفت الكلفة والوداد جعل الحديث الفواد فخرده عن
 زخارف الكلام وابعده من سفاسف الاحشام فدع ميم الكرامة ونون
 العظمة يستبقان الى حيث سار القارطان وتلقى من اخيك كتاب وداده
 متضمناً خطاب فواده

سار يسعي اليك سعي رسول اخرته عوائقي الابام
واجفأ بين رهبة ورجاء فهو بين الاحجام والاقدام
فتبسم له دليل قبوله وتقبل منه جزيل سلامي

**

✽ وكتب من بيروت الى بطرس افندي منصور تيان بيروت (ايضاً) ✽
« وقد اتاها من دمشق ونزل بدار شقيقته فلم يستطع زيارته فارسل اليه يقول «
يدعوني الواجب الى نادبك ويحبسني الالائق عنه فيا شوقي الى لقاءك
ويا اسفي على امتناعه فتقبل غير مامور فروض التحية القلبية بمن رضي
بالمراسلة من المقابلة رضي العاجز بالقليل الموجود من الكثير المفقود

**

« وكتب من بيروت الى الصديق ادب افندي نظمي بدمشق قبيل عودته «
علمت بان عتبك موصول باسباب حلمك فكنت على يقين من
عفوك وذكرت سابق ودك وموثق عهدك فارحني حسن الظن بك من
تكلف الاعتذار اليك

فامط ايدك الله نقاب العتب عن محيا الرضى فالعمر اضيق من ان
يسع وحشة العتب وفترة العذر وتقبل سلام صديقك صغيراً بصلح ما افسده
القصور ورسولاً ينهي اليك بقرب وفود المحب عليك ييثك مشافهة ما لم
يستطع بالمراسلة فينال لديك من القبول ما يكون فوق المامول

✽ انتهى الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع محتويآ على خطبه في ✽
✽ الجمعيات التي راسها وفي المنتديات الخاصة ✽

❖ الكاتب الناثر الشاعر الطائر الشهرة والخطيب المفوه المرحوم ❖

اويب بك اسحق

(ضمن اربعة اجزاء)



الجزء الرابع

« يشتمل على خطبه الانيقة »



« ثمن كل جزء على حدة فرنكاً واحداً »
(وثمان اربعة اجزاء ثلاثة فرنكات)

خطب ومحاورات اوبية

لمع من كلام له في محاوره جرت في جمعية زهرة الآداب بيروت
على نابوليون الاول هل كان خيره اكثر من شره وكان
في المحاوره سالبا قال

لقد سبق لساني الخاطر وخاطري الفكر في الرضى بهاته المباحثة
تذكرني بالرجل الذي ما رأيت فيه كبراً غير ذنبه وعظماً غير استبداده
ولا مميّزاً غير شره وقسوته فتقوى بها علة على حرف الضعف، وأضعف
صحة على طرف القوة فانه يمتنع على اي قلب لم يصف من دم الرحمة
وبتعذر على اي نفس لم تحل من روح الانسانية ويستحيل على اي
فكر لم يصفد من معنى الرشاد ان يذكر ما اجترم الظلام وما ارتكب
المفسد وما افتأت العادي ثم لا يناله عذاب التأثر ولا يمسه الم الانفعال
واي اجترام اعظم مما سابسط واي ارتكاب افطع مما سأروي
واي افتئات اضر مما سأبين في اعمال الآفة الحاصدة للارواح والبلية
النازلة بالابدان والصاعقة المنتقضة على عموم الانسان وصفت نابوليون
الاول وهذا الوصف لا يصل الى معناه وشميته واين من الامم
مستاه .

واست في موقف الخطيب لاملثل سيئات هذا الرجل ومنكرات
اعماله انذاراً للناس من التهالك على امثاله من التهلكان واغراء لهم
بمجانبة الوهم الباعث على تأييد الظالمين واجتناب سبق الحكم الداعي

لتقوية الطامعين واطراح الغية الحاملة على رفع اقدارهم السافلة ونبذ الفتنة
الحادية لاجلال نفوسهم البائلة

ولست في مقام المؤرخ لاجيء بتفصيل اعماله ومعمل اقواله خصوصاً
بعد انتهاء الملك اليه فاعرضها في مجالس الحق فيصدر حكم الانسانيه عليه
ان يهبط من جنة التعظيم الى حميم الخزي والتحقير

وانما انا مناظر في موضوعه التزمت ان انفي عنه ما لم يكن فيه
البته من الخير واثبت له ما كان راسخاً فيه من الشر وما التزمت الا
بيان البين وتحصيل الحاصل . بل لا ارى للقول في الوجه الاول مجالاً
فقد كان ممتنعاً عن فطرة هذا الرجل ان يصدر منه شيء من الخير
بالارادة والاختبار فان نتج من افعاله شيء مفيد فوجه النفع غير مقصود
فيه وانما حصل عنه كما ينفع المقاتل ورثة المقنول والهادم عطل الفعنة
والكاسر مهمل الزجاج لا يقصدون النفع فيما يعملون وانما بنشأ ذلك
عن طبيعة تلك الاعمال وقد يكون في بعض الشر خير من بعض
الوجوه .

واما وجه شرية هذا الرجل فهو ظاهر في اعماله واضح في اقواله
نظقت به افواه المؤرخين الصادقين ورسمته على صفحات القلوب دموع
النساء والاطفال ودماء خمسة مليونات من الرجال فلم يخف بهرج انتصاراته
في ساحات القتال . واني ناظر فيه من ثلاثة وجوه الاول حالته الادارية
والثاني حالته السياسية والثالث حالته الذاتية الخصوصية . مبيناً ما الحق
باتناس عمومياً وبالبلاد التي وليها خصوصاً من جسيم الاضرار في كل
حالة من تلك الحالات معيناً في الاخيرة ما كان عليه من فساد الخلق
وسفالة الفطرة وخسة النفس ليعلم انه لا بعقل صدور شيء من الخير
المقصود عن تجمعت فيه ملكة النقائص

لا تراج الاصلاح من فاسد

فالشهد لا يجني من الخنظل

ثم ابنت شربة نابوليون في الحالتين الاوليين بذكر استبداده وغدره بالجمهورية التي كان من رؤسائها وتحامله على اعدائه من ذويه وميله مع الهوس في حروبه التي انتزفت اموال الفرنسيس ودماهم عبثاً وهدرها وسعيه في استئصال جرائم الحرية التي تظاهر من قبل بصرتها خداعاً وايدت ذلك بالامثلة الواقعة والادلة القاطعة من التاريخ ثم قلت :

وقد كنت في غنى عن بيان تينك الحالتين بما اذكر من الحالة الثالثة الدالة على لؤم طبع الرجل وبعد نفسه عن النفع والخير فما يصدر الخير العظيم الا عن الطبع القويم وكل من خلا عن الفضائل فهو دنيء سافل . قال شاتوبريان في وصف نابوليون الاول ما معناه :

« ولد بونايرت ليفسد في الارض فهو يحمل الشر بين يديه كما تحمل المرضع طفلها بفرح وافتخار ويكره سعادة الناس كراهة الارمد للنور فقد قال ذات يوم " لا يزال في فرانسنا اناس سعداء من بعض ذوي البيوتات المقيمين بالضواحي والارباض فهو لاء يعيشون من دخل لم يكن بين ثلاثين الفاً واربعين الفاً فرنكاً ولا يعرفونني وتكنني سالم بهم لا لئمال « وكان ينفر من كل مزية لغيره ومن كل شهرة لسواه ويجسد اهل الذكاء والفضل والنباهة بل ربما كره شهرة الجريمة ان لم تكن صادرة عنه . اهـ

فان قيل كان شاتوبريان على فضله وثبوت صدقه من اعداء نابوليون ولا عبرة بشهادة العدو اوردنا لتأييد كلامه قول مدام (دي رموزا) فهي عالمة باحوال نابوليون واقفة على حركاته وسكنانه وقد كانت من انساء قصره المقربات وتوفيت عام ١٨٢١ قالت لم اره اسفل والتم من نفس هذا الرجل فانها خالية من آثار الكرم والشرف ولم اره البتة مستحسنًا شيئًا حسنًا بل كان يخفي اندهائه بحجاب الاستخفاف ولا يعتقد الصفو في احد من الناس حتى انه كان يقول ان الذي يميز بعض الناس عن بعض انما هو الدقة في اختلاق الكذب . ومما اقل من

لفظه قوله : ان مترنيخ (الوزير الالماني المشهور) يقرب ان يكون رجلا سياسياً فانه مليح الكذب
وقالت هانه الخانون ايضاً . كانت خدمة هذا الرجل من اعسر الامور فقد كان يعامل خدامه بالعنف ولا يريهم سوى الغلظة حتى انه قال وهو على حالة من الحالات التي يغلب فيها اليقين على اللبس فينطق اللسان بما في النفس لا شك ان الرجل السعيد من اختباء وفي في طرف احدى الولايات ولا ريب ان العالم يتنفسون الصعداء يوم اموت اه

قال احد الشارحين لهذه الكلمات : ما اكتفى العالم بتنفس الصعداء يوم مات ذلك الظلام ولكنه بكى فرحاً واشتكى تذكراً ثم ضد الجروح ورمم الخراب وما كان ذلك مما يتم في مدة ايام ولا في عدة اعوام اه

وقالت مدام دي ستايل وكانت من مشاهير نسائهم : كان نابوليون الاول بعد الانسان الحي بمنزلة الجراد ولم يكن يجب ولم يكن بكرة بل كان لا يرى بذاته غير ذاته ولا يعد سائر الناس غير ارقام اعداد وكانت قوة ارادته قائمة بقصد اثرته وكانما هو شطرنجي بارع يحسب الارض رقعة والناس ييادقها فلا الشفقة ولا الذمة ولا الشرف ولا التعلق بشيء ما يحوله عن الوجهة المقصودة فهو بالنظر الى مطعمه كالمبادل بالنظر الى الفضيلة اه

وخناط المبال فيه ما اورده المسو دي بيري من تقرير له على خواطر الخاتون ديبى رموزا في جريدة الفلسفة الوضعية قال : لقد ترينا الطبيعة في احوال الخلقة البدنية عجائب من ذوى العاهات كالصم والبكم والبلد وامثالهم وفي احوال الطبائع الخلقية غرائب من ذوى العاهات النفسية من مثل " ترويمان " و " ابادي " و " المركيز دي ساد " و " لسانير " - اشرار معروفون فيهم - وغيرهم من انواع المجانين الذين خلوا عن كل ما

يجعل الانسان اليقناً او كان ذلك فيهم شديد الضعف . ولا ريب ان لو كان اكثر الناس على هذا الخلق لكان الاجتماع الانساني محالاً فانه من لوازمها ان يكون في كل واحد من الناس شيء من عواطف الانسانية والعدل المعبر عنهما بحسب الغير

ولقد كان بونايرت خالياً عن ذلك رأساً كما يشهد ملازموه والمثقفون اليه والذين استطاعوا هناك سجون الكذب عن حقيقة احواله . فخذ هذا الرجل انه لا يجب غير ذاته ويزدري بسائر الناس فيستخدمهم لمقاصده وينتزف منافعهم لمطامعه ويضحى بهم غير راحم على مذبح ذاتيته سالكاً لمقصد مسلك الكذب والشدة والخداع . اهـ

وله الحرية

(خطبة القاها شفاهاً في جمعية زهرة الآداب)

✽ الحرية ✽

موضوعي الخاصة التي مدحت بما لم تمدح بمثله فضيلة وذمت بما لم تدم بمثله رذيلة والتي هي عند بعض الناس هنا وعند بعضهم شقاء وفي اعين فريق راحة وفي اعين فريق عناء ولدى قوم حياة ولدى قوم فناء . والتي مرت عليها الايام وكرت الاعوام في حجة هذا الموجود الانساني منذ شق عنه حجاب الخفاء وما برحت موضع اختلاف بين الباحثين والمعرفين . موضوعي الحرية

وانا على يقين من اني لا اجد في هذه الوجوه الزاهرة انكشافاً ولا احدث في هذه النفوس الطاهرة انقباضاً من ذكر هاته الخاصة التي

فدتها رجال الانسانية من اسار الجهل والعبودية بدم كريم لا يساع ولا يشري

فلا يبق الا ان اعد النفس واهبي الخاطر واخفض من جناح الخضوع وانزدي لباس الرهبة والخشوع لادخل مقدس هذا الموضوع فالحرية ثلوث موحد الذات متلازم الصفات يكون بمظهر الوجود فيقال له الحرية الطبيعية وبمظهر الاجتماع فيعرف بالحرية المدنية وبمظهر العلائق الجامعة فيسمى بالحرية السياسية

وقد حدها (منتين) بقوله هي المقدرة على فعل كل ما يتعلق بذاتي وبمثل ذلك حدها الحكيم سنيك من قبل . وعرف (منتسكيو) الحرية المدنية بان لا يجبر المرء على ما لا توجهه القوانين وعرف السيادة بان يفعل كل ما تجبره القوانين ومرجع هذين الحدين الى وهم واحد وهو الذهول عن ماهية القوانين فان الظاهر من قول هذا الحكيم الفونسي ان الحرية موجودة في واشنطن وجودها في طهران حاصلة في لنديا حصولها في بكين وليس الامر كذلك بل الحرية الحقيقية غريبة في كل مكان لسوء حظ الانسان

وقد اتفق الكثير من الناقدين على تعريف الحرية بكونها مقدرة المرء على فعل ما لا يضر بغيره من الناس وهو عين الحد المنصوص عليه في القانون الروماني وفيه نقص من وجهين الاول ان حد الاضرار منوط بالاحكام الموضوعة على ما بها من الحل والثاني ان قيد الاضرار بالغير يخرج عنه الاضرار بالذات وهو مخالف لمقتضى الناموس الطبيعي الحقيقي بالاتباع

اما حدود المداجين وتعريف المناقنين للحرية فلا محل لايرادها ولا موضع لانتقادها في مثل هذا المقام فعاية القول فيها ان اصل السلطة الاستبدادية حيث كانوا ومن حيث كانوا يفثرون على الحرية كذباً في تعريفها بالطاعة العمياء والتسليم المطلق لمقال زيد مروياً عن

حكاية عمرو مسنداً الى رواية بكر مؤيداً بنام خالد فمي بموجب هذا الحد فناء الذهن وموت القوة الحاكمة وخروج الانسان عن مقام الانسان

الا ان اختلاف المعرفين وخطاء كثير من الناقدين وابطال ذوي الاغراض الذاتية ومفاسد الهيئة الاجتماعية كل ذلك لم يمنع من ظهور نور الخربة من خلال القاف الاقوال فهي فيما ترشد البدهة خاصة طبيعية وجدت لينمي بها الانسان قواه البدنية والعقلية متدرجاً في مراتب كالات الوجود ثم كان من سوء بخته ان مظاهر السلطة انت على ضدها من كل وجه وفي كل زمان حتى كأنما اول ما سمت فيه الجمعية البشرية الا يكون الانسان انساناً . فقد المت هاته الجمعية بالحرية الطبيعية في كل مكان

او ما نري كل اناس يرومون ان يكون الولد على شاكله آباءهم فالصيني يخنق رجل الطفلة بالنعل الحديد لتشب على خلق جدتها والاوروبي يضعف يسار الطفل لتكون يمينه اقوى والشرقي يخنق الطفل بحملته في الثفافة والقماط

ثم ان البهلوان يعود صغيره الحجل على احده القائميتين ويلين اعصابه بقوة والكل يعارضون قواه الطبيعية ليشبهه سائر القوم . فهذه العادات القاضية على الموجود الانساني بان لا يكون كما وجد ولكن كما يريد الناس ان يكون ذاهبة بحرته الطبيعية راساً . فلقد راينا الاقوام يربون الولد كما يضربون الدراهم فهم يرومون ان تكون جميع القطع متماثلة متشاكله ولا يقبلون منها ما كان مختلف النقش عن الجملة وكذلك الانسان الذم يخالف سائر قومه في الخلق والخلق يفقد فيهم نصف قيمته لا اقل

ومن ذلك ينشأ فينا خفة الاعجاب وبله الاستغراب وجنون الدهشة من رؤية كل شيء غريب الا الرذيلة فانها حينما تكن تصادف اهلا

وذلك لان هيئة الاجتماع التي تقتل حريتنا باحكام التربية لا تعنى بفضائل النفوس عنايتها بالصورة الخارجية

واما الحرية المعنوية فقد كان الملام الهيئة الاجتماعية بها اشد وانكى فانه لا يكاد الطفل يخرج الى عالم الوجود حتى يغمس في ماء الكنجج او يرمم بما لا يعلم ثم يوجه فكره الى من يجهل من المعبودات التي لا حقيقة لها ولا اله الا الله . ثم تأخذ الوالدة او الظئر في تعليمه الفاظاً لا يفقه لها معنى وتخيالات لا يدرك لها سرّاً ثم يلقى بايدي المربين من اللامات والموبذانات فيتولون ذهنه الطاهر البسيط ويعركونه كالشمع ليرمموا عليه طوابع تعليمهم ثم يعيشونه عنوة لا تلي الخير ولكن على ما يظنونه خيراً ويمنعونه لا من الشر ولكن مما يحسبونه شراً ملقنين به بين الرهبة مما لا يعلم والرغبة فيما لا يتوهم حتى نرسخ في ذهنه آراؤهم وتستحكم في نفسه صبغتهم فيعيش من التهاط الى الكفن كما ارادوا لا كما اوجده الله

قال جان جاك روسو : ان عنف الامهات في شد ولدم بالفائض والافطمة يضعف منهم الاعصاب فمن على ذلك ملومات . وامن هذا العنف مما يرتكب الذين يشدون العقول بلقائف الاوهام حتى تضعف بل تلتف اعصاب الازهان والافهام . نعم ومن اجل هذا رسخت عداوة الحكماء في قلوب المتسلطين الاقوياء وما يبغضون الفلاسفة انفسهم ولا يبالون بسقراط ولا غيلانوس ولا دسقرط وامثالهم من حيث كانوا وانما يخافون منهم الجرأة على الرجوع الى العنل واتخاذ الفهم الطبيعي دليلاً في سبيل الانسانية وهذا لا سواء ما كانوا يحاولون قتله بالسيف والحبل والنار .

ثم ان تعليم الانسان يتم استعباده وقتل الحرية فيه فان سادته لا

يسعون في توسيع نباهته ونكثهم بشربونه فهما جديداً حتى صار التهذيب عبارة عن افساد الذهن وتضليل القوة الحاكمة فالاستاذ لا يعرض تعليمه ليؤخذ اختياراً ولكنه يوجبه ليحمل اضطراباً . وبذلك تأيدت الاغلاط واستحكمت الاوهام واستمرت الجهالة على مرور الاعوام . ثم نغز التعليم بالقانون ثم تأيد بالعادة فائتبه الجهلة قضابا مسئلة لا نرد فكان الناس الى ما قبيل هذا العهد يمشون القهقرى ويهبطون من معالي فصاحة المخترعين الى سفاسف اقوال المستظهرين ومن محاسن اقوال الابداع والتصورات الى مساوي الاوهام والتخريفات وهلم جرا وكيف لا وقد كان التعليم امتيازاً لفرق من الناس معلومين لا يلقون منه في الالباب الا ما لا يخرجها عن دائرة الملائم لاغراضهم والموافق لما يضمرون فكانوا يقتلون اوقات المتعلمين بما تقوى به الحافظة ولا تستفيد منه القوة الحاكمة شيئاً ويضعون لهم على نوع ما ذلك العلم الذي يتلقون فكما خالف وضعهم وخرج عن رأيهم عدوه من اثار الثورة وتجليات الخطاء وان كان صواباً . تشهد بذلك معاملتهم للعكاء واحرار الافكار وتنطق به السجون والنطوع في كل زمان ومكان

وما كان ذلك ليفيد اهل السطوة نفعاً فيما يحاولون من تهديد النفوس ولكنه يزيد اهل الحرية استمسكاً بها حتى يلبثوا حد التعصب فيه . فالتشديد من جانب الدين يضعف الايمان والعنف من جهة السلطة يجاب العصيان والعاظمة من الطرفين لا تزيد على افتياد الفكر لما يمكن الوصول اليه بدلالة العقل ان كان خيراً او رده عما يمكن النجاة منه بقوة الرشاد ان كان شراً

ولكن احكام الهيئة الاجتماعية مبينة لمبدأ السهولة فهي تفضي (بالمغايرة) او (الجنحة) او (الجناية) او (الجريمة) في كل ما يخالفها والغرامة والسجن او السيف من وراء تلك الاحكام لتأييدها على زعم المخالفين . فخرية المرء واقعة تحت احكام استبداد مستمر

ولا يؤخذ من هذا القول ان نروم الاطلاق المحض في الحرية بمعنى اخراجها عن كل حد وتعريف وقانون فذلك فيما نعتقد يردّها الى العتيدية بحكم ان الطرفين بتلاقيان وانما المراد اظهار آثار القوانين الموضوعة والعادات المألوفة في حرية الانسان . فالقانون الحق لا ينتهي من الحرية ولا يزال الاستقلال ولكنه يقيم لها حدوداً تقيهما الضعف والاضمحلال وشرط الحقيقة في القانون ان يكون موضوعه الحرص على حقوق الكل والحفظ لحق الفرد ما لم يمس تلك الحقوق فالحكم يكون قانونياً لا من حيث انه يذهب بحرية فرد من القوم ولكن من وجه انه يحفظ حرية الكل . فلا ينبغي للقوانين ان تمس غير الذين الموا بحقوق غيرهم من الناس . ولا يسوغ ان تؤثر في شان الوطن الا بمقدار ما يصيب من حق الجميع فهي من هذا القبيل معدلة للحرية لا ناسخة هي ولا مبدلة .

ولا شك ان هذا الضرب من القوانين قد عدل واصلاح في اكثر البقاع حتى كاد يبلغ في بعض الاقطار حد الكمال وحتى صار في المامل وصوله الى ذلك الحد في سائر الامصار فقد نسخت آيات العدالة احكام الامتياز الفاضح القاضي لبعض الناس بالراحة كل الراحة وعلى بعضهم بالعناء كل العناء

وابطلت احكام التبعة مراسيم الاستبداد الرافعة لبعض الناس الى مقام الالوية والمهابطة بسائرهم الى منزلة العجاوات . فلا يؤخذ اليوم الوف من الناس لمخالفتهم راي واحد ممن يساكنون ولا يسجن الافراد ويقتلون صبراً بلا محاكمة ولا قانون الا عند الذين لا تزال شمس الحقائق محجوبة عنهم بغيوم الاوهام فهم لا يبصرون

وليس الامر كذلك في القوانين السياسية فهي عند الاكثرين استبداده اصلاً و فرعاً تحتجب فيها الحرية بالوان الحكومات وتضعف بشهوات الامراء ونعوه او تشوه بثورات الشعوب . فمقتضى ماهية الحكومة

ان لا حرية فيما بنيت احكامها عليه وموجب شهوة الحاكم ان الحرية قائمة بما مات نفسه اليه وغاظة الشعب في ثورته محسنة لذلك الفساد من وجهيه .

وانغد رأينا دعاة الحرية يحاولون الوصول الى غايتها الموهومة واهل الاستبداد من ورائهم يزايون اعدام جرثومتها الطبيعية وما يفلج التفريقان فيما يعالجون . . ربما اخطاء اولئك من حيث يتوهمون الصواب وضعف هولاء من حيث يلتمسون القوة . فقد بالغ (جان جاك روسو) في مقاومة الاستبداد وتأيد حرية الافراد ولكنه قيد هذه الحرية بارادة الجمع فوقع فيما حاذر من العبودية . وظن غيره من الباحثين ان الوطني يبادل ما يفقد من حريته الذاتية بما يحصل له من الامن بالاحكام المدنية . وهي نزعة مستنكنة تنحصر بها القوة في الحكم فيملك ما يريد اخذه من الحرية وما يروم اعطائه من الامن فيفضي به الامر الى ترك الحرية بلا ضمانة والوطني بلا استقلال

ولا يصح بالنظر الى الحق ان يخرج الوطني عن ان يكون حراً . فانه لا يعد الهيئة بوثيقة الاجتماع الا باعانة مماثليه وحفظ الوطن الذي نبت احكامه فيه فهو في جمعية ضمانة متساوية في الجانبين فاذا ساعد فيها الكل لم يخسر من استقلاله شيئاً الا عوض منه ولم يحصل له من الكسب شيء الا كان مضموناً

وكما ان الاحكام يريدون تقييد الحرية بما يتصورون من الاحكام كذلك حاول بعض الناس اعدام الحكم والحكومة بما يتخيلون من الاوهام .

فالسطة والحرية متماثلتان في الحدة يفضي بهما الخلاف الى الغضب وتؤدي فيهما الصعوبة الى العداوة . ومن اجل ذلك رأينا ذوم الامر ميالين الى الاستبداد والشعوب الى الاطلاق . ومن اجله كان ارباب الخطط الذين هم مظاهر السلطة بفضاء عند سائر القوم ومن اجله

كانت الرعية بمنزلة الاعداء عند المستبدين
ومن المقرر المتفق عليه بين النقدة الاحرار ان الحرية والمساواة
متلازمتان فلا حرية مع الامتياز ولكن هناك درجات عبودية من
الامير الى احقر الرعية تتصل ادنياها بالرق ولا تصل عليها الى الحرية
ولا خفاء في ذلك فخذ الامتياز ان يعمل احد الناس ما لا يجوز
لسائرهم وان يحظر على الجمع ما يجوز لبعض الافراد بحيث لا يتمتع
الممتاز بمزية ما لم يمس حرية سائر القوم ولا ينال هؤلاء حريتهم الا
بانعدام تلك المزية فالامتياز والحرية متحالفتان

على ان الامتياز منافي للقوة الحاكمة ايضاً بما فيه من اخراج بعض
الناس عن دائرة الحكم الكلي وتخويلهم من ذلك حقاً غير طبيعي يكون
حكماً على الحكم فهو عدو الحرية والحكومة معاً يظاهر المستبدين على الشعوب
وهؤلاء على المستبدين ثم لا يتحد باحد الفريقين في حال

ولكن ليست المساواة مبدأ الحرية وانما هي نتيجتها الطبيعية فان لم
لوجد فلا تكون تلك حقيقة بل اذا ظهرت الحرية بمظهرها الحق بين
الذين تولاهم الامتياز خالوا انها بدعة منكورة وما هي في شيء من ذلك ولكن
بدعة الامتياز اخفت عنهم الحق وهم لا يشعرون

فما تقدم يعلم ان الحرية السياسية بعيدة المنال عسيرة الكمال بل
يكاد يمتنع تكاملها في فريق من الناس بما يؤثر فيها عوامل العادات
والقوانين والاحوال والاخلاق الاجتماعية وانما تحصل منها ضروب متنوعة
تشبه ان تكون ضروباً من الامتياز ثم تكثر وتمتد حتى يحصل منها
لكل واحد من عقود نصيب فتعمم انواع الامتياز كأنهم جميعاً نبلاء
ولو حصلت لهم الحرية الحقيقية لكانوا جميعاً متساوين

اقول هذا ولست اجعل ان الشرط او القليل او التقي لا يفيش
شيئاً فقد مرّت الوف الاعوام على جماهير الانام والحرية عند اكثرهم
مجهولة المكان فما بعدك من الكمال ايها الانسان

✽ التعصب والتساهل ✽

وهي خطبة القاها في جمعية زهرة الآداب

لقد جرّس لفظ التعصب على السنة اهل الانشاء العربي بمعنى الغلو في الدين والرأي الى حد التصامل على من خالفها بشيء فيما يدين وما يري واجريت ها هنا لفظ التساهل بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد على ضد ذلك الغلو متابعة للافرنج في لفظهم المعبر عن هذا القصد (توليرانس)

ولا اجمل ان هذين الحرفين - لفظ التعصب ولفظ التساهل غير وافيين بالمراد منهما اصطلاحاً وان في ايلاء الاول معنى الغلو في الدين والرأي توسعاً عظيماً في اشراب الثاني ضد ذلك المعنى خروجاً عن الحد اللغوي ولكن للاصطلاح حكماً نافذاً يسوق الالفاظ الى المعنى الغريب فتتقاد فاذا مررت عليها الايام وصقلتها الالسنه والاقلام جاءت منطبقة عليه بلا ابهام ولا ايهام

وحد التعصب عند اهل الحكمة العصرية غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الراي حتي يحمله الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ذهاباً مع الهوس في ادعاء الكمال لنفسه واثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق

وحد التساهل عندهم رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كأنه ما كان رجوعاً الى معاملة الناس بما يريد ان يعاملوه فهو على اثباته الصواب لما يراه لا يقطع بلزوم الخطاء في رأي سواه

وعلى رغبته في تطرق ربه الاذهان لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون

فمن نبين هذين الحدين بصيراً سليم العقل طليق الذهن من اسار الوهم حارلاً شك في كثرة من يراه من اهل التعصب على قلة من يمر به من المتساهلين . وعجب وحق له العجب من بني نوعه كيف يداخلهم التعصب فيما يعتقدون وما يرون وقد عجزت افهامهم عن ادراك الكثير من امرار هذا الوجود وقام لهم في كل حركة وكل سكنة من افكارهم دليل على امتناع الكمال على بالانسان وكان لهم في تعصب الاولين هبة ولو كانوا يعتبرون

الم يروا كيف تعاقبت المذاهب وتوالت الآراء وتتابعت قضايا العلوم الانسانية معدودة في عصورها من الحقائق وفيما يلي تلك العصور من الاوهام . ولا اذكر العقائد الدينية متسلسلة من بوذا الى زرودشت الى كونفوشيوس الى سائر دعاة الدين كراهة ان يتوهم في قصدها بالذات بل حسي الاشارة الى تعاقب الوهم والحقيقة والخطأ والصواب في قضايا العلم عبرة للمتعصبين

الم يكن القول بسكون هاته الارض قضية مسلمة وبدوران الشمس من حولها حقيقة معلومة وبقسام البسيطة سبعة اقاليم علماً يقيناً او لم يكن طب ابقراط هاما وفلسفة ارسطوطاليس كشافاً وتعبيراً ابن سيرين حقاً فاذن تقول روم الذين تعصبوا لهاته الاوهام على من كانت في ريب منها فالزموه الصحة والخسف وعاملوه بالشده والعنف حرصاً على ما يتوهمون من الحق والحق بريء منهم لو يعلمون

ولقد رجعت الى المحفوظ من اخبار الامم حتى بلغت الحد الذي يدخل التاريخ منه في ظلمات الريب والخفاء فامر بي جبل من الناس ولا حقبة من الزمان الا رايت من آثار التعصب في الدين والرأسي ما ينقبض له الصدر استنكافاً وتثور منه النفس استنكاراً ثم

عدت الى الظفره الانسانية لاستكشاف العواطف الطبيعيه فرايت فيها من السذاجه والسلامه ما ينطبق على حكم التساهل من كل الوجوه فعلمت ان التعصب على قدم وجوده حادث طارئ على الانسان نولد عن مفاسد الرئاسه في الجماعات وتأصل بالعاده والتقليد حتي صار في النفوس من الملكات . يظهر ذلك لمن تدبر في قدم التعصب في جنب خروجه عن الطباع ويعلمه من تأمل احوال الرئاسه في صدور هيئات الاجتماع .

ولعلي اوجزت واجملت والامر محتاج الى الايضاح والتفصيل فاقول :
 قد اجتمعت آراء المتفكرين على ان الرئاسه قد حصلت بدهاء بدءو للمتمولين او الاقوياء وفي الحالين لم يامن الروساء على سطوتهم ان تزول بفقد الثروه او انحطاط القوه فالتمس النبهاء منهم تايدها بما لا تؤثر فيه التوازل ولا يضمفه كرور الايام فوضعوا للجماعات احكاما كل رئيس وما توهم فيه المطلحه او ما راي ميل قومه اليه فرضي لكل اناس مشربهم وقالوا هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وقال غيرهم من الاقوام بل الحق ما نحن عليه فانتم في ضلال مبين فوقعت بينهم الاحن وشبت اعقابهم على العداوات حتي قويت روابط اوهام فزقطعت صلات الارحام فصار من الفضيله ان يقتل الانسان اخاه ان خالقه فيما يراه وامتلات رؤوس الحق عنادا فملأوا الارض فسادا فعدت المظالم عدلا وسميت المذابيح جهادا

ولا احاول استيعاب المفاسد والوزائب التي نشأت عن التعصب في الدين والرأي فذلك تاريخ الحروب والفنن والغارات والمهاجرات من صدر الاجتماع الانساني الى المائه السالفه في بلاد الغرب والى هذه الايام في بلاد الشرق . بل الغرب على انتشار العلوم فيه وحصول العربيه لآكثر ساكنيه لم يخلو الى الآن عن آثار ذلك الداء العياض
 نعم لا نري فيه الان افرادا وجماعات من الناس يذوقون الوان

العذاب ثم يقولون صبراً شهداء ما يعبدون كما وقع لاهل النصرانية في دولة الرومان ولا نجد الوفاً من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم بالقوة او تهدر دماؤهم لاستملاكهم بما كان يعبد اباؤهم كما جرے لليهود في اسبانيا ولا نبصر ديوان عقاب وبقمه يحكم بالتشهير والحد والتعذيب والموت على من اتهم بالثك في رواية بعض النساء عن بعض الاطفال كما كان ديوان التفتيش في كثير من الممالك الافرنجية . ولا ننفي مثات الوفا من نبهاء الخلق الامناء الصادقين يبيتون في منازلهم ويؤخذون بالسيف ثقيلاً لمجرد انهم يفهمون من آية الكتاب خلاف ما يفهم غيرهم من الناس كما حل بالبروتستنت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيس ولا نجد ايضاً جماعات من الخلق لا يستطيعون النطق بما يعتقدون ولا الظهور بما يعبدون ولا افراداً من الجماعة يعاقبون بالسجن او التبعيد لانهم ياكلون البلب حيوانهم في زوايا اكوامهم يوم ياكل سادتهم الوان الاسماك الشبيهة ويشربون معتقة الخمر في غرف القصور .

نعم لا نرى كل ذلك في الغرب الآن ولا نكاد نبصر في الكثير من اقطاره مأخوذاً بما اوضح من رأيه وما شاع من مذهبه وان خالف رايه الاكثرين ولكن هذا التساهل في الهيئات ارسخ منه في الافراد الا الذين نظموه من ادران التقليد وسلموا من عليل الاوهام وغالبوا الملكات الحاصلة عن العادات وترفعوا الى مقام السذاجة الاعلى وقليل ما هم

والا فما هذا الذي نراه من التحامل على بقايا آل امرائيل في بلاد الروس والامان وما ذلك الذي مر بنا من مظاهر الاحن بين الكاثوليك وغيرهم في تلك البلاد وماذا الذي نسمع به الآن من

الخلاف والشقاق بين الشيع المتباينة في فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وغيرها
من اعرق البلاد في التساهل والحرية

ألا أقص عليكم اخواني شيئاً مما تبين من محاكمة المتهمين بالنقطة
التي جرت منذ نحو شهرين في بلد (منسوليمين) بوطن الفرنسي :

تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في ذلك البلد (والبلد
عبارة عن المعدن والعاملين فيه) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتوراً
في العبادة او ضعفاً في العقيدة التي يعتقدون ضربوا عليه الغرامة اجرة
يوم وبومين وما فوق واذا ظهر عليه انحلال العقيدة طردوه من المعمل
رأساً اي حكموا عليه بالفاقه وعلی عياله بالجوع واذا مات ذلك المنحل
العقيدة فشيعة صاحب له من رفقاء اتعابه الى القبر عاقبوا المشيع بمثل
ذلك العقاب وهم في البلد الذي افتدس اهل بهدمائهم حرية السعي
وحرية الرأي وحرية القول فما الظن بغيرهم من اهل سائر الاقطار
وما الظن بنا نحن الذين كان من نعم الله علينا ان وجدت بلادنا
المقدسه مهبطاً للوحي ومقاماً للعقائد الدينية من عهد موسى صلوات الله
عليه الى هذه الايام

بل ما الظن بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف الكرام فيما
لا يمس جانب النفع الادبي ولا يتصل بطرف الفائدة الحسية حتى ان
معارف علمائنا في هذه الحقبة لتشاكل بالحرف معارف آباؤهم من
ثلاثمائة عام وتخط بالضعف عما كانت عليه معارفهم من الف عام وما
الظن بنا ومثلي متكلماً بهذا الموضوع في مثل هاته الجمعية الزاهرة يخاف
معاذ الله ان لا يجد لديكم استحصاناً . لا جرم انا اسعد خلق الله في اسعد
بلاد الله فالحمد لله ثم الحمد لله

وقد سبق القول في حد التساهل انه رضى المرء براهه اعتقاد
الصحة فيه مع احترامه لراي سواه . وهذا وان كان من الواجبات البدئية
والقضايا المسلمة عند ذوي العرفان الا انه لسوء الحظ كغيره من سائر

الواجبات ترشد الحكمة اليه ولكن تغلب الشهوة عليه حتى لا يكاد يوجد في الانسان الا عند العجز عن مجازاة حده لمجازاة ضده فهو كالخرية يشاقها الانسان مرؤوساً ويكرها رئيساً وكالزهادة يقبلها سقيماً وبنذها معافى سليماً فلا يثبت على تغير الاحوال الا عند ذوي النفوس الكريمة والعلما الغويمة وما هم بكثير

فلكم رأينا من فئة مستضعفين يطلبون التساهل ويدعون اليه بكل لسان ويشبتون له الوجوب من كل الوجوه فلما ان قامت دولتهم وقويت شوكتهم وصار اليهم الامر والقوة كانوا من الغلاة المتعصبين . وهذه قوارخ العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية والعرائق السياسية فيما تعافب عاينها من القوة والضعف والتبول والرفض شاهدة بصحة ما اقول لا يقف النظر على صفحة منها الا رأى التساهل في ضعفه متعصباً يوم قرته والمتلاين في حال خسفه متشدداً في دولته . ولذلك لم يرض الحكماء من التساهل بان يكون صادراً من الله ان مراعاة الاحكام الضرورة او من عاطفة القلب ميلاً الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيه الاعتقاد بتعنته على الانسان علماً منهم بانه يكون في الحالة الاولى متعلق الوجود ببقاء تلك الضرورة والضرورات قابلة الزوال وفي الحالة الثانية متوقف البقاء على وجود تلك العاطفة والعواطف لا تستقر على حال ومثل هذا الواجب الادبي الحق لا ينبغي ان يناط بهاته الاسباب الواهية وتلك العرى الهربية الانحلال وانما اللازم فيه تقييده بمبدأ متين من الحق وتأريده بعماد مكين من اليقين بحيث يعلم التساهل مع مخالفته فيما يظهرون من آرائهم وما يعانقون من مذاهبهم انه لا يفعل ذلك رهبة منهم ان كانوا اقرباء ولا شفقة عليهم ان كانوا ضعفاء واكن قياماً برأجب من العدل والحق

قال احد كتاب الفرنسيس في هذا الموضوع ما معناه :

« وجب التساهل على الانسان من ثلاث جهات من جهة نفسه ومن جهة

ابناء جنسه ومن جهة الحقيقة والحقيقة هي الله
 فاما من جهة النفس فلانه من واجباتنا الاديية التماس العلم والحكمة
 في اي وعاء خرجا واصلاح ما عسانا ان نكون عليه من الخطاء وكيف
 يحصل لنا ذلك ان سدنا افواه الناطقين ظلماً واستبداداً عليهم ولم
 نسمع ما يقولون لننظر في اقوالهم قنم آرائنا بارائهم
 قال فيكتور هيكو :

كل انسان يكتبُ بكتب الله سطورة
 ويقول العاجز

وكذا البحث زناد قاذح للحق نوره
 كيف لا وفي اقوال احقر الناس وآراء اصغر الخلق عبرة وفائدة وعلم
 جديد للمتأملين

واما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه فلان
 العدل الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس منه سواء
 ولما كان اول واجباته الاديية التماس الحق والصواب وثانيها ايضاح ذلك
 لحق بالاقوال والاعمال كان من الظلم القبيح ان يمنع غيره من ابداء
 ما يظنه ذلك الغير صحيحاً ومن العسف المنكر ان يشوش عليه ما يلتمس
 من الحق بالاعتصام او الارهاب المانعين من التفكير

واما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخالصة فقد
 اثبتته العقل ولم تنفه نصوص الاديان بل ايدته في مواضع لا تعد قال
 نرتليانوس الكلامي ليس من البر ولا التقوى ان تسلب حرية الناس
 في امور الدين فان الله سبحانه وتعالى منزه عن ان يريد ان يعبد
 اضطراراً

وقال يوستينيانوس القديس : اشد ما يخالف الدين نكراً ان يحمل
 الناس عليه قهراً . وفي : لكم دينكم ولي ديني . وفي : لا تجادلهم الا بالتي
 هي الاحسن بلاغ للتبصرين

فالذين ياتمسون الزلفى الى الله بالوعيد والتهويل والذين لا يريدون ان يعبد الا كما يريدون والذين يحاولون رسم آرائهم في القلوب والجباه بالحديد والنار كل هؤلاء يفضبون الله ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فان الحقيقة ليست باجنبية ولا بعدوة لتلقى على كاهل المرء الزاماً وانما نحن ضيوفها بالطبع فهي تقبل علينا ونقف لدينا لنظلمها عن رضى راغبين وقال شيشرون خطيب الرومان : انما نكون عبيد القانون لتصير بالقانون احراراً

وفي الحديث المأثور كن للحق عبداً فعبد الحق حر . وقول ذلك الخطيب الروماني ينطبق مقولاً على ما نحن بصدده . فيقالى فيه يجب ان نكون احراراً لنخدم الحق كما يجب والحق هو الله وهذا دعاء المتساهلين تجمله للمقال ختاماً . يا بدع الصفات اله جميع الموجودات ما عرفناك حق مع فتك ولا اهتدينا بضيائك لحكمتك الهما في امورنا رشداً واسلك بنا سبيل الهدى لتعاون على احتمال النوائب الكثيرة في هاته الحياة القصيرة ونعلم ان الخلاف الذي بين وقاء اجسامنا الضعيفة وبين لغاتنا القاصره وبين عاداتنا السخيفة وبين احكامنا الناقصة وبين احوالنا المتباينة فيما نراه على استوائها لديك ان جميع هاته المميزات بين هاته الذرات لا تكون من اسباب الاحن والعداوات . فتستوي عبادتك برطانة من لسان قديم مشهور وبغيرها من لسان جديد مشهور ولا يميز بين من يوقد الشمع نهاراً لدعائك ومن يكسحي فيه بضياء سمالك وبين من يلبس لذلك الذهب والحرير ومن يستقبل سمالك باطمار النقيير ويكون الذين ملكت ايمانهم اطعاً مدورة من بعض المعادن متمتعين بلا تبه مما يسمونه نعباً والذين استولوا نفة حقيرة من بقعة صغيره منتفعين بلا كبر بما يحسبونه ملكاً مقبلاً ويكون سائر الناس راضين بالموجود غير حاسدين على المفقود ويذكر ابنا الانسان انهم في الانسانية اخوان فلا يمزق بعضهم بعضاً عناداً ولا يملأون الارض فساداً . . سبحانك

عما يقول الجاهلون وتنزيهك عما يزعم المعتصبون انك اعظم من ان
 ترضى واكرم من ان تنتقم واعدل من ان تعفو واكبر من ان تسن
 واجل من ان تساء تماثلت لديك الذوات وتساوت عندك الاشياء وانت
 في الكل وللكل سواء وقنا العثره مع المعتصبين واحشرنا في زمرة
 المتساهلين . امين . اه

✽ اليونان والرومان ✽

وهي خطبة القاها في جمعية زهرة الآداب

لو عدل تاريخ اليونان والرومان بتواريخ سائر الامم في جميع الازمنة
 لكان اوسع منها مجالاً واوفر مائة واكثر انتشاراً ولا بدع في ذلك
 فان هاتين الامتين معدودتان بمنزلة الاصل الاول او الوسيلة المعروفة
 في وصول التمدن والعلوم الى الغرب حتي ان العلم بلسانيهما القديمين
 كان من لوازم العالمية في جميع البلاد الاوروبية ولا يزال كذلك
 في الكثير منها الى الآن

ومن اجل هذا اقبلت على جمع شيء من تاريخيهما بقصد المقابلة
 بين ما نشاء عن كل منهما من الآثار النافعة والموازنة بينهما في الفصل
 والمقام المدني لا اقدم بذلك غرضاً في التيسر ولا اخرج فيه عن
 قسطاس التاريخ على ان المقام ضحك فيما تعلمون وما هي الا تجربة
 مبتدئ يعرضها لآخوانه ويسترها عن غيرهم من الناقدين

ولا بد قبل الشروع في تاريخ الامتين من الاشارة الى جغرافية
 المملكةين لما بين التاريخ والجغرافية من التلازم في كثير من الاحوال

فمملكة اليونان لم يحددها القدماء تحديداً شافياً جلياً وإنما قسموها
ثلاثة اقسام البلوبونيزية جنوباً واليونان خاصة في الوسط وتاليا شمالاً
ثم اضافوا اليها ايليزية الجنوبية ومكدونية وثرافة والجزائر اليونانية . هذا
حد ما بلغ تقسيمها الاصلى على انه كان لدولها املاك كثيرة في سائر
اقسام الارض بما فتحت من الامصار وما اكتشفت رجالها من الاقطار
وما استعمرت نزالاتها من الديار

وقد اختلف تقسيمها عن ذلك عقيب موت باويس وفي خلال
حرب ترواده وحرب البلوبونيزية الى ان دخلت في ولاية الرومان عام
١٤٦ للميلاد فصارت ايالة او قنصلية رومانية وسميت اخائية ثم صارت
في زمن اغتس ولاية ولاية سناتية اى لاحقة بمجلس السنات
ولما قسمت السلطنة الرومانية في زمن قسطنطين دخلت مملكة
اليونان في سلطنة الشرق وما برح اسمها مع ذلك اخائية ثم صارت مع
مكدونية في النصف الثاني من القرن الرابع مملكة يراسها الى ان
استولى الصليبيون على القسطنطينية فجعلوها امارات متعددة لغير واحد
من رؤساء جنود البندقية وجنوي ولما فتح العثمانيون القسطنطينية استولوا
على معظم تلك البلاد ثم تم لهم امتلاكها جملة فجعلوها ولايات رابعا
ولاية تسالونيكية وولاية يانينة وولاية ليوادية وولاية المورة او ثريبوليزية
فبقيت على هذه الحال بلا تغيير يذكر الى ان كانت سنة ١٨٢١ فنشط
اليونان لطلب الاستقلال فتسنى لهم ذلك بمساعدة بعض الدول العظام
فصارت بلادهم مملكة مستقلة تمتد من الغرب الى الشرق من جون ارنا
الى جون فولو ويحدها من الشمال بلاد الدولة العثمانية في اوروبا ومن
الشرق والشمال الشرقي الجزائر المعروفة بالارخبيل ومن الجنوب البحر
البحر المتوسط ومن الغرب بحر اليونان وطولها ٥٢٠ كيلومترا وعرضها
مئتان متر

اما مملكة الرومان او ايطاليا القديمة فقد كانت منذ القرن الرابع قبل الميلاد مقسومة بثلاثة اقسام غالية او غولة الساسية في الشمال وايطاليا خاصة في الوسط واليونان الكبرى في الجنوب فكان يحدها شمالا مسكرا والتين واوتيس وغربا البحر المعروف بالداخلي وجنوبا سيرانوس وفرنتو وشرقا بحر الادرياتيك ثم قسمت في زمن الجمهورية سبع ولايات وفي زمن الامبراطورية احدى عشرة ثم غير ادريانوس هذا التقسيم فجعل المملكة ولايتين اثنتين ولما مات قسطنطين وقسمت المملكة من بعده اطلق على ولايتين من سلطنة الغرب اسم ايطاليا ولم يكن كل ما فيها من البلاد منها وبعد اضمحلال سلطنة الغرب قسمت ايطاليا بين يوستينيانوس الثاني امبراطور الشرق والمباردين

هذا حد ايطاليا القديمة اية نفس بلاد الرومان اما الاقطار التي آلت اليهم والاستعمار فما لا يكاد يدخل الحصر له شبهه وكثرته وتعاقب انواع التقسم فيه

ولنعد الى اليونان لذكر شيء من تاريخهم فنقول . سمي اليونان اولا انتيين اى اهل تربة واحده وهم في الاصل قبائل و بطون من البلاسجيين ولا يعرف اصلهم في ما وراء ذلك ولكن الاكثرين على انهم جالية من اسيا الصغرى

وقد كانوا قبل عام ٣٠٠٠ قبل المسيح في حالة البسداوه والخشونة ولم يذكر التاريخ لهم من مدينة قبل مسيون التي اخطتها اجمالة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ثم انتهت اقوام من مصر وفيثيقه باسباب الخضاره والمدينة فاخط ايناكوس وابنه فوروني منهم مدينة اركوس وشرع اسبرنون في بناء مدينة اسبرته عام ١٨٨٠ ولم تتم على عهده وانما كمل بناؤها على يد ليلبس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر الهيلانيون الذين يطلق انهم على امة اليونان الى هذه الابام فاستولى رجل منهم

يقال له سيرويس على ائينا سنة ١٦٤٣ وآخر يقال له دكايرت على
 تسالونيكية عام ١٦٣٥ وحكم كوموس في ثيبة عام ١٥٨٠ ودانوس في
 اركوس عام ١٥٧٢ وميغوس في كريت عام ١٥٠٠ وهذه العصور
 معروفة فيهم بايام الابطال لما حصل فيها لبلاد اليونان من المجد والسودد
 والفلاح في الزراعة والصناعات وفيها ادخلت بتلك البلاد مذاهب المصريين
 والبينيين وسنت لاهلها القوانين والشرائع وظهرت فيهم سخوة المرافلة
 فاستولوا على البلوبونيزه فانها الهيلانيون الذين كانوا اصحاب تسالية واقاموا
 بها في ولاء المرافلة الى ان امتلكوها على يد اولاد بلويس عام ١٣٠٧
 ثم كانت حروب نزواده التي بالغ شعراؤهم في وصفها وذكر شجاعه المقاتلين
 فيها حتى امتزج في تاريخها الصدق بالخرافات وانتهت عام ١١١٠ ثم
 حصل الوفاق بين المرافلة والهيلانيين فاستولوا ثانية على البلوبونيزه واخرجوا
 سكانها بقوة وكان ذلك ابتداء عصر اليونان المعروف بالوسط وهو الذي
 وقفت فيه حركة نجاحهم المدني الى ان عاودتهم الغيرة فبعثوا بملاحمهم
 الى سواحل آسيا الصغرى وايطاليا والقوقلة وهسبانية وسارت ركباتهم
 باشعار هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوة التصور الى ما فوق رتبة
 الانسان فأتسع فيهم نطاق الادب وجدد بهم الحرص على العلوم والعقائد
 حتى صار لكل بلد من اقطارهم معبود مخصوص بذلك البلد ووضع لهم
 ليكرغوش اليونانيين في اسبرته عام ٨٩٨ وقامت الجمهوريات في مدنهم
 لاقامة امور العدل فالنبي الملك في ائينا عام ١١٣٢ وفي اركوس ٨٢٠
 وفي اليده عام ٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية وميسنة عام
 ٦٦٨ ولم يبق محفوظاً الا في اسبرته
 ثم ادخلت الى ائينا شريعة دراكونوس عام ٦٢٤ وشريعة سولون
 ٥٩٠ ووقعت الحروب المادية عام ٤٩٠ فبلغ ابطال اليونان فيها مقاماً

تنخفض مثله رؤوس الإبطال

وفي خلال ذلك نبغ فيهم العلماء وظهر منهم الحكماء الذين فتح عليهم بما كان مغلقاً على سائر الناس فأخرجوا الأذهان من ظلمات الجهالة ومهدوا سبل الخروج من دياجر الضلالة فاشتهر أشيل وسفقليس وارريدس بفن العراجيدية البدیع وظهر ارستوفنوس بفن الكوميديّة البهي ونبغ هيرودونوس ونوفيدبس في صناعة التاريخ وبدأت آثار الحكمة والفلسفة من تاليس وديموقراطيس الذين ينسب الديموقراطيون اليه ومن فيثاغوروس وبرمنيدس وهرفليدس وانكساغورس فانشئت علي يدهم مدارس الحكمة الخالدة الآثار وابدع ابقراط في الطب وهو واضع اصوله واول كاتب فيه بلغ من العلم به الى حد ان عدّ علمه وحيّاً وبقي من بعده ستائة عام لم يزد واحد عليه حرفاً الى ان ظهر جالينوس فاخذ ما كتبه ابقراط وهذبه وزاد فيه

وظهرسقراط وافلاطون وارسطاطاليس حكماء الارض غير معارضين واشتهر فيدياس مصلح الهندسة العظيم وبرقليس الخطيب البليغ الذي ولي الامر في اثينا ثلاثين عاماً وغيرهم كثير من العلماء والحكماء والفضلاء الذين ابقوا بلاد اليونان مجدّاً ثابتاً على مرور الزمان

ثم احتلت امور اليونان الداخلية بما نالهم من النشوة بالنصر في الحروب الخارجية فوعدت حرب البوبوفيزية ودامت فيهم سبعاً وعشرين سنة ثم اجلت عن حصول الامتياز لاسبرته على سائر البلاد اليونانية ثم وقع الاتفاق بين تلك البلاد على ضد لقدمونية وعظم شأن اثينا باعمال كولون وابقراط ولكن انتاليسيداس واثق الفرس ميثاقاً دنيئاً ثابتاً عام ٣٨٧ فكان ذلك سبباً في قيام اليونان على اسبرته

ثم جرت الحرب المعروفة بالمقدسة على ضد الفوقيين الذين احرقوا هيكل ذلفة عام ٣٥٥ فكانت وسيلة لنداخل فيليب صاحب مكدونيا في امور اليونان فانتزها فرصة لادخالهم في طاعته فقاومه دموستين اشد

المقاومة وذاده اليونان عن انفسهم ما استطاعوا ثم دانوا له بعد يوم
شهر في عام ٣٣٨ واستمرت فيهم الحروب الاهلية بعد ذلك حتى وهنت
قوام وعظم اختلال احوالهم وضعت مستعمراتهم من قلة المدد فهاغتهم
ارومان على هذه الحال من الوهن واستولوا على ايليرييه عام ٢٢٩ ثم
نازلوا مكدونيه عام ١٦٨ وامتلكوها عام ١٤٧ وصارت بلاد اليونان ولاية
رومانية عام ١٤٦ ومذ حينئذ لم يبق لتاريخ اليونان شان يذكر لما انه
دخل في تاريخ الرومان

ثم لما شطرت السلطنة الرومانية في القرن الرابع للميلاد ادخلت بلاد
اليونان في سلطنة الشرق واخذت هاته السلطنة في التلاشي من توالي
هجمات البرابرة من الوندال والاستركوت والبلغار وغيرهم ثم
زحفت العرب اليها في القرن التاسع وتلامم البلغار في العاشر فلم يفوزوا
منها بطائل ثم نازلها فادكسكار فالثورمندبين عام ١٠٨٠ ثم قامت بها
الدولة اللاتينية فجعلتها عدت اقسام لامراء من الصليبية يتولونها في
حماية صاحب القسطنطينيه الى ان تم الفتح الكبير للسلطان محمد الثاني
عام ١٤٥٣ فاستولى القائد عمر باشا على اثينا عام ١٤٥٦ ودافع اسكندر
بك المشهور عن استقلال ابيه الى ان مات فوقعت بيد العثمانيين عام
١٤٦٧ ثم دانت لهم المورة سنة ١٤٦٠ وبقى اليونان في ولاية الدولة
العثمانية قرنين الا قليلاً وفي ولاية الاجنبي من قبلها خمسة عشر قرناً
صايرين ذاكرين تجدهم السابق مترقبين الفرص لاعادة الاستقلال حتى
آن الوقت فحشوا من العقال وشقوا عصا الطاعة واعانتهم بعض الدول
الاوروپاويه فتم لهم الاستقلال وصار لهم مملكة معروفة بهم
عام ١٨٣٠

اما سلطنة الرومان فخلاصة تاريخها ان ايطاليا كانت معروفة منذ
القديم باسم ساترنية ثم حل بها قوم من الاركاديين تحت لواء (انوتروس)

قبل حرب تروادة باربعائة سنة فسميت (انوتربة) ثم استولت عليها قبيلة غجر تلك من الاركاڊيين تحت قيادة (افندر) الذي خرج من البلوبونيزة مطروداً

وكان سكانها الاول من البلاسجيين والابوريجيين واللبريين ثم اتاها الهيلانيون من اليونان وجاء بعدهم اقوام من الغاليين فكانت لهم مستقراً مكيماً الى ان اتاها بلوفير في القرن السادس قبل الميلاد فضعفت شوكتهم ومالت سطوتهم الى الهبوط

وكانت روميه عامرة منذ اخطها قوم الى عام ٧٥٣ قبل الميلاد فلما ضعف امر الغاليين عدا اهلها عليهم فدانوا لدولتها خاضعين ثم سار اهل روميه على الملك تركين الملقب بالكبير عام ٥٠٩ قبل المسيح فغلبوه واقاموا لانفسهم حكماً جمهورياً فكانت هذه الثورة سبباً في تأخير ظهور آثارهم مئة وستين عاماً على انهم جدوا بعد ذلك في سبيل المجد حتى بلغوا منه غاية لا تدرك

وكان في تلك البلاد على ذلك العهد ثلاث قوے عظيمة الشأن قوة الغاليين في الشمال وقوة السمتيين وقوة الرومان او اهل روميه فنمت هذه القوة الاخيرة بعد استحكام جمهوريتها وانتظام جديتها فاقامت الحرب على ساقها من سنة ٣٩٥ الى سنة ٣٥٠ ومن سنة ٣٤٣ الى سنة ٢٦٧ فخضع لها السمتيون واستولت على بلاد الوسط والجنوب من ايطاليا ثم انصرفت الى محاربة الغاليين على ارضهم المسماة بغالة السيليبه فصبروا لها من سنة ٢٢١ الى سنة ٣٩٣ ثم هنت قواهم فاستولى الرومان على بلادهم الى نواحي قليلة منها وصارت جمهوريتهم اعظم قوة في ذلك الاقليم بل اعظم قوة في الارض على الاطلاق بما حصل فيها من حب الشرف وحب الوطن وحفظ النظام العسكري فداخلها الطمع في غير ما ملكت من البلاد فانصرفت قوتها الى الفتوح واستولت على مردينيا

وغولة اي بلاد الغوليين التي هي الان بلاد الفرنسيس وعلى قرطجنه وكانت
بينها وبين انيبال قائد قرطجنه الكبير حرب ليست كالحروب اوشكت
ان تكسر شوكتها ونبيد سطوتها وتجمعاها على شفا الاضحلال ولكن
ساعدتها التقادير فنجت من ذلك القائد وغلبت عليه فبلغت معارفا الحريميه
وتشذر نهاية الكمال

تم اخذت هذه المزية في الضعف بعد سنة ١٣٥ وضعف معها
سائر معارف الرومان وشيت بينهم الفتن الداخلية فادت الى تغيير الحكم
فصار ملكيا ووسد بارادة مجلس الشيوخ الى اوكتاف فدعي اوغسطس
ومعناه الامهر وامبراطور معناه القائد الاعظم فابتدأ اوغسطس مملكه
باعادة الراحة والامن فتم له ذلك واجتنب الحرب الا فيما اقتضاه تامين
حدود الملك الى ان مات عنه كاملاً محفوظاً فلولاه خلفاؤه من بعده
الى ان مات تيودوروس عام ٣٩٥ بعد الميلاد فقسم شطرين
امبراطورية الشرق وامبراطورية الغرب فاما امبراطورية الغرب فكانت
منقسمة خمسة اقسام بربطانيا وغاليا واسپانيا وايطاليا وافريقيا تم قسمت
هذه الاقسام اقساماً واندفعت عليها قبائل البرابره من كل صوب فتلاشت
بعد وجودها بمائة عام

واما امبراطورية الشرق فتاريخها يتدى بموت تيودوس وبثقي
باستيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٤٥٣ وفيه خمسة فصول الاول
من سنة ٣٩٥ الى سنة ٦٥٠ وفيه اخذت ارمينية وسقطت امبراطورية
الغرب .

والثاني من سنة ٦٥٠ الى سنة ٧١٧ وفيه توالت عليها الذوايب
والمصائب فتمكن المبرديون من ايطاليا واستقر البلغار والصرب في جنوب
الظونة واستولت العرب على سوريا ومصر وافريقيا وقبرص
والثالث من سنة سبعماية وسبعة عشر الى سنة ثمانماية وسبعة وستون
وفيه ظهرت دولة ايزوريان ففقدت ما بقي لسلطنه من الملك في ايطاليا

وادخل اليها اكرام الصور على يد سبعة من امراء تلك الدولة وتم
انقسام الكيستين الشرقيه والغربية عام ثمانماية وثمانية وخمسون فكانت
رومية مركز هذه والقسطنطينيه مركز تلك كما هو اليوم واخذت جزيرة
كر يد وصقلية وغيرها ووقعت الحروب البلغار به التي اضرت بسلطنة الشرق
كثيراً

والقسم الرابع من سنة ثمانماية وسبعة وستون الى سنة الف وستة وخمسون
وفيه ظهرت عليها علام السقوط اذ هاجمها البلغار والروس والبشناق على
انها اسمعات بلاد البلغار والصرب وقبرص مرتين

والخامس من سنة الف وستة وخمسون الى سنة الف ومايتبع
وستون وفيه استولى السلاجقه على ثلثي اسيا الصغرى ومر الصليبيون
بها وكانوا من الساعين في تدميرها ووقعت حرب النورمنديين فاستولوا
على صقلية ثم مات كنيستوس الاخير فازدادت المملكة ضعفا فاستقل عنها
الصرب والبلغار وعادت الصليبيه الرابعه من القدس الى القسطنطينيه
فامتلكتها فصارت عاصمة مملكة لاتينيه ثم نازلها الامبراطور ميخائيل
باليوغوس فاستردها لنفسه وبذل الجهد في اعادة المجد لهذا الملك
وزلاه ولداه من بعده ولكن تعذر عليهم الامر اذ تأبد استقلال البلغار
والصرب والبشناق واستولى الترك على سائر بلاد المملكة فاخذ امبراطور
القسطنطينيه في استنجد ملوك الغرب واوعدهم بالعدول عن المذهب
الشرقي فلم ينجده وعظم هذا الامر على روماء الدين في المدينه فكانوا
اعوانا للعثمانيين على الامبراطور ثم فتح الترك بلاد البلغار وقتلوا الصرب
وتم لهم فتح القسطنطينيه على يد السلطان محمد الثاني وهي الى الان عاصمة
دولتهم واسمها املابول او الاستانه او دار السعادة

* حاضر الخاطر *

وهي خطبة القاها عام ١٨٨٠ في جمعية زهرة الآداب قال

كان في خلدي منذ وصلت اليّ نوبت الخطابة اتكام ما بدأت في موقفني السالف من بيان اتصالات الشرقي في بلاد الغرب ولكن عرض لي من المقادير معاذير فصرفت بقية العزيمة الى امر سكن الببال فلم يبق معه من حاجة للاستعداد والى الخاطر فصار من حاضرة المتبادر

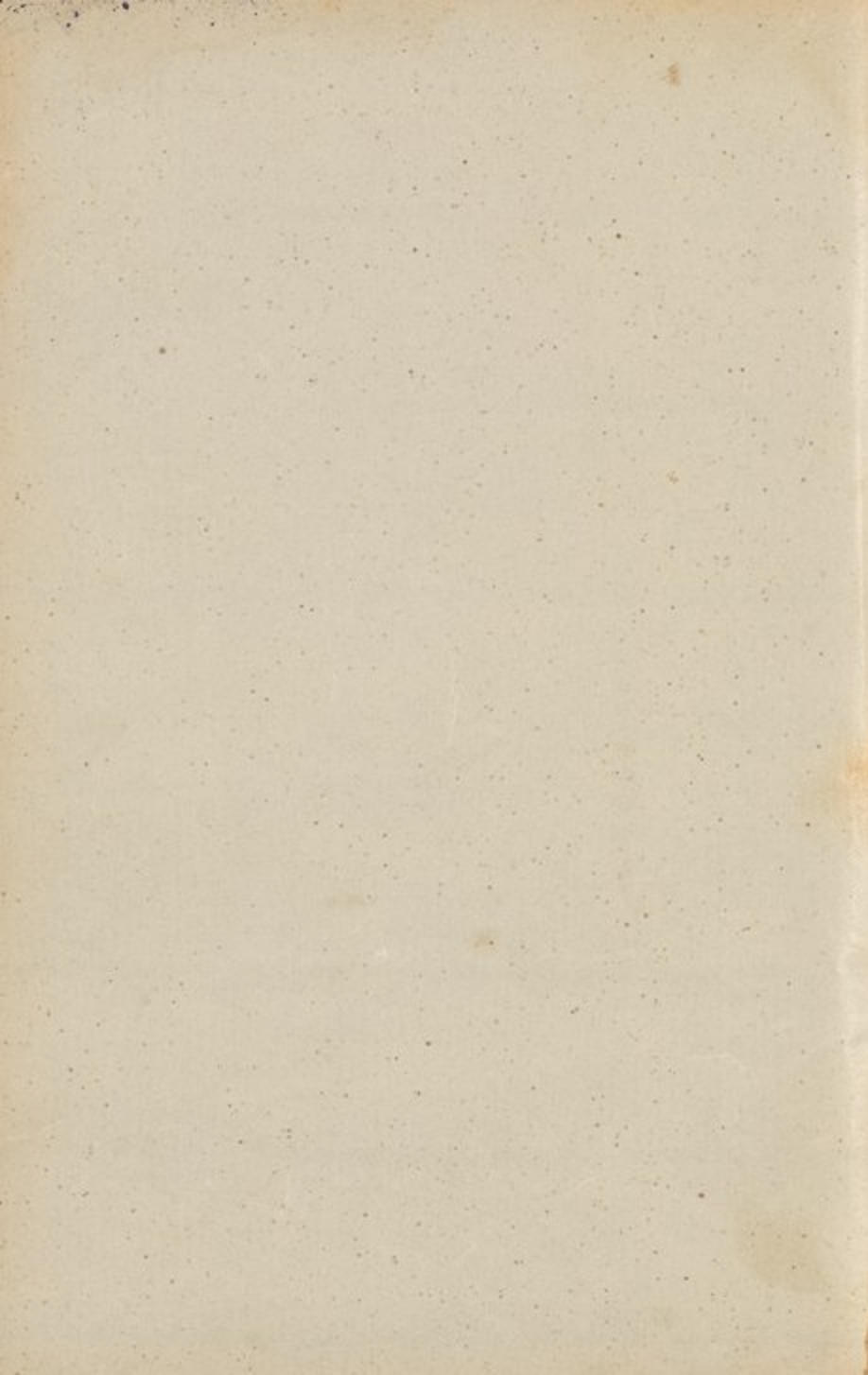
على انه مهما صرفت عنه اذهان حكماء الانسان وحارت فيه الباب رضعا الآداب وانحطت عنه خواطر اهل البوادر منذ اثرت اقلام الكتاب في رباض البيان وانطلقت السنة الخطباء في مجال المقال لا احاول بلوغ ما لم يلجوا ولفظ ما لم ينطقوا او اصابة ما لم يرزقوا ولكني اظهر حيرتهم وابين اختلافهم ليعلم ان الحقيقة الالية المطلقة من وراء حجاب وان العلم بها نسيي يكون صحيحاً ولا يكون على كون الحقيقة حقيقة لا محال

فقد رأيت لاهل هذا النطق على اختلاف حكايات الاصوات كلمات يتفقون منها على مادة التركيب مختلفين فيما يشربونها من المعاني بحسب اختلاف الاوقات وتباين المشارب وتغاير الآراء حتى يتمتع ادراك حقيقةها على الباحث في اقوالهم الا من تجردوا عن التقليد وترفعوا عن الاقتداء بما ارتفعوا الى ذروة العقل الكلي والفتح المطلق واين مما هنالك مثل هذا العاجز الضعيف بل اين منه عقول العقلاء وعلوم العلماء

فالحق كلمة لا خلاف في الحاء ولا في القاف المضعف منها بين الناطقين بالضاد كما انه لا خلاف فيما تركب منه في سائر اللفظيات

انه ربما وقع الاتفاق في الصورة التي تحصل منها في الاذعان بين
 اهل الخطة الواحد من كل جماعة من الناس ولكنه ممنوع بين ذوي
 خطتين متفايرتين او ما ترى الحق العمومي بدعيه كل احد من الناس
 على تباعد مقاصدهم فهو عند الامير قائم بمقدس نباله وعند الغني بحرم
 ثروته وعند الرئيس بمظهر الهامة وعند الحكيم بفاد حكمته وعند القوي
 يحفظ مزيتته وعند الضعيف الفقير التابع المعتمد الخاد المأمور الفاعل
 المجهود بانصراف الميزه اليه ان كان خامل الذهن وحصول ما يشتهي له
 من وجه العدل ان كان من المعتدلين (والبقية مفقودة كما في
 النيه)









Princeton University Library



32101 086396684

(NEC)
PN5359
.Z757
A25
1800z